2272
.6505
.311

2272.6505.311
al-Misrātī
A'lām min Tarābulus

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

[redacted] 15 1990

JUN 15 2018

135-

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 017271519

علي مصطفى المصراتي

أعلام من طرابلس

al-Miṣrāti, ʿAlī Muṣṭafā

علي مصطفى المصراتي

A'lām min Ṭarābulus

أعلام من طرابلس

الطبعة الاولى

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة ماجي طرابلس الغرب - ليبيا

الاهداء

الى اول شهيد فاضت روحه فى سبيل
عروبة ليبيا واسلامها ارفع كتابي هذا.

على مصطفى المصراتى

2272
.6505
.311

تقديم ونقد

بقلم الأستاذ الكبير محمد فريد أبو حديد

ارأيت السائح المستكشف اذا نزل لاول مرة فى ارض لم يرها احد من قومه من قبل ؟ انه يرى كل شى فى تلك الارض عجيبا، شجرها وترابها وسماؤها وماؤها وسحنة اهلها والوان اجسامهم ونغم حديثهم .

كل ذلك يبدو له عجيبا وهو يجوس خلال تلك الديار الغريبة عنه فيخيل اليه ان تلك الارض لم تطأها من قبله قدم ولم يعرفها من قبله احد وانه قد اطلع على شئ خلقه الله لاول مرة عندما وقعت عينه عليه .

وهكذا نحن عندما نتطلع مثل هذا السائح المستكشف الى القرون الماضية ونتدسس بين آثارها وما تخلف عنها من قطع محطمة او مزق مخرقة ، فيخيل الينا ان ذلك الماضى عجيب فى صورته بديع فى بنيته ونقف حياله فنعجب ان يكون ذلك الماضى قطعة حقيقية من عالم كان يعيش مثلنا ويضطرب بمثل امانينا.. ويتألم بمثل ما نتالم له ويحلم بالاحلام التى مانزال نحن نتعلق بها.

وقد استطاع الاستاذ على مصطفى المصراتى بكتابه هذا الذى بين ايدينا

استطاع ان يستخرج من اعماق الماضى عالما جديدا وان يوردنا معه قطعة من ذلك الماضى لنلمح معه طرفا من حياة الاجداد الذين عمروا الارض بالحياة المليئة ثم ذهبوا ولم يخلفوا وراءهم الا اثارا ضئلية عفى عليها الزمن وجعلها كما قال الشاعر القديم - تبدو مثل وشم . حائل على معصم .. ولست اشك فى ان هذا الكتاب الذى بين ايدينا الان سيحمل معه الوفا والوفا من ابناء هذه الامة الليبية والوفا اخرى من ابناء امم اخرى من الشعوب العربية، لانه يرتاد لنا عصرا مشتركا نستمد منه جميعا..، وننتسب اليه جميعا.. عندما كانت الشعوب العربية لا تعرف فيما بينها حدودا وعندما كانت تتعارف وتتمازج وتتزاور وتتشاور، وكل منها يقتبس مما عند الشعوب الاخرى وكل منها يهب مما عنده اقباسا الى الشعوب الاخرى..، كان العالم العربى عند ذلك عالما زاخرا بالحياة والقوة عامرا باسمى ما فى الانسانية من معانى السلام ومحبة العلم ورغبة الخير .

كان ذلك العالم العربى فى ذلك الوقت سيد العالم ولكنه لايعرف الطغيان ولا الكبرياء بل كان الناس فيه جميعا من نسل آدم وحواء ليس فيهم من يمتاز عن غيره الا بمقدار ماعنده من الفضل والعلم والخير . ولكن ذلك الماضى ايضا قد انطوى تحت الرمال واعتورته صروف الايام واصبح اكثره اشبه الاشياء بالمجاهل التى يطلع العالم الحاضر على لمحات منها ولا يكاد يتبين معالمها..، وما اشد ما خسرت الانسانية باندثار ذلك العالم البعيد الذى كان يعتمد فى حياته على السلام والخير والتعاطف ، فها نحن اولاء نرى عالم اليوم وقد بلغ من معرفة اسرار الكون مابلغ..، ما يزال يشكو الشقاء والخوف والحقد، وما يزال يسرف فى ابتكار الات التدمير وما يزال يحرص على اذكاء العداوات على حين تشكو الوف الملايين مضاضة الجوع والبؤس فى الشعوب كلها .

فنحن اذ نطلع على اخبار العصور الماضية لانملك الا ان نرثى انفسنا اذ

نعيش في هذا العصر الموسوم بالتقدم والتفنن والاختراع .

ولكن الاستاذ المؤلف لم يجهد نفسه في اخراج كتابه هذا المتع بقصد اشعارنا هذا المعنى وان كنا نشعر به قويا واضحا، فانه اراد بتأليف هذا الكتاب ان يصور لنا عصرا مضى كانت فيه ليبيا ارضا عامرة وكان فيه شعب ليبيا شعبا حيا مستنيرا يحب العلم ويحرص على المعرفة وياخذ نفسه في الحياة بالمبادئ التي آمن بها واستخلصها من علمه ومعرفته .. فهو كما يصورلنا الاستاذ المؤلف يجمع بين وداعة الحياة وقوة النشاط ويهب كل ما فيه من حماسة وفتوة الى غرضين اثنين وهما تحصيل المعارف والتملؤ من عواطف الخير ، والاستاذ المؤلف يورد في ثنايا صوره الرائعة معنى آخر أحب ان اقف عنده قليلا ... فذلك العالم الماضي الذي يصوره لنا كان يمتاز بانه لايعرف الوطنية الضيقة كما نعرفها في هذا العصر ، ولا يقيم وزنا للحدود السياسية بين الامم العربية كما تفعل الدول الحديثة في العالم العربي فكان الرجل العالم ياتي من تونس الى طرابلس فلا يأبه لشئ في اقامته بين اهل المدينة التي اختارها الا انها البلدة التي اختارها. فهي وطنه الجديد الذي يحبه ويجله ويعترف له بالولاء وان كان الشوق يعاوده احيانا الى المدينة الاولى التي نبتت عليه تمائمه فيها، وكانت مهد صباه وشبابه الاول ، فالشوق والحنين الى الوطن الاول لا ينقص المحبة والولاء للوطن الاخير، وهو في الحالين يرى نفسه مواطنا في عالم واحد يمتد من المشرق الى المغرب ويقيم فيه حين يحلوله المقام.. ولكن الاستاذ المؤلف ينجرف مع تيار هذا العصر الذي نعيش فيه وهو عصر التقاطع واقامة الحدود والتغالي في الوطنية فيورخ لسلسلة ذهبية من اعلام الفكر والادب والعلم في هذه العصور الزاهرة ولا تسخو نفسه بان يصورهم كما كانوا يرون انفسهم مواطنين في عالم واحد حر لا يعترف بشئ من الحدود السياسية ، بل يتفنن ويبدع بما شاء له قلمه

البليغ متعمدا ان ينسبهم الى وطنه العزيز وحده حتى لا ينافسه فيهم شعب اخر من الشعوب العربية ..، بل لعلني لمحت من ثنايا صوره العذبة انه يود لو استطاع ان ينسب الى طرابلس كل عبقرى مبرز اتجهت نيته يوما الى زيارة هذا البلد الامين . فنحن نلمحه من بعيد وهو ينظر الى الامام الغزالى مثلا كانما يتمنى لو استطاع ان ينسبه الى وطنه ليبيا وينتزعه انتزاعا من اهل العراق ، ثم نراه مرة اخرى وهو يضع يده فعلا على ابن منظور ونسأل الله ان يلطف باهل مصر .

على انه وان ابـاح لنفسه مثل هذا التحمس لليبيا او لطرابلس خاصة ليس بدعا بين المؤلفين ولا بين الادباء فانه يقصد من وراء هذا الجهد الى معنى آخر لايسع المنصف الا ان يحمده ويقره . فان الشعوب الفتية فى اشد الحاجة الى معرفة ماضيها المجيد ..، ونحن فى وقتنا هذا نتطلع الى المستقبل فى حيرة.، ولا تتأتى لنا الهداية فى سيرنا نحو هذا المستقبل الا من قبل ماضينا . فالاطلاع على سيرة هذا الماضى هو الذى يحفزنا الى ترسم الطريق الذى نستقبله ، والتعرف الى اصولنا هو الذى يسدد خطانا ويجعلنا نعرف كيف نسلم التراث الموروث الى أبنائنا.. فاذا كان الاستاذ المؤلف قد ابدع فى تصوير حياة العباقرة الذين ازدانت بهم طرابلس فى الماضى..، فانه يوحى الى ابناء هذا الجيل بان المستقبل متسع لمثل ما اتسع له الماضى وانهم يستطيعون ان يبلغوا من المجد والمعرفة وحب الخير والتجرد من سفاسف العواطف مابلغه من قبل اجدادهم الذين عرفوا كيف يملؤون الحياة علما وفضلا وخيرا.، ولست اقصد من كلمتى السابقة شيئا سوى المراجعة والمناقشة..، والا فان التنافس على انتساب اهل الفضل عاطفة من اسمى العواطف وادعاها الى الفضل ...، وليس ببعيد عن الأذهان تنافس العرب والايرانيين على انتساب ابن سينا ولا تنافس بلاد الشرق العربى كلها على

مثوى الحسين سبط الرسول عليه الصلاة والسلام..، واما الجهد الذى بذله الاستاذ على مصطفى المصراتى المؤلف فى تصنيف هذا الكتاب واخراجه فى صورته البديعة فقد مررت به بغير ان أبين ماوقع فى نفسى منه وانا اقرأ فصول الكتاب واتأمل الصور التى لونها بلمساته الخاصة التى يمتاز بها قلمه..، فانه يستمد مادة هذه الصور من موارد ما أقلها . وما اشق الوصول اليها . انه ليلتقط العبارة الصغيرة او اللفتة الصغيرة من الكتاب الضخم بعد ان يفحصه كلمة كلمة وانه ليجول جولات واسعة فى البحث لعله يجد بيتا من ابيات الشعر او اسما من اسماء الكتب فاذا فاز بشئ من ذلك عكف عليه بالتحليل والتفسير حتى يستقطر منه حقيقة جديدة او لمحة تضئ له سبيله . فما اشبه جهده بجهد هؤلاء الباحثين عن اسرار الدهر الغابر اذ يحفرون وينقبون حتى يفوزوا بقطعة من الاثر يستعينون بها على رسم صورة الهيكل الكامل . . .

وهذا جهد يكفى وحده لاثارة اعجب الاعجاب..وابدع الثناء ...فقد استطاع الاستاذ المؤلف بهذ العمل ان يضرب مثلا فى الصبر والاناة والاخلاص فى البحث وما أجمله من مثل يضعه امام الجيل الناشئ من ابناء هذه البلاد لعلهم يسارعون الى تجلية مامر على بلادهم من مجد وما طمرته عصور الظلام من علم وخير .

وما أجدر ابناء ليبيا الحديثة ان يبصروا ما كان لابائهم من مفاخر ويعملوا على احيائها والاضافة عليها .

محمد فريد ابو حديد

رسم الغلاف من ريشة الفنان الاستاذ فؤاد الكعبازى ، وعناوين الفصول من خط الاستاذ ابو بكر سلامى ،

وشكرا للاستاذين الفاضلين

ع.م.

مقدّمة

طرابلس الغرب اسم حلو عذب،سمعته لاول مرة من امى وابى وهما يقصان على مسامعى تاريخ هذا البلد ، وقصص البطولة فيه وادوار الجهاد الوطنى ، لابنائه ، وكانا مشردين مهاجرين فرا من اضطهاد الاستعمار الظالم مع آلاف المهاجرين وقوافل القادمين على الابل والاقدام ، قاطعين الصحراء اللافحة، تاركين وطنا مغصوبا..قادمين ارض مصر الحبيبة الكريمة قبلة الاحرار وملجأ الكرام، ونشات فى مصر متلهفا على رؤية هذا البلد العربى وضرب الاستعمار البغيض بيننا بسور منيع وستار فولاذى واسلاك شائكة ... وكنا ابناء المهجر نجتمع ونتتبع القضية وسيرها ونترقب يوم العودة والخلاص ولم تتح لى زيارة هذا البلد الا فى سنة ١٩٤٨ حيث قدمت الهيئة الرباعية الدولية التى جاءت ليبيا لتستفتى اهلها عما يريدون فى المستقبل وما هى مطالبهم وامانيهم، حينذاك اسرعت الى طرابلس لاول مرة خطيبا وداعيا الى المطالبة بالحرية وطفت ليبيا بلدا بلدا ،وقرية قرية ، اخطب من الاعماق الهب واحمس ، وانادى بالاستقلال والحرية ، متطوعا متبرعا ، تاركا دراستى واهلى فى مصر ثم رجعت الى اكمال الدراسة وعدت الى طرابلس سنة ١٩٤٩ بعد ان صدر قرار هيئة الامم معترفا باستقلال ليبيا ،واخذت انقب عن التاريخ وابحث عن كل ما يتصل بهذا البلد الكريم ، واكثر ما همنى وصرفت اليه مجهودى ،الجانب الثقافى والفكرى ، جانب تراجم الاعلام والعلماء والادباء فقد كتب فى التاريخ السياسى والتاريخ القومى كثير وكثير ، والفت فى

هذه الناحية كتب عديدة منها الثمين والغث والجيد والردىء والموجز والمطول ، والمترجم والمقتبس ، .. ولكن تراجم الاعلام باب لم يطرق وجانب لم يلمس ، مع انه ناحية هامة وتراجم الاعلام مرآة تنعكس عليها صور من الحياة الفكرية ويلمس منها مدى التطور الادبى الذى هو مقياس الحضارة والرقى ولكنه فى هذا البلد عسير صعب ، لندرة المصادر وتعذر المراجع وتناثر المعلومات وقلتها ، ثم ما اصيبت به البلاد من هزات عنيفة وكوارث مؤلمة ونكبات منوعة وما اصابها من استعمار ديكتاتورى بغيض اسود زهاء ثلاثين عاما كاد يقضى على كل ما لها من صلة بالعروبة والفكر الاسلامى ، ومن جراء هذا كله ذهبت اكثر الآثار القيمة والمؤلفات التى كتبها اعلام الفكر والادب والفقه ، وامتدت يد السرقة والنهب والجهل الى تلك الاثار فكاد ان يصبح هذا الجانب قاعا يبابا اجردا .. ، وهذا ما دفعنى الى مواصلة الجهد والتغلب على كل الصعاب .. وحاولت ، وما الحياة الا محاولة .. والمحاولة تتطلب الصبر والانكباب والبحث عن الشوارد والاوابد والمخطوطات والرقاع والاوراق ، المبعثرة المهملة ، ويعلم الله انى فى هذا لقيت نصبا وتعبا ولكن فى سبيل الفكر يهون كل صعب ويتحمل كل عسير .. وكم ضحك منى زملاء عندما رأونى ابحث عن تاريخ الاعلام واترك الموضوعات الاخرى السهلة التى فى المتناول ، ولكنى واصلت المحاولة وبدات القى فى تراجم الاعلام والشخصيات العلمية ، محاضرات ، وانشر مقتطفات فاذعت من مذياع (لندن) (ومحطة الشرق الادنى) ومحطة (هولندا) ومحطة (اذاعة طرابلس المحلية) والقيت فى الصيف الفائت محاضرة فى قاعة مدرسة طرابلس الثانوية) ونشرت عددا من التراجم فى جريدة طرابلس الغرب (ومجلة (القلم الجديد) الصادرة فى شرق الاردن ، ثم كتبت مجموعة اخرى لم

تذع ولم تنشر، حتى اجتمعت لدى من هذا تراجم منوعة لشعراء وادباء وفقهاء من العصور المختلفة من القرن الرابع الهجرى حتى العصر الحالى ... وآثرت ان ابتعد عن التاريخ المعاصر والتاريخ القريب فان هذا له مجالات اخرى ، وآثرت ان اجمعها فى هذا السفر الذى اقدمه لقراء العربية خوف الضياع والتلاشى ... ولا ازعم ان هذا كتاب منسق مرتب منظم ، فان مشاغلى الكثيرة تحول دون الترتيب والتنسيق ، فقدمته اليك كما هو على علاته ... . وقد كنت فى بادىء الامر مترددا فى جمعه وطبعه ومرة اقدم ومرة احجم عن الطبع لاجل التنقيح والزيادة ، ولكنى تذكرت كلمة العماد الاصفهانى ، وقد جرب التاليف والتقديم

(انى رايت انه لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ... »

بقى جواب لسؤال قد يجول فى خاطرك .. كيف تكتب عن اعلام من طرابلس ولا تكتب عن برقة الحبيبة وفزان الكريم ؟ كيف تكتب عن جزء من ارض الوطن ولا تكتب عن ليبيا ، وانت من دعاة الوحدة ؟ بل قاسيت فى سبيلها الوانا ، ولاقيت كثيرا ؟ انى اومن بوحدة هذا الوطن .. ولكن فى هذه التراجم اكتب عن ناحية من نواحيه ، وجزء من اجزائه كما يكتب الكاتب المصرى عن الاسكندرية مثلا كتابا خاصا وعن علماء اسيوط او قنا ، او يكتب الكاتب الشامى كتابا عن حلب او علماء دمشق ، هذا من ناحية ، ثم انى لم اجد مصادر تسعفنى ومراجع تكفينى فى العصور التى طرقتها من التاريخ الاسلامى ، ومن ناحية ثالثة ساقدم

لقراء العربية بعد قليل لونا آخر من الدراسة الثقافية الفكرية فى ليبيا (مدرسة (الجغبوب واثرها الفكرى والاجتماعى) مدرسة محمد بن على السنوسى والنهضة الفكرية التى احدثها فى القرن الماضى ، وسيكون ذلك فى كتاب مستقل خاص يتناول جانبا من التطور الفكرى فى البلاد اما قبل (مدرسة الجغبوب) فلم اجد ما يكفى من دراسات ومراجع واذكر هنا كلمة (يحى بن خالد) لا يزال الرجل فى فسحة من عقله ما لم يقل شعرا او يؤلف كتابا - وقالوا من الف فقد استهدف ، فانا هدف للناقدين ، ولكنى استميحهم عذرا فى ان هذا مقدار اجتهادى فان احسنت فلى اجران وان شط المقال واسات فان لى اجرا واحدا ، يكفينى ويرضينى ، فقد حاولت ان اجعل من هذه التراجم الادبية لبنة فى التاريخ الثقافى والتطور الفكرى لبلد اسلامى وعربى ، هذا سهمى ادفعه وكتابى اقدمه ، وهو اول بحث من نوعه فى تاريخ البلاد العلمى والادبى ، ومن الطريف العجيب عندما كنت اذيع وانشر بعض التراجم كان احد ادعياء الادب يسطو عليها برمتها وياخذها بعجرها وبجرها ونصها وفصها .. ويقرأها فى احدى اذاعات الشمال الافريقى وينسب المقالات اليه وانها من قلمه ومجهوده ، ويصنع هذا بكل تبجح ودون اشارة الى الكاتب ، وكم من مرة سمعت باذنى وسمع زملائى واهل طرابلس هذا الدعى الساطى يقرأ مقالاتى بالحرف الواحد ويذيع ما انشره من تراجم وينسبها لنفسه وكتبت مقالا عن السرقة الادبية واشرت ، اليه .. ، ولكن اللص غير المؤدب تجرأ وسار فى طريقه مكررا الطريقة ، والان وقد اصبحت المجموعة منشورة مبسوطة فى كتاب مطبوع ، فله ان يقرأ منها ماشاء وله ان يذيع ما يريد فلا يهمنى الان كثيرا بعد ان خرج الكتاب وطبعت التراجم ولكن انصحه ، ان السرقة الادبية ستؤلم ضميره ان تحرك ضميره يوما ما ... ولن

اطيل عليك المقدمة فكتابى يقدم نفسه ، ويكشف عن ذاته ، ومن حسن الحظ ان يخرج هذا الكتاب فى عصر تتمتع فيه البلاد بالحرية والاستقلال وهى فى فجر نهضة مباركة فى عهد المجاهد الكافح ادريس الاول جعل الله عهده للامة زاهرا وبالمجد عامرا حتى تاخذ مكانها فى ركب العروبة السائر لحو القمة والسلام .

على مصطفى المصراتى

العالية كلية اصول الدين
العالية مع اجازة التدريس
كلية اللغة العربية

طرابلس الغرب ١٩ اكتوبر ١٩٥٥

تراجم ودراسات

ر

مدينة طرابلس

كما يصفها الرحالون العرب

عندما كنت في مصر طالما اشتاقت الى طرابلس باب المغرب وسيدة الصحراء وطالما تصورت منها صورا ذهنية وكنت استمع لوصفها من الاهل والاقارب والاصدقاء حتى اذا ما كبرت قليلا ذهبت الى كتب التاريخ والى مشاهدات الرحالين على اجد في ذلك صورة او صورا عن طرابلس واثارها ورجالها فتكون عندى من ذلك صورتان . صورة من القصص والاحاديث والاسمار وصورة من الرحلات .

وتشاء الظروف او يشاء الله ان ارى طرابلس واحل بها واعيش فيها اياما طوالا فكونت من هذا الصورة الثالثة عن طرابلس ... صورة المشاهدة والرؤية والاحساس ، ولكن الصورة التى قدمها لنا وحدثنا عنها الرحالون من العرب فيها طرافة ، وبها دراسة وهى صفحة من صفحات التاريخ وسطور طيبة من الذكريات . فقد كانت طرابلس معبرا وسبيلا للمشارقة الذين يريدون التوجه الى المغرب او بلاد الاندلس . كما كانت بطبيعة الحال معبرا وسبيلا للمغاربة والاندلسيين الذين يريدون التوجه للمشرق ..، ومن هنا كانت طرابلس محطا هاما وموقعا طيبا ياخذ ويعطى . يستقبل ويودع وكانت الرحلة

للحج اولطلب العلم فى الازهر او لطلب المجد والطموح وقد مرت بطرابلس الجيوش الاسلامية والقوافل العربية وركاب الحجيج وطلاب العلم وطلاب المجد وكل راحل وقادم من هولاء اخذ صورة وكتب صفحة عن طرابلس باب المغرب وطريق الا ندلس وسيدة الصحراء ...، وفى كلمتى هذه ساعرض لونا من احاديث بعض الرحالين عن مدينة طرابلس ...، واكثرالرحالة حديثاعن مدينة طرابلس واصدقهم قولا واحسنهم مرجعا هو (التيجانى) كانت رحلته للحج فى القرن الثامن عام ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨م واقام بطرابلس عاما ونصف عام واسمع معى التيجانى يصف مدينة طرابس اعزها الله (ولما توجهنا الى طرابلس واشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يعشى الابصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء وخرج جميع اهلها مظهرين الاستبشار رافعين اصواتهم بالدعاء) .

ويصف التيجانى عظمة طرابلس وآثارها ومدارسها ووالياها والحمامات والشوارع (ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرايت حماما صغير الساحة الا انه قد بلغ من الحسن غايته، ومن الظرف نهايته وهو الان محبس على بعض المساجد).

والشوارع الطرابلسية الجميلة يمر بها الرحالة التيجانى فيعجب . بالهندسة ويعجبه النظام وتروعه النظافة فيقول (رايت شوارعها فلم ار اكثر منها نظافة واحسن اتساعا واستقامة وذلك ان اكثرها تخترق المدينة طولا وعرضامن اولها واخرها على هيئة شطرنجية فالماشى يمشى مشية الرخ خلالها ورايت بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم اره لمدينةسواها) ويصف ابواب طرابلس وموقع الغنم وباب البحر ومنتزهاتها (وبخارج باب البحر منظر من انزه المناظر مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة واما داخل البلد فلا تكاد دار منه تخلو من نخلة او كرمة) .

و الازهار والرياحين والنرجس والورد المختلف العجيب يملأ طرابلس (وينبت بخارج البلد صنف من اصناف النرجس دقيق الورق لم ار اقوى منه فوحا ولا اعطر روحا وبالبلد مساجد كثيرة مشهورة ومدارس كثيرة) ويزور هذا الرحالة المدرسة التى اسسها ابن أبى الدنيا المحدث الطرابلسى المشهور ويحضر بعض الدروس فيها ويذهب الى اضرحة العلماء والادباء ويسال عن كتب علامة طرابلس ولغويها الفذ ابى اسحاق الاجدابى ويزور قبره ويشاهد بعض رسائله وكتبه بخطه وبعد ان يمكث بطرابلس المدينة عاما ونصف عام يودعها بقصائد طيبة ويثبتها فى رحلته :

وقال البكرى فى رحلته (واهل طرابلس احسن خلق الله معاشرة ،واجودهم معاملة ، وابرهم بغريب وعلى مدينة طرابلس سور جليل البنيان ، وهى على شاطىء البحر ، ومبنى جامعها احسن مبنى ، ولها اسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة وبطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود ، وفيها رباطات كثيرة ياوى اليها الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعاب ومرساها مامون من اكثر الرياح .

وهذا الرحالة العياشى ياتى من اقصى المغرب يسعى ويحل ضيفا على طرابلس فى القرن الحادى عشر سنة ١٠٧٢ هـ - ١٦٦٠م فيقول (كان دخولنا مدينة طرابلس قرب ظهر يوم الاربعاء ١٧ رجب وهى مدينة مساحتها صغيرة وخيراتها كثيرة ونكايتها للعدو شهيرة ، ومآثرها جليلة ، ومعائبها قليلة انيقة البناءمجسمة الغناء، عالية الاسوار متناسبة الادوار، واسعةطروقهاسهل طروقها).

ويعجب العياشى باخلاق الطرابلسيين وقوة ذكائهم وكثرة حدبهم على الغريب وحبهم له فيقول فى رحلته (الى ما جمع لاهلها من ذكاء الاوصاف وجميل الانصاف وسماحة على المعتاد زائده . وعلى المتعاقبين

بانوع المبررات عائده . لا تكاد تسمع من احد من اهلها لغوا الا سلاما . ولو لمن استحق ملاما سيما مع الحجاج الواردين او الى من انتسب الى الخير من الفقراء العابرين فانهم يبالغون فى اكرامهم) ويصف العياشى ابواب طرابلس ومساجدها وعلماءها ورياضها ويذكر فى رحلته كثيرا من الاخبار والاشعار الا انه والحق يقال ويكتب كان العياشى مخرفا فى التاريخ كثير الاعتقادات فى الاولياء والكرامات فمن الخرافات التى رواها «العياشى» عن مدينة طرابلس ان اهل المدينة كانوا اهل دنيا عريضة ومالهم بالحرب عبرة وقدم عليهم سبعة من الاجانب تجارا نزلوا بالشاطىء واشترى طرابلسى من عندهم واستضافهم رجل آخر وقد قدم لهم مائدة ودق ياقوتة ثمينة دقا ناعما وذرها على الطعام فبهت الاجانب من هذا الصنيع فلما اكلوا قدم لهم «دلاعا» وطلبوا سكينا فلم يجدوا فى الدار ولا عند الجار الى ان اشتروا من السوق سكينا فلما رجع الاجانب الى ملكهم قالوا ما راينا بلدا اكثر من طرابلس مالا ولا اقل سلاحا واعجز عن المدافعة ، وكان بعد هذا ان اخذت طرابلس فى ليلة واحدة ....، هذه خرافة طبعا كيف لا يوجد فى البيت سكين وصاحبه ثرى ثم كيف يدق الياقوت على الطعام ؟

مكث «العياشى» فى طرابلس اشهرا قليلة ونظم فيها اشعارا كثيرة من نوع شعر المتاخرين الذى يقعد عل الطريق مدليا بلسانه منها قصيدة تبلغ ١٥٠ بيتا سماها نفثة المصدور الى الاخوان والصدور ...، وهى مع ذلك مرجع طيب اما الرحالة ابن جبير الاندلسى

فكانت رحلته فى القرن السادس سنة ٥٧٨هـ ١١٨٢م ولكنه مع الاسف لم يذكر شيئا فى رحلته عن مدينة طراباس وذلك انه رحل عن طريق البحر فى سفينة صغيرة من غرناطة الى الاسكندرية واستغرقت رحلته الخطيرة ستة اشهر وصف

الاسكندرية وعمودها ومصر واهرامها ولكن طرابلس لم تظفر منه بشيء
واما الرحالة ابن بطوطة فكانت رحلته فى القرن الثامن سنة ٧٢٠هـ ١٣٢٠م
يحدثنا ابن بطوطة عن طرابلس فى سطور قليلة وكلمات ضئيلة هزيلة (ثم خرجنا
من قابس قاصدين طرابلس وصحبنا فى بعض المراحل نحو ١٠٠ فارس ووصلنا
مدينة طرابلس واقمت بها مدة وكنت عقدت بصفاقص على بنت لبعض ابناء تونس
فبنيت عليها فى طرابلس وخرجت من طرابلس فى اواخر محرم واقام الركب فى
طرابلس خوفا من البرد والمطر وتجاوزنا مصراتة وقصر سرت ووقع بينى وبين
صهرى مشاجرة اوجبت فراق بنته الخ .)

ولعل من الطريف ان اذكر هنا معلقا ان ابن بطوطة لم يذكر شيئا عن
مدينة طرابلس سوى انه دخل وتزوج ثم طلق فى سرت ثم تزوج مرة اخرى
ان ابن بطوطة كان مشغولا بالزواج اى كان عريسا فى طرابلس ولم يكتب
شيئا فى مذكراته ويومياته وايام اقامته فى طرابلس خوفا من البرد والمطر هذا
لايكفينا من ابن بطوطة عن طرابلس المدينة العظيمة وقد نلتمس له سببا آخر
لعل ابن بطوطة كتب شيئا عن طرابلس ولكنه ضاع وذلك لان هذه الرحلة
التى فى ايدينا ليست كما كتبها ابن بطوطة بل هى من ضم وجمع (ابن جزى
الكلبى) كما ان رحلة ابن جبير الاندلسى التى بايدينا جمع وضم (ابى الحسن الشارى)
لعل هذا هو سبب الاختصار او الاغفال ومهما يكن من امر فان ابن بطوطة
ما انصف طرابلس كما انصف القاهرة والاسكندرية والهند والسند واما الذين
كتبوا فاكثروا واشبعونا كتابة فهم التيجانى والعياشى والبكرى والعبدرى وصاحب
كتاب تفريج الكرب الحشائشى سيدى القارى يظهر ان قلمى انزلق على الورق
فامسك به الان وموعدى معك فى ايام مقبلة حيث احدثك عن رحالين آخرين
ثم احدثك عن طرابلس فى الشعر العربى .

الاديب العالم والباحث الدارس

ابو الحسن بن المنمر

٣٤٨ هـ ٩٥٩ م - ٤٣٢ هـ ١٠٤٠ م

أبو الحسن بن المنمر

هذا رجل من رجالات طرابلس شارك فى ميدان العلم فكتب والف، وافادودرس، وساهم فى ميدان الادب .. فسمع وروى ونقل وحاضر، وناقش وحفظ واستوعب ..، وشارك فى ميدان السياسة فغمرته وقدمته واخرته..، حتى جنت عليه حوادثها فكان ضحية من ضحايا الاضطهاد والنفى والغضب ..، واشترك فى الحياة الاجتماعية فلم يكن شيخا منزويا ولا منقطعا عن موكب الحياة ..بل كان حيويا اعطى للحياة سهامها حتى راشته السهام ... وسافر وارتحل وتغرب وشرق ..، فكان مستفيدا مطلعا اخذ من تجارب حياته صلابة الراى وقوة الفكر والصمود للحادثات مهما بلغ عنف تيارها.

فكان ابو الحسن على بن المنمر فى طرابلس علم وقته وشيخ زمنه ورائد قومه ..، فى سبيل مذهبه ورايه دفع راحته وطمانينته ...وجاهر برأى عندما كان كل الناس يضعون آراءهم فى اكمامهم وكانت تدور همسا فجعلها علانية رغم ما تألب عليه وما جرته الحوادث من زعزعات وكوارث كانت صفاته من قوة الارادة والجرأة الممتلئة بالمعرفة والمحوطة بالادب والفطنة صفات حمد وثناء ولكنها تجر احيانا على صاحبها المصاعب والارزاء.

وهو من اقدم رجال الفقه والرأى فى طرابلس الغرب اذ كان من رجالات القرن الرابع الهجرى وعلى وجه التاكيد كان مولده سنة ٣٤٨ هـ - ٩٥٩م بمدينة طرابلس ولد فى بيت فيه نعمة وثراء ودار متسعة الارجاء مفتوحة الابواب للوافدين شان الكرماء وكان بيت ابن المنمر فى وسط المدينة ملاصقا لمسجد (ابى مسلم

مؤمن بن فرج الهوارى) وقد اطلق هذا الاسم على ذلك المسجد لان «أبا مسلم» كان يدرس فيه ويفصل محكم الايات ويبسط جوامع الكلم ..، فى عهد ازدهرت فيه علوم الحديث وفروع الدراسات الاسلامية.. وقد توفى ابو مسلم هذا سنة ٤٤٢هـ. ١٠٥٠م بطرابلس ومن نافلة القول ان نذكر كيف درس ابن المنمر فهو بلا شك سار على درب اترابه من دراسة القرآن حفظا وعلوم الاوائل على طريقة السلف..، غير ان نضج الفتى ظهر قبل اوانه وتفتحت بشائر نبوغه حتى وهبه اهله للدراسة والتبحر فيها..، وقد كان له ميل الى (القرآن) وما يتصل بفن (الميراث) من حساب وتقويم وتقدير وضرب ..، وكان فن الميراث يتطلب حضور ذهن ودقة انتباه .. وكان ابو الحسن بن المنمر صاحب رحلة ونقلة وقد استفاد من رحلاته وتنقلاته تأدية فرض الحج ثم ملاقاة اهل الفكر والادب والعلم من شيوخ واساتذة . فقد اتيحت له جلسات مع الفقيه ابى محمد ابى زيد فنهل من فيض تبحره .. ودرس مذهب مالك دراسة خبير فاحص وناهيك (بابى زيد) اذا حدث فى فقه مالك وناهيك بابن المنمر اذا جلس للاستيعاب والالتقاط ... استاذ ممتلئ وتلميذ فهم عطوش ان صحت هذه الصياغة..، وفى رحلته الى مكة ام القرى صقلت ملكته الادبية عندما زج بنفسه فى حلقات اهل الفكر والادب ورواة الشعر من الذين كانت تموج بهم مكة المكرمة وخاصة فى مواسم الحج حيث تتلاقى الافكار وتتلاقح العقول ... ويكون فى سوق الادب والفن صادر وارد وآخذ ومعطى..، وعند مكة فى عصورها الزاهرة وفى ظلال الكعبة المكرمة نبتت آثار طيبة وكانت ثمرا طاهرا من لقاح العقول والصدور ،.. وكان ابن المنمر عندما وفد على مكة فى سن مكتملة وعمره ٤١ عاما فى سنة ٣٨٩هـ - ٩٩٨م استوت رجولته ولكنه ما زال نهما للاستفادة وتطلب العلم والتقاط شوارد الادب وهل كان يعرف اولئك الرجال الافاضل سنا يقف فيها طالب

العلم عن الاخذ والتناول والرواية والسند والاستناد ؟ .

وفى مكة لقى ابن المنمر الشاعر الاديب الظريف «احمد بن زريق البغدادى» صاحب القصائد التى تنم عن نفس هزها الحب واحرقها الشوق المتاع ..، واخذ الطرابلسى يصغى الى ابن زريق البغدادى ويروى عنه معجبا به متاثرا من دقة احساسه واحتراق انفاسه ،... وكم من امسية عند ظلال الكعبة المقدسة اخذ ابن زريق يروى قصائده وابن المنمر وغيره من رجال الادب والفكر ينصتون ويروون ...، ويلتف حول ابن زريق لفيف من الاجناس المتعددة الذين قدموا مكة ولا عجب فشعر ابن زريق جذاب بل كان يقال قديما «من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف» وقد استكمل ابو الحسن بن المنمر الطرابلسى كل اسباب الظرف والادب فهو انيق ظريف فصيح طليق ذليق وهو يصغى كل الاصغاء لاستاذه ابن زريق وهو يردد

لا تعذليه فان العذل يولعه ... قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

جاوزت فى لومه حدا اضربه ... من حيث قدرت ان اللوم ينفعه

وقصيدة ابن زريق قد انشدها بمكة ونظمها هناك ولم ينظمها ببغداد فهو يحترق ويسمع الملتفين حوله

استودع الله فى بغداد لى قمرا ... بالكرخ من فلك الازار مطلعه

ودعته وبودى لو يودعنى ... طيب الحياة وانى لا اودعه

وكم تشفع بى الا افارقه ... وللضرورات حال لا تشفعه

ترى كم من مرة رددها ابن المنمر؟ وكانه يستودع شيئا له فى طرابلس؟ وما يدرينا لعله وجد فى قصائد ابن زريق وحرقات انفاسه صورا فنية واحاسيس مشابهة !..، فقد كان من تلامذته رواة شعره والمعجبين بانشاده غير ان الفرائض

والمواريث وحساب الازمنة والامكنة وفروع المسائل الفقهية والمذهبية وحوادث مجتمعة ، كل ذلك غطى على شخصيته الادبية وكشف عن معالم اخرى من شخصيته الفذة ..، وكما جلس الى ابى زيد يستوعب مسائل الفقه وجلس الى ابن زريق يروى الشعر الطلى فانه يجلس الى الشيخ ابى القاسم عبد الرحمن الجوهرى فيروى عنه وينقل منه ويتتلمذ عليه ...، فيكون قد استكمل الدعائم الثلاث الفقه والادب واللغة ..، وهى مقومات الشخصية العلمية فى عصور مضت ، وعاد ابو الحسن ابن المنمر الى بلده طرابلس بعد ان ادى فرضا واكتسب جديدا واراد ان يسهم فى الدرس والتوجيه وكانت حلقات المساجد مجالا لنشاطه وان كان يتطلع الى اكثر من هذا فهو لا يكتفى بالدرس والشرح بل كان اكثر نشاطا وحيوية

وفى مجال التاليف قدم كتابه (الكافى) الذى عد عمدة فى فنه ومرجعا فى بابه ودرسه علماء المشارقة وعلماء المغاربة واشار اليه «ابن خلدون» كان ما يكتبه ينقله تلامذته ومريدوه باتقان وعناية.. ومنذ عودته لطرابلس اشتغل بالتاليف والتدريس ولكن ليس هذا فقط ما يظهر اثر شخصيته بل نجد فى تاريخ هذه الفترة موجة تكتسح البلاد بل تكتسح الشمال الافريقى كله . موجة عاتية مزمجرة من المذهبية والطائفية والاراء التى انتقلت من حلقات المساجد والسنة العلماء والفقهاء الى رؤوس الحكام واهل السياسة..، فوجدوا فيها ميدانا لما يريدون والتوجه بها نحو ما يبتغون وكم شهد تاريخ السياسة وتاريخ الثقافة الوانا من المذاهب والطوائف والملل والنحل تطورت وانتقلت من المناظرات والمجادلات من بطون الكتب الى اروقة السياسة..، بل الى ميدان التطاحن الحربى بدل التطاحن اللفظى والخلاف المذهبى..، وهذا ما يسطره كثير من تواريخ فترات ودويلات وقلاقل وشخصيات ومدارس تجدها

مبسوطة ظاهرة فى مكان بحثها ،...ولا يهمنا من هذا كله هنا الا شيء واحد ..،هو ان صاحبنا الذى نترجم له قد غمرته امواج من الخلافات الموجودة فى ..،عصره وزمنه خلافات فى آراء مذهبية واجتهادات فكرية وتطاحن بين القوة الحاكمة باسم ذلك الرأى ... الذى تملكوا به الشمال الافريقى كله وبين آراء اخرى درسها وآمن بها وتمعن فيها الفقيه الفرضى ابوالحسن على بن المنمر ...،وكان الصراع عنيفا بين (آل عبيد) الذين نشروا «الرفض» وبين ابن المنمر الذى اراد ان يبسط مذهبا درسة وتعمق فى اصوله وفروعه ... هو لا يريد من نشر آرائه الا ابانة الكتاب والسنه ومذهب ابن انس وهم يريدون امورا اخرى من السياسة والتملك وسيطرة الادارة وكان من الصعب جدا ان يجاهر ابن المنمر بما جاهر به وخاصة فى هذا القرن وفى تلك الفترة بالذات سنة ٤٠٨هـ وكاد يندثر مذهب ابن انس وقد ضاعت آثاره وتاثيراته لولا ابن المنمر الذى جدده فى طرابلس الغرب واحياه من مواته ..... واعاد الناس الى حظيرة اهل السنة والجماعة وهو كما اثبت الباحثون .. اول من اقتطع من الاذان عبارة كانت تكاد تكون شعارا (لبنى عبيد) (حى على خير العمل) ورفض ابن المنمر الرفض وجاهر بالاذان المعهود (حى على الصلاة) وكان الاذان طبعا يتطلب جهرا واجهارا فكان سببا فى تالب (بنى عبيد) عليه والنظر بروح الاحتياط منه..، ثم هو لا يكتفى بهذا بل يدعو الناس الى صلاة الضحى التى كان اهل الحل والعقد فى بلدهم قد منعوا منها الناس وشددوا فى المنع حتى القى فى البحر من صلاها... فجاء ابن المنمر يدعو الناس علانية الى احياء هذه السنة صلاة الضحى، وليس هذا فحسب بل هو يجد البلاد قد قطعت سنة حميدة، سنة صلاة القيام وصلاة التراويح خوفا من سيطرة (بنى عبيد) الذين منعوا الناس منها وشددوا..، ويذكر التاريخ حيلة من حيلهم فى المنع ان يقرأ المصلى لها ختمة

كل ليلة وكان ذلك يشق على الناس فتركوها كما يريد (بنو عبيد) وكما تطلب اراؤهم فكان ابن المنمر داعيا الى احياء سنة التراويح والاقامة كل هذا جعله فى مستوى النظر او مصاب المرمى والهدف...، فما كانت هذه الشعائر تقام او يجرؤ احد على التحدث فى شانها لما كانت من ظروف مذهبية مشددة سيطر بها (بنو عبيد) فى القرن الثالث وشيئا من القرن الرابع وهى فى الواقع خلافات لا تقدم ولا تؤخر فى جوهر العقيدة، ولكن كما سبق ان اشرنا هى موجات من الفكر والاراء احتضنها - بنو عبيد - كى يشقوا طريقهم نحو التسيطر والتحكم .. ولكن ابن المنمر العالم الورع الذى يريد احياء سنة رسوله وشعائر نبيه ابى ان يرى تشددا فيصمت او معروفا مهجورا فيسكت او منكرا منتشرا فيسكت فتصدى شان العالم المسلم الصادق للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحياء السنة المحمدية ، وقد حدث الشيخ ابو الحسن القابسى عن صنيع (بنى عبيد) فى القيروان وغيرها من هذا الحديث نستطيع ان نفهم بقدار ما كان يعانيه ابن المنمر فى طرابلس ويتحدث القابسى عن الموقف الذى وقفه الشيخ ابو زيد القيروانى هناك وهو استاذ ابن المنمر الطرابلسى فكان موقفا فيه من الحنكة والترفق ما جعله بمنأى عن العنف والشدة اما صاحبنا وتلميذه ابن المنمر فى طرابلس فقد شاءت الظروف والاحوال ان يصطدم مع (بنى عبيد) اصطداما عنيفا حتى انتهز بعض الفرص واراد الايقاع بهم مقابل ما صنعوه من عنف وتشدد .. فاشترك فى السياسة وهذه السياسة آفة ملعونة فى كل عصور التاريخ شرها اكثر من خيرها، وضررها اكثر من نفعها ولهيبها ، يؤذى اصحاب الفكر والعلم غالبا، وما كان اشتراك ابى الحسن على بن المنمر فى مجال السياسة قاصدا به ماربا خاصا انما ساقته الاحوال ودفعه الدفاع عن الاراء المذهبية التى أنبرى لحفظها وصونها من التداعى

والانهيار ... ولكنها كانت خطة جرت عليه كارثة بل محنة وفي الاضطرابات السياسية التي هزت البلاد واجتاحت اكثر الشمال الافريقي كان ابن المنمر يود لو يجد من يسند آراءه ويعضد به مذهبه ويجاهر في ظله بافكاره الفقهية واجتهادات اصحاب المذهب السني الذي حمل لواء الدفاع عنه، وعندما قتل (زغبة) سنة ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧م سعيد بن خزرون وجد ابو الحسن ابن المنمر الفرصة السانحة لبعث دراسة منهجه الذي سلكه واحياء آراء مالك بن انس ...، بل ليس هذا فقط ....، بل نزل ابو الحسن ابن المنمر الى ميدان السياسة وخاض في معامع الحوادث بكل جهده وكل حواسه حتى اشرف على الهلاك من جراء ما جرته الحوادث في تلابيبها ...، ارتاح الفقيه العالم من سيطرة (سعيد بن خزرون) وساعد خصمه ومعارضه (خزرون ابن خليفة) ساعده بالراي والفكرة بل بالرجال والمال ...، ويحكي التاريخ المسجل لتلك الاونة وعواصفها ان الشيخ الفقيه (فتح) مدينة طرابلس وما كان ينبغي من وراء ذلك (الفتح) ماربا خاصا ومغنما شخصيا .. وما كان من حركته يريد ان يستاثر بشيء لنفسه فما كان يطلب حكما ولا يبغي تحكما ...، انما كان كل همه وغرضه من الحركات المتطورة ، والمساهمة فيها .. هو نشر مذهبه واعلان ما كان يستره الناس من اراء تدور حول ذلك المذهب الذي كاد ان يندثر ويتلاشى ...، فاحياه كما احيى طريقة الامام السالك (الجنيد) مما كان له اثر كبير في تطورات الاحداث في سنة ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧م ووقف مؤيدا(لخزون بن سعيد) واقام هذا الاخير حاكما لطرابلس شهرا ومن غير شك كان سنده ومستشاره والرجل المفضل عنده هو صاحب الفضل عليه الشيخ ابو الحسن بن المنمر ...، ولكن هل يطول ارتياح خزرون ابن سعيد وصاحبه الفقيه ؟ لم يات شهر ربيع الاول من السنة التالية سنة ٤٣٠ هـ - ١٠٣٨م ولم يكد يرتاح ابن المنمر من سعيد وبني عبيد حتى يصل الى مدينة

طرابلس المنتصر بن خزرون وكان هذا الرجل مويدا لمن عارضه وحاربه ابن المنمر.. وكان المنتصر بن خزرون ساخطا على ابن المنمر وعلى تاييده لخزرون بن خليفة . وجاء هذا الساخط الناقم فى عرمرم من الجيش وكتائب من عساكر (زناته) فيهم شدة وباس يطيعون امر المنتصر بن خزرون طاعة تقلق راحة ابن المنمر وحليفه (خزرون بن خليفة) وهنا يشعر حليف ابن المنمر بالخطر الداهم ...، ويدرك عاقبته لو وقع اسيرا فى يد الساخط الزاحف وتسلل خزرون بن خليفة هاربا تاركا البلد...، نافذا بنفسه ناجيا بجلده ... وجد الشيخ ابن المنمر نفسه بعد فرار صاحبه فى حيرة .. والامور تتطور بسرعة عاجلة .. والحوادث تلتف فى العجلة الدائرة، هل يستطيع ان يتملص وينكر ؟ وكل الدلائل اصابع تشير الى مدى اشتراكه وتوجيهه ودوره فى الحركة المضادة للزاحف الساخط الباحث عن اتباع ابن المنمر واتباع الهارب خزرون بن خليفة .... لقد مهد ابن المنمر للحركة المضادة واشتركا فيها اشتراك فعالا .. وجد ابن المنمر نفسه فى مآزق ومزالق واجواء خانقة ... ان الرياح تسير بمركبته نحو الهاوية ... بعد كل ذلك الجهد وذلك الجهاد ؟ انها اخطار السياسة لا تدرى كيف تهب سمومها ولا كيف تتبدل عجلة الاحداث .. ويقدم المنتصر بن خزرون فى جلبته وكوكبته ويقع ابن المنمر فى يده .. وقف الشيخ تجاه الساخط الزاحف وجها لوجه .... ما عساه ان يفعل وليس معه الان من سلاح سوى الاراء والافكار .. وهل تجدى فى ميدان اللقاء لقاء خصم يجر وراءه جيشا وعساكر ؟ وقع فى يده وقعة المغلوب فى يد الغالب المغيظ الحانق ...، فماذا كان مصير ابى الحسن ابن المنمر؟ بعد ان هرب من أيده وعمل فى جانبه ؟ كان يود المنتصر ابن خزرون لو يستطيع ان يفتك باين المنمر الفتك الذريع وان يهدر دمه ولكنها حوائل حالت دون ذلك وموانع صدته .. كبر سنه فهو يقارب الثمانين ...، وقار العلم

وشيبة لها اثر وتاثير ثم مكانته وقيمته ..، اهل البلاد جميعا يحترمون علمه ويقدرون وقاره .... لا شك ان الفتك به سيكون له اكبر الاثر السيء فى نفوس اهل البلاد وانها تجر عليه قلاقل فوق القلاقل ولهذا آثر المنتصر بن خزرون الا يقتل ابن المنمر كما قتل كثيرا من الخصوم والمحاربين له ... ولكن بقاء الشيخ ابن المنمر فى مدينة طرابلس لا يرتضيه ولا يرضيه ...

ولجا الزاحف الساخط الى الانتقام من اتباع ابن المنمر... وضيق كل التضييق على فقيه البلاد ، وحاصره وشدد عليه الخناق وصادر املاكه ..، ومصادر ارزاقه وعذبه عذاب الهدهد عندما ينتف ريشه ..، ويلقى به فى واد سحيق. وليس بدعا فى تاريخ الفكر الاسلامى ان يجد احد الفقهاء والعلماء عنتا وتعنتا ويشرب الكاس مرا مرارا..، فقد اضطهد الباحث المرشد الامام «ابن تيمية» على آراء نشرها وافكار بذرها وقبله كان الامام «احمد ابن حنبل» الهبت السياط ظهره وكادت ان تقطع انفاسه لاجل الجدال حول مسالة من مسائل التوحيد والتشريع وكان احمد ابن حنبل صامدا صابرا لما وجده من شدة وما لقيه من قسوة..، وعلى منهجه سار كثير من الصابرين من رجال الفكر الاسلامى، تناثروا فى سماء الفكر تناثر النجوم فى الليالى الحالكة ..، كذلك لقى ابو الحسن بن المنمر مثلهم الوانا من الاضطهاد والتعذيب والتضييق كانت آراؤه الفقهية واجتهاداته المذهبية تتلجلج فى صدره ولا تجد طريقا للانطلاق .. وكان الشيخ الفقيه والعالم الدارس يبحث عن تلاميذه فلا يجد لهم اثرا ظاهرا ..، فقد انفضوا من حوله بسبب الحصار الذى ضربه عليه الزاحف الساخط وضربت الاسوار بين الشيخ وطلابه بين العالم وانصاره ولم يستطع ابن المنمر ان يجد حلال رزقه ولا حلقة درسه ولا راحة لنفسه . بل وجد اياما ذات رهبة قضاها الشيخ فى شدة وحصار ومراقبة وتهامس وحذر واخذ بالخناق..، وكل هذا كان يؤلم الشيخ ابن المنمر اشد الالم فصبر صبرا

اهل الايمان يبدد ظلام اجوائه بما يجده من حلاوة الثقة بالله والاعتماد عليه ..، ولم يكتف المنتصر بن خزرون بالتضييق والمصادرة واقصاء الناس من حوله ومصادرة الاملاك بل منعه من مواصلة الدرس في الجامع والدرس في البيت..، والعالم يتحمل كل شيء ويهون عنده كل شيء الا عندما يحبس علمه او يحبس عنه العلم ، عند ذاك يرى الموت الاحمر والموت الاكبر .. يتجرعه ولا يكاد يصيغه ، وايضا لم تقف محاربة المنتصر بن خزرون عند هذا الحد بل نفى ابن المنمر الى خارج طرابلس .. نفاه الى خارج المدينة .. الى قرية من القرى التي كانت في ذلك الوقت قليلة السكان كثيرة الصخور والنتوء ...

وكان يود الشيخ المنفى ان يحمل كتبه ويصحب معه من يؤنسه في المنفى ولكنه ما استطاع ان يحمل معه الا مؤلفاته التي يعتز بها ويخاف عليها من الضياع ، ولم تهم الشيخ ابن المنمر املاكه المصادرة ولكن مؤلفاته في الفرائض وفي الفلك والازمنة والامكنة ..، وغير ذلك من فنون اللغة والتشريع خاف عليها من ايدي العابثين ..، فنقلها معه واوصى تلاميذه بالمحافظة عليها ،ولولا محافظة طلابه عليها لما بقيت كتب ابن المنمر فيما بعد اجيالا طوالا تدرس وتعتبر من الاسانيد الصحاح في بابها حتى انه في القرن الثامن الهجري عندما اجتاز على طرابلس من المغرب الفقيه ابو محمد عبد الله ابن عبد الكريم الغماري قاصدا المشرق سنة ٧٥٤هـ - ١٣٥٣م درس عليه طلاب طرابلس كتاب «الكافي» لابن المنمر فوجود هذا الكتاب في القرن السابع وبعده وقراءة علماء المغرب له قراءة درس تدل على قيمته من ناحية وتدل على مدى محافظة ابن المنمر وتلامذته على كتبه خوف ضياعها من وهيج الفتنة ولهيب الاحداث. وهناك في قرية (غانمية) او (غنيمة) من قرى (مسلاته) القى بالشيخ مغضوبا عليه منفيا .... على كبر في السن ... وتقدم في العمر اذ كان

يناهز الثمانين ... وفى هذه القرية النائية ذات الصخور الناتئة بقى ابو الحسن بن المنمر منفيا عاميين كاملين قضاها فى التعبد والتهجد وبين الحين والحين يقدم اليه من أخلص له من طلابه بما يكفيه من زاد ويقدم اليه من اراد ان ينهل من معين علمه ويغترف من بحار فضله ..، كان ابو الحسن ابن المنمر فى منفاه (بغانمية) مسلاته مثل عين الماء الطاهرة الصافية فى جوف الصحراء يرد اليها الظمآن فيرتوى ويجد فى ظلالها امنا واستراحا .. ولقد شعر اهل القرى المجاورة بالعين الصافية وبالمصباح الذى يرسل ضوءه فى فيافى الصحراء فقدروه وعظموه وقد سبقه اسمه مشيرا اليه ... ودالا عليه .. عاملين كاملين قضاهما الشيخ ابو الحسن بن المنمر فى منفاه يفيد ما امكنه الافادة ويرشد ما امكنه الارشاد ، وهكذا كانت سيمة العالم المخلص لعلمه حتى فى الميافى والسجون وفى اوقات الشدائد يرسل من علمه اشعة ويغدق من فضائله وشمائله اغداقا دون تقيد بمكان او زمان ، او تاثر بحالة من الحالات .

وقضى اجله المكتوب له .. وانهى عمره المقدر فى مسلاتة عام ٤٣٢هـ - ١٠٤٠م فى منفاه وله من العمر اثنان وثمانون عاما قضاها فى العلم طالبا واستاذا وفى البحث دارسا ومؤلفا وفى السياسة متقدما ومتاخرا ومسموع الكلمة ومغضوبا عليه وفى الرحلة مشرقا ومغربا .

وهناك على قارعة الطريق فى (مسلاتة) لا يزال ضريح (ابن المنمر) موجودا يزار كاى ولى من الاولياء .. وكثير من الناس لا يدرك من هو هذا ؟ ولا يعلم اهل مسلاتة ان عندهم يرقد شيخ عظيم من شيوخ الرأى والفقه وضحية من ضحايا السياسة واضطرابها وعلم من اعلام طرابلس (ابو الحسن على بن المنمر) الذى غضب عليه خصمه ورضى الله عنه .

ابو يحى بن مطروح علي شاطيء
الاسكندرية يتذكر ايامه في طرابلس

لوقفة عند «باب البحر» ضاحية

وباب «هوارة» وموقف الغنم

اشهى الى النفس من كسر «الخليج»

ومن «دير الزجاج» وشاطى بركة الخدم

أبو يحيى بن مطروح

... وهذا علم من اعلام طرابلس ، كتب صفحة فى تاريخها ، وشاهد فترة عسيرة من تطور احوالها ، وكانت له كلمة مسموعة ومكانة محترمة يجله قومه بما يوازى قدره ويظهر فضله واحترمه حتى (الصقليون) اصحاب الاسطول فى تلك الفترة .. فكان .. (ابو يحيى) رافع بن مطروح سياسيا كيسا اكتسب من تصاريف الدهر تجارب وخبرة وحنكة وحكمة افادته فى حياته الخاصة والعامة ، فكان (سفيرا) فيما بين القبائل وحكما فيما بين العشائر وساعيا بالخير ومفاوضا من طراز (السياسيين) او بتعبير العصر الحديث (الدبلوماسيين) اخلص كل الاخلاص وجعل فرصه المواتية . للصالح العام ، وامتاز (ابن مطروح) بنظر حاد ونظرة بعيدة وقياس الغائب على الشاهد لاستنباط ما يمكن صنعه والسير عليه فكانت نظرته الفاحصة الدارسة ابعد من محيطه وفكره ابعد من جوه .. وقد كان (لبنى مطروح) فى طرابلس الغرب اصل وحسب وقيمة وكانت ادارة البلاد فى يد مشائخ (بنى مطروح) فقد انقرضت اسرة (بنى خزرون) وتلاشى حكمها من طرابلس وظلت فى شبه استقلال ونوع من التحرر وادارة يدير دفتها شيوخ بنى مطروح ولكن وجد هولاء بعض القلاقل والتائيرات ولم تجتمع كلمة الناس ومحبة الناس فى البلاد مثل ما اجتمعت(لابى

يحيى بن رافع) فقد كانوا اشد حبا له واعظم تقديرا لما امتاز به من الاشادة والاجادة وحسن التصرف والعاملة لما فطر عليه من خلق سمح ومروءة ورأفة واتساع افق ورحابة صدر .. وقد وجدت (صقلية) فرصة مواتية للهجوم على الشاطىء الطرابلسى وطبعا كان الهجوم امرا مبيتا مدروسا شان كل الهجمات والصدمات لا تاتى فجاة وبغتة بل بعد دراسة وتربص ومقايسة وطول انتظار حتى تسنح الفرصة المناسبة والهجمة المباغتة وهيأ نفسه قائد الاسطول الصقلى (رجار) . كان ذلك فى الثلث الاول من القرن السادس الهجرى او على وجه الدقة سنة ٥٣٧ هـ - ١١٤٢م فى ليله ٩ ذى الحجة ليلة عرفات والمسلمون فوق الجبل المقدس يكبرون واهل طرابلس يعدون العدة للعيد وتكبيرات العيد ... واذ بمشاعل اسطول (صقلية) تضىء وتقترب رويدا رويدا فى تسلل .. وكان على الاسطول الاميرال (جورج ميكائيل) وقد اطلق عليه ايضا فى بعض المصادر وعرف باسم «جورج الانطاكى» وكانت هذه الغزوة الاولى غير موفقة له ولم يفلح فيها فارجع الاسطول كرته مرة اخرى بعد ثلاث سنوات اى سنة ٥٤١ هـ الموافق ١١٤٦ م عن طريق الشمال الافريقى وقد كان تضافر الجهود وتوحيد الكلمة واجتماع مشائخ بنى مطروح سببا فى صد اسطول صقلية ولكن فى الهجمة الاخيرة كانت خطة (جورج ميكائيل) اكثر حذرا واحاطوا مدينة طرابلس برا وبحرا فى ثالث يوم من شهر محرم وقد انتهز جنود (رجار) خلاف اهل البلدة وخلاف بنى مطروح ايضا وقد حاولوا ازاحة بنى مطروح وقدموا رجلا ملثما كان فى طريقه للحج واقام اسطول (صقلية فى الميناء) ستة اشهر كاملة ثم حفروا وخندقوا وجهزوا واخذوا معهم رهائن واسرى من قبائل بنى مطروح وايضا الرجل الملثم الذى وجده الصقليون

بديلا عن بنى مطروح ثم من هنا تبدأ صفحة لصاحبنا ابى يحى فقد ولى على طرابلس وكانت هذه الولاية من اصحاب الاسطول الصقلى ولكن هذا لا يقلل من شان ابى يحى بن مطروح بل يبرهن على قوة شانه وعظم مكانته فى قومه ثم يبرهن لنا ايضا على اخلاصه نحو بلده وبنى قومه فيما ابداه من ضروب الاصلاح ولم يكن (ابو يحيى) ميالا الى تسيطر وتشدد بل كان فيه رحمة المؤمن وكياسة الحاذق وتروى الحازم وصبر المغلوب المنتظر وقد ظهرت فيما بعد نواياه الحسنة وروحه المسلمة العربية لقد فاوض فى صالح بنى قومه وحافظ على طابع البلاد القومى وشعورها الدينى ومقدساتها وشئون التعليم والدراسة فيها : وجه (ابن مطرح) جهده مخلصا لا لقتال وصد اسطول (صقلية) فقد اتزن ووازن وقاس بميزان التريث فوجد ان الكفة ليست فى صالحه والمجازفة احيانا تكون ضربا من التهور وابن مطروح فيه حنكة الشيوخ وصبر المنتظر للحوادث والمرتقب للغد البعيد وصاحب النظرة السياسية هو من يعرف ماذا يحتمل ان يكون بين طيات الغد من احداث ويوازنها بالموجود من الحوادث ومعناها الخبرة والدقة وحسن الفراسة .. ولا يكوف حكمه قاصرا على معرفة الموجود المشاهد فقط بل ما وراء المشاهد وما بعد الموجود ايضا وهكذا كان «ابو يحيى بن مطروح» ينتظر وينظر بمنظار بعيد الافق واسع المرمى بعد ان استلم ولاية طرابلس عكف على الاصلاح الداخلى وتنظيم شئون الادارة وترتيب القضاء ومسائل التعليم وكان اهم شىء تصدى له ووجه اليه جهده ، هو المحافظة على مقومات البلاد كبلد اسلامى وبقاء روحها كروح عربية وخشى ابن مطروح ان تضيع مقومات البلد وتذهب شعائرها بين هذه الامواج الصاخبة والجنود الهاجمة وقد كان مجهودا حميدا ووضعا قويما فقد حسن حال

طرابلس واستقام ميزانها ونظمت اقتصادياتها وازدهر عمرانها فى عهد «ابن مطروح» وقد شهد بهذا كل من زار طرابلس فى تلك الاونة وكل من كتب فى تلك الفترة وقد شهد بهذا ايضا « ابن الاثير» وناهيك به وحكم ابن الاثير فى التاريخ مشهور به مقبول معتمد ... ولقد قام « ابن مطروح » بأول مفاوضة فى تاريخ طرابلس مفاوضة بينها وبين قوات اجنبية غير مسلمة انابه فى الدفاع والمطالبة ابناء البلاد فاختاروه ليتكلم باسمهم واجمعوا على طاعته ومحبته وتفويضه بالاستشارة وتقدم «ابو يحيى بن مطروح» ممثلا عن طرابلس الى «جورج ميكائيل» صاحب اسطول (صقلية) واظهر المفاوض الطرابلسى رغبة البلاد فى المحافظة على شعائرها وامور دينها وادارتها الداخلية والا ... فلا شروط اخرى الا الجلاء جلاء اسطول صقلية والعودة من حيث اقبل ... هكذا كانت مفاوضة قصيرة ومصاولة سياسية اظهر فيها ابو يحيى حنكة وسرعة وايجازا وفعلا غادر الاسطول الميناء بعد ان تمت الموافقة على مطالب ابى يحى بن مطروح لا شدة ولا عنت لا اثارة ولا ارهاق ... بل سلم اصحاب الاسطول بالولاية «لابى يحى» وعدم التعرض لشئون اهل البلد فيما يتعلق بالشعائر الدينية والمسائل الداخلية فكان اشراف صقلية اشرافا خارجيا واصبحت مثل نظام الاستقلال الداخلى - ذهب اسطول صقلية من الميناء ولكن ليس معنى ذلك ذهاب سيطرة صقلية بل كانت كل تلك الفترة لها الاشراف والتوجيه ولكن كان ابن مطروح وطنيا حازما واداريا لبقا وشيخا يدير دفة البلاد ويحفظ امنها ويحل مشاكلها وينشر العمران فى ربوعها كان هذا هو الحل الذى رآه ليوازن بين مصلحة بلاده وبين سيطرة اصحاب الاسطول .. كانت خطوته وخطته لا غبار عليهما ولا شبهة فيهما بل اصرح من هذا لا نغالى عندما نؤكد ان خطوة ابى يحى بن مطروح دلت على

الاحساس الصادق والشعور القومى الخالص والنظر الى ابعد من البعيد والتظار ما يحمله الغد من احداث وحوادث وقد كان ابو يحى بن مطروح على ما دلت عليه اخباره واحواله يتمتع بقوة شخصية خارقة اكسبته مهابة جعلت الجميع يحترمونه حتى المهاجمون والخصوم والمتالبون وحتى القبائل التى تعودت التمرد والأغارة فقد حفظ ابو يحى التوازن وكان عادلا فى ميزانه ومن اصلاحاته فى شئون القضاء والتشريع ان اختار قاضيا عرف بالنزاهة والعفة وسعة الأطلاع فجعله قاضى طرابلس يفصل فيما شجر ويدلى فيما اختلف فيه بحكم صائب وراى يستند على الدلائل ذلك هو القاضى الشهير « ابو الحجاج يوسف بن زيرى » وهذا الشيخ عرف فى عهده بالتورع مع حب للامعان والدقة وقد كان ايضا يميل الى التاليف والكتابة بجانب التصدر فى الفصل فيما شجر بين الناس وقد اشارت بعض المصادر الى تاليف لهذا القاضى فى فن الوثائق واطلق عليه « الكافى فى الوثائق » وهذا الكتاب كان معروفا عند الفقهاء فى عصور مضت ولكننا مع الاسف نفتقد هذا الكتاب فلا نجده ونشير اليه ونثبت اسمه عسانا ان نعثر عليه فى مستقبل الايام ويكفينا هنا الاشارة الى ان والى طرابلس ابو يحيى بن مطروح اختار « ابا الحجاج ابن زيرى » قاضيا لعلمه وخبرته كما اننا نشير الى ان بعض الرحالين من العرب كان يطلق عليه « ابا الحاج » بدل ابا (الحجاج) .

اثنتى عشرة سنة كاملة وابن مطروح كان مسئولا عن البلد وقبائله واهله وعشائره .. وكان واسطة فى الاتصال بين (صقلية) وبين الناس الا انه كان واسطة خير وكان همزة لا تريد ان تكون موصولة دائما بل كان فيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخاصة من جلسائه يريد ان يقطع هذه الصلة ويجعلها همزة مقطوعة لو استطاع لجعل السيطرة التامة للبلاد لا لاصحاب

اسطول « صقلية » ولكنه لم يجد بدا ولم يجد حلا، الا النظر فيما يحدث بين طيات الافق البعيد، كان يحفظ التقاليد ويصون الشعائر وينشر تعاليم الدين ويحفظ موازين الحق، ولكن هذا ليس معناه استسلاما مطلقا ورضوخا ابديا لابناء «صقلية» ، أن ابا يحى يفكر ويقدر ..ولكنه صبور منتظر يقيس حوادث شمال افريقيا، وحوادث جاراته، فهل يستطيع ان يجد حلا؟ وهل يستمر على مفاوضته مع (الصقليين)؟ ام يلجأ الى صدهم وردهم بعد ان طالت المدة واصبحت اثنتى عشرة سنة متوالية ؟؟؟لم يكن ابن مطروح باليائس الذى قطع حبل الامانى، بل انه يفكر تفكيرا جديا فى ازاحة الصقليين وسيطرتهم وقد اثبتت خطوات ابن مطروح انه كان بحق ينتظر ويتربص ، او يريد ان يتصيد الفرص السانحة حتى يستخلص منها ويخلص، ويخرج من دائرة حكم « الصقليين»، كان يريد منفذا ومسربا ومهربا، فوجد ذلك فى حركات سياسية قامت فى الشمال الافريقى فى تونس . . . عندما قام « عبد المؤمن بن على » بحركته التى عضد بها دولة « الموحدين» واراد بها التوسع فما كانت قاصرة على بلده بل ابعد من قطره .. واخذ « ابو يحى بن مطروح » يزن الامور ويقدر الاحوال بين حالة بلاده وسيطرة الصقليين عليها، وبين حركة (عبد المؤمن بن على) ودولة الموحدين ... ولا شك ان اكثر من عامل كان يدفعه ويحرضه على الميل الى دولة (الموحدين) فلا شك ان الشعور الدينى والعاطفة الدينية واللغة وكل العوامل الاخرى كانت تجعله يجنح الى تونس المسلمة العربية الى ابناء عمومته وخؤولته..، تربطهم ببلاده اكثر من رابطة ..، وتجمعهم اكثر من وشيجة .. ودائما يجد السياسى الحازم نفسه فى موقف الموازن والمقارن بين الامور وما يترتب على الاحداث من نتائج ... وما يعقب الحوادث من عواقب ..، قد فعل هذا عندما فاوض اسطول صقلية وها هو ذا يفعل هذا عندما فكر فى

طرد اسطول صقلية ..، وفى كلتا الحالتين كان دافعه شعور المواطن الذى يريد ان يحافظ على مواطنيه ..، وشعور المخلص الذى يريد ان يستخلص بلاده من براثن الطوارىء، وتكالب الاحداث . وجدها فرصة واغتنام الفرص للصالح العام ديدن اهل الحزم والعزم : وكان ابن مطروح حازما عازما فى انضمامه الى عبد المؤمن بن على وفى نفض يده من اسطول الصقليين بعد ان سالمهم من غير شك على مضض « اثنى عشر عاما » كاملة استطاع فيها ان يكون مثالا لحفظ الحقوق ومراعاة الامكانيات ودار الصراع السرى بين ابى يحيى ابن مطروح من جهة وبين رجال جورج ميكائيل من جهة اخرى .. حرب باردة او خلق الزوابع واثارة الاعاصير ..وشعر الصقليون بان ابن مطروح سيخرج عليهم وسيفلت الامر من يدهم حينذاك فهم لا يرتاحون ولا تهدأ حالهم الا اذا كان ابن مطروح فى يدهم واسطة بينهم وبين اهل البلاد فاذا ما كان راضيا عنهم فقد نالوا الورقة الرابحة واذا انحاز الى ضفة اخرى فان اسطولهم ستتلاعب به امواج الاحداث ، شعروا بهذا ولمسوا من ابن مطروح ظواهر تدل على تململ وانحياز نحو ضفة اخرى.. وظهرت علامات فى الافق واسرع جنود « صقلية » الى حيلة وخدعة ماكرة ..، وارادوا ان يرموا شباكهم عن طريق اثارة الفتنة ... يباعدوا ما بين أهل البلاد وجنوحهم الى (عبدالمؤمن بن على) ..، والحيل الخداعة قديمة قدم الانسان نفسه .. لجا الصقليون الى حيلة الاثارة قبل الاغارة ... عندما شعروا بتضافر اهل طرابلس حول شيخهم «ابى يحى بن مطروح » وفهموا ايضا ان الشعور الاسلامى يجمع فيما بين هذه الاقطار..، وان (عبد المؤمن بن على) لن يجد من اهل طرابلس صدا ولا ردا..، بل سيلقى ترحيب المسلم بالمسلم ، فما كان من حيلة (الصقليين) الا ان اثاروها عن طريق الدين وطلبوا منهم ان يصعدوا المنابر ثم يتكلموا بسوء فى دولة

(الموحدين) كان ذلك سنة ٥٥٤ هـ ١١٥٩م ولكنه امر عظيم وفتنة سوداء تنبه لها (ابن مطروح) فوقف شيخ طرابلس موقفا يتجلى فيه حزم المؤمن وعزم المخلص وابباء الحر الكريم ... ابى ان يكون مطية شر او آلة ضر ..، او جسرا يعبر عليه الصقليون ضد ابناء عمومته وجلدته وانصار دينه وملته ، ابى « ابن مطروح كل الاباء ان يلعن احد من المسلمين من فوق منابر بيوت الله..، وقد وقف مؤازرا (لابن مطروح) ذلك القاضى الشهم (ابو الحجاج بن زيرى) فقد وضع يده مع ابن مطروح ..، وتازرا على ان الفتنة السوداء والكارثة البلهاء لن تكون من بين ظهورهم ..، ولن يخرج شررها من السنتهم ومنابرهم ... ولو صنع (الصقليون)ما صنعوا ....، وهذا موقف يسجله التاريخ لابن مطروح ولقاضى البلد وفيه شهامة وغيرة ... ولم يكن من (ابن مطروح) هذا الرفض والامتناع فقط بل اصر على موقفه فى عناد الاباة واصرار الحماة ..، وقد وقف امام (الصقليين) فى ظروف خاصة مفاوضا فى سبيل حفظ الشعائر والمقومات ...، اما الان فها هو ذا يقف كاشفا لهم القناع مزيحا للاستار وجابههم باصرار فى غضبة الاحرار .. لن نلعن من فوق منابرنا مسلما واخا فى ديننا .. وجارا لبلادنا ولن نرضى هذا وان اصررتم على الاثارة فليكن اقرب منه رحيل اسطول (صقلية) ...، وقويت روحه المعنوية عندما وجد من اهل البلاد سندا متينا ودرعا حصينا وتاييدا مطلقا فى مطالبه ...، فتقدم ابن مطروح نحو خطوة اخرى كان يحن لها ويترقب سنوح زمنها ...، وعقد (ابن مطروح) اجتماعا سريا لعله فى تشكيله ورسم خطته الاول من نوعه فى هاتيك الازمان وفى ذلك البلد .. ودبر فكرة لطرد (صقلية) من شاطىء طرابلس وايضا كان سنده ومستشاره القاضى (ابو الحجاج بن زيرى) ونخبة من رجالات البلاد الذين يعتمد عليهم ويعتد بهم وتعاقدوا وتعاهدوا على التملص من سيطرة (الصقليين)

وكما اظهر ابن مطروح والى طرابلس « وابن زيرى » قاضيها عدم رضوخهم لاثارة جنود صقلية وادراكهم خطر الفكرة التى بثوها وارادوا زرعها فوق المنابر ...، فقد اظهر ايضا بدو الصحراء وزعماء القبائل ما يدل على روح عربية مسلمة ،.. فقد اتصل مبعوثو (رجار) صاحب صقلية بزعماء العرب امثال محرز بن زياد ، وجبارة بن كامل، وحسن بن ثعلب ، وعيسى بن حسن ، وعرض عليهم «رجار» ان يمدهم بالمال والقوة ، كى يصدوا (عبد المؤمن) ويردوا تيار (الموحدين) وابان لهم أنه باعث اليهم ان رضوا خمسة آلاف فارس من الافرنج بكامل عددهم ووافر عدتهم وكامل مؤنهم ...، يقاتلون معهم جنود (عبد المؤمن) بشرط ان ترسل الى صقلية الرهائن ...، فشكر امراء العرب وزعماء البوادى هذا شكرا ممزوجا بالاستغراب ،... وردوا ممثلى (رجار) ردا رقيقا فيه عنف جارح رقيقا فى اسلوبه عنيفا فى معناه .... ومغزاه وقالوا كلمة تدل على روح طيبة خالصة (مابنا حاجة الى نجدتيه ولا نستعين بغير المسلمين) ...، ولا اريد ان انفى قتال العرب لجنود عبد المؤمن فقد حدثت مصادمات وتقابلت جموع منهم وخاصة من بنى هلال والاثبج وعدى ، ورياح وزغب ، ولكن الذى يسجل بفخار انهم رفضوا معونة صقلية وابوا ان يكونوا مطية لاسطول صقلية وابوا ان يكون معهم خمسة آلاف من المدججين الافرنج وقد كان لرفضهم هذا اثر سيىء فى (صقلية) فها هوذا ابو يحى ابن مطروح يأبى ان ينفذ خططهم ... والقاضى يأبى ان يقرأ مناشيرهم.... والامراء من العرب يابون أن يتقبلوا منهم السلاح والجند ..،! اذا اصبحت سيطرة الصقليين فى خطر تتارجح ...،وعبد المؤمن يزحف بجنوده صوب حدود طرابلس....،وهنا يزداد ابو يحى فى امعانه للحوادث ...، وتقترب الصور وتتزاحم على منظاره الذى يرقب به الافق من بعيد ... منظار ليس من زجاج ...، ولكنه من بصيرة وتريث وحذر وترقب ،...

وقد اشرنا فى اسطر ماضية الى ان (ابن مطروح) عقد اجتماعا سريا وضعت فيه خطة محكمة لنبذ الصقليين والتخلص من سيطرتهم ...، وملاوا الطرق والميادين بالاناشيط والخوازيق والعراقيل ... حتى تكون عائقا لخيول الصقليين عن الجرى والسير..، واتقن ابن مطروح الخطة مع ممثلى البلاد وشبابها بل ان علماء البلاد كانوا يشمرون عن سواعدهم بكل همة وعزم كى تنجح خطتهم ويزيلوا جنود (رجار) من شاطىء طرابلس وكان ذلك فى سنة ٥٥٥هـ ١١٦٠م فى السنة التى توفى فيها الامام ابو حامد الغزالى الذى طالما قرأ له ابن مطروح فاعجب بثاقب فكره وشفاف روحه ودراسته للتصوف الاسلامى وهكذا وجدت طرابلس فى الشيخ ابن مطروح(رجل الساعة) كما يعبر اهل السياسة فى العصر الحديث ، رجل له قيمة ولكنها تزداد، ويكثر فضلها عند الحاجة واللزوم،..فهو مسالم وقت المسالمة... وساكت وقت السكوت...،وقدفاوض وقت المفاوضة ...، وثار وقت ان دعت الحاجة الى الخروج عليهم والتالب ضدهم ...، كل خطواته كانت متزنة بحسب الحاجة وما تدعو اليه الضرورة، وما يدفعه ويوجهه اليه صوت الواجب الذى كان مقياسا لحركاته ودافعا لسكوته وقت السكوت ولكلامه ...، وقت الكلام وكان رغم ملاينته فيه شهامة المتصلب امام الزعازع والهزاهز الداخلية والخارجية ...، ويقال ان حركة ابن مطروح واهل البلد كانتسنة٥٥٣-٥٥٨هـ ١١٥٨م وقد نجحت فى تدبيرها وامسكوا جنود صقلية باليد بعد ان تعثرت خيولهم ليلا وكبت فى الشوارع والميادين ،.. وبويع من طرف ابناء البلاد بالولاية بيعة جديدة كان ذلك بالاجماع ...،ووجدها ابن مطروح فرصة ...،فذهب فى وفد من اعيان طرابلس وشيوخها الى عبد المؤمن فى افريقيا كى يظهر له ولاء المسلم للمسلم ..، واقر عبد المؤمن شيخ طرابلس ابا يحيى بن مطروح على الولاية...، فاستمر حاكما او شبه حاكم ...،

فى مدة الصقليين اثنى عشر عاما، وفى مدة الموحدين ما يزيد عن اثنين وثلاثين عاما، اى حوالى اربعة واربعين عاما وهو يتولى ادارة طرابلس وتنظيم شئونها الداخلية...، فحسنت سيرته ونظمت ادارته وانتشر الامن وازدهرت المساجد، فقد كان بجانب ادارته اديبا يقرض الشعر .. وعالما يجيد المناقشة ، وصوفيا يعرف التعفف، لقد كبرت سنه وتقدمت به ايام عمره وجلل الشيب راسه ولحيته واصبح يكاد ان يعجز عن القيام والقعود ..، ومشاكل الادارة كثيرة وادارة الحكم تطلب جهدا ماعاد يستطيعه وقد اعطى للبلاد كثيرا من صحته ..، وفكره اما كان له الحق فى الراحة وطلب الاستجمام!؟انه شيخ طعن فى السن وقد شعر بحاجته الى الراحة والى زيارة الاراضى المقدسة والمدينة المنورة وموسم الحج قد حان وبشائر شهر رجب حيث تبدأ مواكب الحج قد لاحت ودفعه الشوق الدينى الى هاتيك الربوع .. وقد هزته اصوات تلك الجموع ...، وطلب ابو يحى ان يسرح من ادارته وان يذهب للمشرق كان ذلك فى عهد ابن عبد المؤمن وسرحه السيد ابو زيد بن ابى حفص وجمع ابن مطروح اهله وجمع اهل بيته وهاجر من البلد الذى احبه كل الحب والوطن الذى نيطت به تمائمه وكان رحيله من شاطىء طرابلس فى شهر رجب سنة ٥٨٦هـ - ١١٩٠م ،واستقر به المقام فى مدينة الاسكندرية حيث انبتت تلك الشجرة فروعا طيبة وغصونا مباركة وكان من سلالة ابن مطروح الطرابلسى علماء اجلاء وادباء فضلاء وكان من نسله الشاعر المصرى المشهور(ابن مطروح) وله ديوان صغير مطبوع وكان ايضا من آثاره ان سمى ذلك الميناء (مرسى مطروح) فى حدود مصر باسم ابن مطروح او باسم ابن من سلالته ،

ورغم ان ابن مطروح قد اختار بنفسه وعن طيب خاطر الهجرة الى ارض مصر والبقاء فى شاطىء الاسكندرية الا ان الحنين كان دائما يلوعه ويدفعه الى طرابلس الغرب موطنه الاول والبلد الذى نشا وترعرع وكبر فيه فهو ينظم الشعر تحنانا اليه ويصور شوقه الى ترابه ومرابعه يذكر (باب البحر) (وباب هوارة) والاماكن الاخرى عندما يشاهد خليج مصر ومرابع الاسكندرية وبركة القاهرة ودير الزجاج يشاهد جمالا ويشاهد بناء فخما وهندسة وروعة ولكنه فى حسه ونظره لا يعدل (باب هوارة) وموقف الغنم فى طرابلس واسمع معى ابن مطروح يصور وقفته فى مصر ويطير به الشوق الى طرابلس الغرب .

لوقفة عند(باب البحر) ضاحية و (باب هوارة) وموقف الغنم
أشهى الى النفس من كسر (الخليج) ومن (دير الزجاج) وشاطئ بركة الخدم

كان ابن مطروح يحن الى طرابلس وقد ابعده الكبر وايضا فان ابناء طرابلس كانوا يحنون الى حكمه فقد اختلت بعده موازين الادارة وكان يضبطويعدل ولكن (الموحدين) سمحوا لانفسهم باستغلال نفوذهم احداث واحداث احتاجت الى حكمة ابن مطروح فلم تجدها ..والى رايه واتزانه فلم تعثر عليهما وبعدها كانت زوابع وكانت موجات جاء على اثرها من الشرق قرقوش من قبل صلاح الدين .

كل هذا القول يبرهن على قوة الشخصية التى امتاز بها ابن مطروح وصائب فكره رحمه الله لقد كان من طراز نادر جمع العلم والادارة وحسن المشورة وبعد النظر .

الودّاني وأبياته اليتيمة

هـذا رجـل اتعبنـي وظللـت ابحـث عنـه فمـا عثـرت على طـائل ولا يوجـد لدينـا من شعـره سوى ثلاثة ابيـات يتيمـة ، ولكنهـا درة والشـعـر احسـاس لا اكيـال والادب الرفيع (كيـف) لا (كم) وهذه الابيات كانـت دلالة على شاعرية مرهفـة شاعرية مصقولة وعلى ادب عاش في الصحـراء .. صحـراء ودان ... في طـرابلس الغرب ثم على شاطـىء جزيرة (صقليـة) كان فيـه ارهاف ما كان عنـد شاعر البادية والحـاضرة .. وشاعر الصحـراء والمدينـة الشـاعر الوجداني .. (على بن الجهـم) بدوى فيـه شاعرية تفتحـت وتحسنـت عنـد افيـاء الحضـارة وكـذلك ... الودانى ... الشاعر الطـرابلسـى الذى ترنـم فى صقليـة فى عهـدها الزاهر العـربى وايـام مجـدهـا الاسلامى التليـد ....

ادب فيـه اصـالة .. وشعـر فيـه حنيـن مذاب ، وحرقة وشوق فائر ، ابو الحسن على بن اسحـاق الودانى ، وغيـر هذا الاسـم وذلك اللقـب والكنيـة . لم نعرف شيئا عن اهلـه واصحـابه .... وقبيلتـه وعشيـرتـه سوى انه من (ودان) وان ودان فيهـا حضريون وسهميـون وبهـا نخـل وزروع وان منهـا الشاعر « الودانى » هكـذا تشيـر المعـاجم وتثبـت قواميـس البلـدان عن غيـر زيادة ولا نقصـان ... وعليـك ان تغـوص فى رمـال الماضى حتـى تعثـر على شطـرات او ابيـات وقد تلقطـع انفـاسك ويضيـع عمـرك من غيـر ان تزيد معلـوماتلـك شيئـا عن (ودان) والشـاعر

ابو الحسن على بن اسحاق الودانى ؟ فكل لاحق ياخذ من السابق اسطره القليلة ثم يسوقها بامانة ودقة وعليك ان تتحسر على شاعر غمرته القرون وشعر رائع لم يبق لنا منه سوى ثلاثة ابيات فقط .... فحسب .. ليس غير .... ذكرت الابيات الثلاث فى كتاب (النائب ثم وجدناها فى دائرة - البستانى - ثم اسلمنا البستانى الى (ابن خلكان) واخذنا بخناق صاحب الوفيات حتى اسلمنا الى صاحب (المعجم) يا قوت كل ما عند هولاء السادة لا يعدو كلمة مجترة عن (ودان) بطرابلس الغرب والشاعر الودانى القائل الثلاثة ابيات ... وله شعر .... وكان صاحب (الديوان) .. فى صقلية .. وبعدها ... صمت مؤلم ... وسكوت يبعث الحسرة فى نفس الباحثين عن تراثنا الادبى فى الصحراء وفى البحر وفى الشواطىء اين ضاع ؟ لعنة الله على النكبات التى ضيعت تراثنا ثم جعلتنا نستجدى من (اهل الاستشراق) وجعلتنا نترقب (بضاعتنا) عندما تعود الينا مختومة بطابع الاستشراقيين

ولا اتهرب لقلة (المادة) هنا انما اعود ممسكا هولاء السادة .... النائب والبستانى ، وابن خلكان وياقوت ، من اين لهم هذه (المعلومات) عن الشاعر الودانى ، .... ولنكن هنا مثل قصاص الاثر ، قصاص (الجرة) كما يقول اهل طرابلس .... فلنتبع خطوات هولاء وآثار اقدامهم او آثار اقلامهم الى اين توصلنا والى اين يصل مصدرهم عن شاعرنا الطرابلسى الذى عاش فى (صقلية) لعلنا نجد قبسا او نجد على النار هدى ... كلهم .... فى المنهل وفى الدائرة وفى المعجم والوفيات يشيرون الى (ابن القطاع) فمن هو هذا المؤرخ وهل كان معاصرا للشاعر (ابو الحسن على بن اسحاق الودانى ؟) (ابن القطاع) من علماء وشعراء الجزيرة (صقلية) ابو القاسم على بن جعفر السعدى ولد فى ١٠ صفر عام ٤٣٣ هـ وتوفى وله من العمر ٧٤ سنة ٥١٠ هـ

واشار ابن (خلكان) الى انه من ائمة الادب واللغة والف كتبا منها كتاب «الاقوال» اجود من كتاب (ابن القوطية) وان كان (ابن القوطية) سابقا متقدما ، وهذا كله لا علاقة له بالحديث عن الشاعر الطرابلسي الودانى .... انما يهمنا ما اشار اليه بعد .. وله كتاب (الدرة الخطيرة فى المختار من شعر شعراء الجزيرة) .. صقلية وكتاب (لمح الملح) جمع فيه شعر شعراء اندلسيين وقد رحل (ابن القطاع) عن صقلية لما اشرف على انتزاعها الافرنج وخرجت من ايدى العرب ووصل الى مصر فى حدود سنة ٥٠٠ هـ - ١١٠٦م وقد رحب به اهل مصر .. وبالغوا فى تكريمه

وماذا يهمنا من هذا ايضا ؟ ... واين الحديث عن الشاعر الودانى ..؟ وقد اطنبنا فى الاشارة عن (ابن القطاع) نريد ان ناخذ من الحديث ما يدلنا على الودانى

فابن القطاع اول من اورد شعرا للودانى ولولاه ما حفظ لنا التاريخ الادبى شيئا عن (الودانى) فقد الف (الدرة الخطيرة) واورد فى الدرة مختارات لمئة وسبعين شاعرا من شعراء «صقلية» ومنهم بل على راسهم صاحب الديوان والاديب الشاعر ابو الحسن على بن اسحاق الودانى .... ومنها قصائد مطولات وابيات موجزات والابيات الثلاث اليتيمة التى اتكأ عليها كل من اشار الى بلدة (ودان) والشاعر الودانى ، بقى علينا ان نبحث عن كتاب (الدرة الخطيرة فى المختار من شعر شعراء الجزيرة ...) وحتى حاجى خليفة صاحب كشف الظنون لم نجد عنده هذا الكتاب .. فهل ضاع منذ زمن طويل لعله منزويا فى ركن من مكاتب اهل الاستشراق من الباحثين او التهمته نكبات الحضارة العربية ؟... لعله ضاع ... ولعله يرجع ... لست ادرى . ولا المنجم يدرى سوى ان (ابن القطاع) اورد قصائد عديدة للشاعر الودانى ويهمنا اثبات

هذا لعل المستقبل يكشف لنا شيئا ولعل (الدرة) تخرج من محيطها او تخرج من مدفنها وتسرابها ....

وقد يكون « ابن القطاع » معاصرا للودانى وقد يكون شاعرنا سابقا بزمن غير طويل والمهم ان الودانى كان موجودا فى القرن الرابع الهجرى وما قبل سنة ٥٠٠ هـ ١١٠٦م ومن المعروف ان صقلية دامت فى يد العرب ما ينيف عن قرنين ، وقد فتحها المسلمون فى ايام ابراهيم بن احمد بن الاغلب فى يوم ٢٣ شعبان سنة ٢٨٩ هـ الموافق اول اغسطس سنة ٩٠٢ م ومن هذا تدرك ان الودانى الشاعر كان فى القرن الرابع الهجرى او ما يقارب ذلك ومن العسير جدا تحديد السنة التى ولد فيها والسنة التى توفى فيها وان كان من الثابت انه كان رئيس الديوان فى صقلية رئيس الكتاب ومن المقربين للحاكم الاسلامى فى صقلية المزدهرة ... ولكن من هو هذا الحاكم ؟ الجواب عند المصادر المندثرة وبين الاطلال الصامتة ... ولعل من المفيد هنا ان نذكر ان كتاب ابن القطاع «الدرة الخطيرة» اشار اليه اكثر من مرجع واعتمد عليه اكثر من مرجع وقد الف « ابن شهبه » تاريخا ذيل به تاريخ (الذهبى) فى ستة مجلدات حتى وصل « ابن شهبه الى سنة ٥٦٠ هـ ١١٦٤م وقد اشار فى تاريخه الى كتاب« الدرة » وانه من تاليف ابن القطاع وفيه ترجمات لشعراء من صقلية ولا يبعد ان يعرج « الذهبى » على ترجمة « الودانى » كما ترجم لغيره وهذا نوع من الاستنتاج يعوزه التاكيد والاستقصاء ولعل القارىء قد اشتاق الى الابيات اليتيمة بعد كل هذا التقديم الطويل العريض الذى الجانا اليه ضرورة البحث .... ولعله يزعم اننا لجانا الى طرق الكتابة الصحافية والى طريق الاعلان والهرب من الدراسة الترجمية .. لك ان تزعم ما تشاء .. ولنا ان نكتب كما نريد .. واليك ابيات الشاعر الطرابلسى الودانى ... ابو الحسن على بن

اسحاق ... ولو كان عندى مداد من الذهب لكتبتها على رقاع من الورد .
وقد يسوءك هذا التشبيه القديم ولكن اين مداد الذهب ؟ وورق الورد ؟

من يشترى منى النهار بليلة ... لا فرق بين نجومها وصحابى
دارت على فلك الزمان ونحن قد ... درنا على فلك من الاداب
واتى الصباح ولا اتى وكانه ... شيب اطل على سواد شبابى

.. شاعر يريد ان يبيع نهاره ويستبدله بليله مع اصحابه تدور بينهم كؤوس الاداب .. صحاب هم نجوم المجلس فى هذا الليل ، ليل الصحراء فى ودان او ليل الشاطىء فى صقلية من يشترى ؟ دلال فى سوق الزمان .... ولكن هل الايام تباع ؟ وهل الليالى تشترى !؟ يا ليت .. كنا ننادى مع الشاعر يا بشرى ! .... عندنا نهارات فهل عندكم ليالى للبيع ؟ اننا مشترون وبائعون ... هذا شعر لا يفوح عبيقه الا من كبد مشوق ..؟ تصوير فيه لوعة الفراق ... ولوعة الذكريات ... ولوعة الامسيات .. امسيات شاعر ... احرقته لوافح الهجران ولوافح البعد .. من يشترى منى النهار بليلة صرخة شاعرية !... ما اظن شاعرا من اهل الاندلس او من بنى العباس او فى اى عصر مزدهر آخر .... نادى وهتف .. بهذه الشطرة .. وصرخ بمثل هذه اللوعة .. من يشترى منى النهار بليلة ! .. فهو من عشاق الليل ولا يعشق الليل الا شعراء ومحبون ولعلنا نجد اطياف الماضى تتراءى فى مخيلة الشاعر فيتمنى عودة لياليه مع رفاقه وصحابه ... ولكن مما يزيد فى الحسرة . ان الليالى لا تعود وان امسيات الامس لا ترجع .. مهما نادى مدلهلا .. من يشترى؟ لا فرق بين نجوم الليل .. طبعا فنجوم الليل فى صحراء ودان ظاهرة صافية وقد تكون نجوما على شاطىء صقلية من يدرى ... فليلة الشاعر التى يريدها والتى يود استرجاعها قد تكون صحراوية « ودانية » وقد تكون « صقلية »

شاطئية ... هى نجوم فى السماء صافية .. وفى المجلس مشعة ... ولكن ... من يشترى .. ؟!

وهو شاعر مهذب اديب .. اديب العبارة واديب الخلق .. فهو مجلس وهم صحاب .. ونجوم وآداب ولكن لا يدور بينهم كاس صهباء ومراشف من عناقيد حمراء انما كؤوسهم اشبه ما تكون بالكؤوس فى مجالس التصوف ... اشبه ما تكون بكؤوس (فارضية) رحم الله ابن الفارض وانصاره فما كان كاس الودانى فى مجلسه وسماره ... الا من نوع الادب والفكر

وفى (درنا على فلك من الاداب) ليس فيه عربدة ... وان كان اكثرهم يعربدون فى شعرهم وليل الادباء قصير مهما طال ويمضى السمر آخذا فى تنوعه .. اليسوا صحابا فى مجلس ادب وشعر ؟ صفاء جو .. وصفاء بال وحال و طمانينة .. وهل كانت جنة الشعراء الا من الصفاء والاطمئنان ..!؟

واتى الصباح ... ولا بد من اتيانه ... جاء ... وهل يدوم الليل .. وخاصة ليل السمار ..؟ اتى ... وبشر به الفجر ... وما اروع الودانى فى تشبيهاته وفى تصويراته .. صباح جاء يسعى فى عنق الليل ... مثل . شيب يطل على السواد فى الشباب .. تصوير فيه ابداع وبه جده .. الم تكن جده الفكرة فجدة العرض والابانة والاسلوب والموضع ...

هذه الابيات لا اطيل بشرحها والتعليق عليها . فان الشعر الجيد لا يحتاج الى اطالة وشرح ... والشعر الصادق الحساس المرهف ... يفسده الشرح والتعليق كما تفسد المساحيق والاصباغ الاصطناعية وجه الحسناء وجه الجميل المليح تفسده الاطلية والاغطية ... فلندع هذه الابيات سافرة .. مكشوفة تظهر حسنها بنفسها وتدلك على نفسية شاعرنا واديبنا المغمور ابى الحسن على الودانى ولكن سنترك التعليق والشرح ... ولابد لنا من اثبات

أشياء اخرى من اجل التاريخ الادبى فقد اشتهرت هذه الابيات وسارت بذكرها الركبان ، كما يقولون ، وكانت مثار حركات فكرية فى طرابلس وفى غير طرابلس وشطرت هذه الابيات بعد وفاة الشاعر بعدة قرون ... بعد ما يزيد على الف عام .... والشعر الخالد يرسل شذاه من وراء الامداد والاكام . وعاشت ابيات الودانى وخلدت وظلت درة « خطيرة» وسرت فى مجالس ادباء طرابلس بل رددت فى أمسيات «استامبول» والاسكندرية والقاهرة والحجاز وسوريا ، اعجب بها الادباء والشعراء ولا يدرى اكثر الناس لمن هى .. سوى انها رائعة وابيات «حية» يجد فيها الراوى والمترنم بها صدى لما يجيش فى نفسه .. ومقياس الشعر «الحى» ان يكون صدى ، ومقياس الاحساس الادبى «التجاوب» فانت تعجب بالابيات بل بالشطرة احيانا لانها مرآة ترى فيها ملامح من صورتك وجانبا من جوانبك النفسية . وقد تقرأ الالف بيت فلا تهز من نفسك ولا تحرك من ساكنك .. ومن أجل التجاوب الروحى والصدى النفسى احدثت هذه الابيات الثلاثة حركة أدبية فى طرابلس .. وقد كانت فى أيام الحركة الوطنية وطلقات البارود وميدان الكفاح يفتح ولكن هذا لايمنع من ايجاد سمر أدبى وندوات علمية ومسابقات والشعر احساس وترويح .. والاحساس قد يشب والترويح يكون الزم فى اوقات الكروب والحروب لهذا لاتعجب من ان تحدث ابيات «الودانى» الثلاثة موسما ادبيا فى طرابلس فى أيام الجهاد الوطنى .. فالادب قد يزداد وقد يروج فى أيام الشدائد والازمات لقد اقترح احد الادباء الافاضل تشطير هذه الابيات ووجد الاقتراح ترحيبا من جريدة وطنية كانت تصدر ايام الكفاح الوطنى .. والجريدة «اللواء الطرابلسى» وصاحبها الصحفى «عثمان القيزانى» وكان اقتراح التشطير ونشره فى سنة ١٩٢٠ م. وتسابق

شباب ذلك الجيل الى التشطير . ومن المعروف ان التشيطر فن ساهم فيه بنصيب كل الشعراء فى كل العصور وخاصة المتاخرة ..ويشطر الشعر الرائع ويضمن المعانى الطريفة وأحيانا يفوق التشيطر الاصل وان كان هذا فى النادر القليل وناهيك بتسابق الشعراء نحو « بردة» البوصيرى وتشطيرها وقدبلغت مئات التشطيرات ومن شعراء طرابلس المشهورين بالتشطير أحمد البهلول ويقال ان «ديوانه» كان تشطيرا لاحدىالقصائد .. ونعود الى تشطير شباب طرابلس لابيات الودانى ونعرض لتلكالوانا منها ولا أزعم انها فاقت الاصل كلا .. انما كان التشطير دالا على تقديرهم للشاعر ومدى اعجابهم بشعره وكان من أوائل المتسابقين للتشطير الشاب الشاعر «الشاطر» احمد الفقيه حسن فقد شطرها مرتين ولهذا ملاحظة نسوقها بعد التشطير الاول

« من يشترى منى النهار بليلة» جمعت لنا شملا من الاحباب

حسنت وحسنت الحياة لانها «لافرق بين نجومها وصحابى»

«دارت على فلك السماء ونحن قد» ملنا لصقل حرائر الالباب

وكاننا لما تالف جمعنا «درنا على فلك من الاداب»

« واتى الصباح ولا أتى وكانه» برق تالق تحت ظل سحاب

وكانه لما تبسم ضوؤه «شيب اطل على سواد شباب»

ونشر فى «اللواء الطرابلسى» التشطير وفرح به الشاعر ولكن لاحظعليه والده وفرحات الزاوى رحمهما اللهملاحظة دقيقة جعلته يعدل عنه الى تشطير اخر أدق وأجمل وقد أبانا له ان الشطرة «برق تالق تحت ظل سحاب» لامعنى لها وتصوير لا فائدة فيه .. البرق تحت السحاب لايعطى تصوير الشيب فى رأس الشباب .. اين هو من الابيضفى الاسود .. ؟ وهى ملاحظة تدل على

دقة احساس المرحومين.. وكانت سببا فى ان يشطر الشاعر احمد الفقيه حسن هذا التشطير الثانى ولم ينشر ولكن تكرم فناولنى اياه من مجموعة شعره وورياقاته المبعثرة

«من يشترى منى النهار بليلة» قد الفت بينى وبين رباب
هى ليلة العمر التى بصفائها «لا فرق بين نجومها وصحابى»
«دارت على فلك السماء ونحن قد» درنا على راح كظلم كعاب
وكاننا والشوق الف بيننا «درنا على فلك من الاداب»
«واتى الصباح ولا أتى وكانه» طيف الرقيب سرى الى الاحباب
وكأن، ضوء الصبح فى أثر الدجى «شيب اطل على سواد شباب»

ولا شك ان تصوير «طيف الرقيب سرى الى الاحباب» فيه روعة لاتجدها فى التشطير الاول .. والحق ان اروع ما عثرنا عليه من تشطيرات ادباء طرابلس هو هذا الذى عرضناه ولكن لسنا فى ميزان النقد الادبى انما نحن فى معرض التاريخ الادبى ونحاول اثبات الرائع وغيره لئلا تضيع حتى التشطيرات بعد ان ضاع شعر الودانى وديوانه واثاره فعلى الاقل نحتفظ بلون من الاعجاب بشعره ونعرض مجهود الساهمين فى التشطير من «الشطار» فهذا فتى من زليطن فى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٠م ينشر مساهمته فى هذا المجال هو عبد الله بن موسى ابو حجر

«من يشترى منى النهار بليلة» تزهو بحسن جمالها اترابى
وأنال منها حظى الاوفى اذا «لافرق بين نجومها وصحابى»
«دارت على فلك الزمان ونحن قد» تهنا بها طربا بصفو شرابى
دام الوصال بها لنا صرفا كما «درنا على فلك من الاداب»
واتى الصباح ولا أتى وكانه «واش اتى يسعى بسوء عتابى
بعدا، له من مزعج فكانه شيب اطل على سواد شباب»

... وعند الله ابو حجر فى تشطيره نراه طربا بصفو الشراب مع ١٣
الودانى كان شرابه من كؤوس الاداب ولكن يظهر ان المشطر يرسم صورة
ماثلة امامه ولعله من الذين لا يطيقون روية الكاس .. ثم نلاحظ (هزات)
لا شعرية انما « هزات » فيها خلل وخضخضة تكاد تسمع لها (قرقعة) عند
شطرته دام الوصال . بها لنا صرفا كما - هذه الالفات هذه المدودات كانها
اعمدة فى الحلق .. او شعرات واقفات فى العين .. وليست لائقة بابيات
الودانى ذات الرقة والرنين الذهبى .... وخير ما فى شطرات (ابو حجر) تشبيه
الصباح الاتى بـ (واش اتى يسعى بسوء عتابى » هذان شاعران احدهما ساهم
مرتين فى التشطير والاخر اكتفى بواحدة ولم نعثر له على اثر آخر وعثرنا
على مساهم ثالث ادلى بدلوه . ورمى بسهمه ولكنه اثر ان يكون مطوى
الاسم مجهولا وابى الافصاح عن نفسه الا فى تشطيراته التى نسوقها اليك..
ونوصيك بالصبر .. ان الله مع الصابرين . وقد بدأ صنيعه صارخا

نادى منادٍ فى عكاظ اجله ... يروى صداه معنعنا عن خولة
« من يشترى منى النهار بليلة ... فتخلخلت منا عرى الاعصاب
وتلت على السقف المحيط ودره ... لا فرق بين نجومها وصحابى
(دارت على فلك السماء ونحن قد ... هنا نطوف على ديار رباب
فتراجعت البابنا فاذا بنا ... درنا على فلك من الاداب
(واتى الصباح ولا اتى وكانه) ... موج تكافحه جنود عباب
صاح الشباب على الشباب بحسرة ... كتحسر اللهفان الفى مرة
هذا عدوى فاقتلوه بشفرة ... شيب اطل على سواد شباب

وبعد ان تقرأ ارجو ان تمسح العرق المتصبب من اثرها فهى ابيات
جامدة ، وتشطيرات متكلفة ، تدل على ان مشطرها احسن باستتار اسمه ...

وعدم الافصاح عنه ، والا رجموه وهذا الشطر يصدق عليه ما قاله احد النقاد عن احد الشعراء المتكلفين بعد ان اسمع الناس مثل هذا الصنيع ... يا فلان لقد رحمت نفسك فلو لم تتلفظ بها لاصابك شيء خطير في جسدك .. انها غصة ... لابد من القائها .... وهكذا كان هذا الذى امسك شفرة واخذ يعبث بابيات الودانى ... انه مثل من يمسك ديوان الشاعر ويقصه بالمقص جزازات عبث هذا التشطير ولولا انى اثبت هذا المقال والتشطيرات لاجل التاريخ الادبى لما ازعجت القارىء بسردها .. والقائها ... والتاريخ الادبى مثل التاريخ القومى ... والتاريخ الدولى ... فيه الغث والثمين ... والصالح والطالح .... والمشرق والمظلم .. ومثل هذا التشطير الجامد يدل على (تطور) الشعر فى هذا البلد فاثبتوه ولو كانت (نماذج جامدة) وكلمات (محنطة) وهذا الشطر المجهول رمانا بابياته الصخرية عندما بدأ شطرته بالفاظ (معتنا) هذه الالفاظ مثل تضارب عربات السكة الحديد عند تزاحمها وتراجعها وتصادمها فجاة .. ثم فى الشطرة الثانية لا يرحمنا فيقول (فتخلخلت منا عرى الاعصاب) اهذا شعر ؟ انه يفوح منه رائحة البعر ... خلخلة . واعصاب .. ارحم اعصابنا يا مجهول ... ثم هو سريع (نطوف على ديار رباب) ثم هو يرجع لنا البابنا التى طارت من شعره وسرده .... (« فتراجعت البابنا » ومن قال ان لبه رجع اليه ...؟ بل من قال ان عنده لب عندما سطر هذه التشطيرات .... يظهر انه كان فى يده (ساطور) لا قلم شاعر ثم اتيان الصباح بماذا يصوره ...؟ (كموج تكافحه جنود عباب) وعليك ان تجلس على الشاطىء وترى موج البحر المتلاطم وتقارن بينه وبين الصباح عندما ياتى فى الافق بعد ليل .. اين هذا من ذاك ..؟ بل اين البابنا يا مجهول الاسم ؟ ثم هو يبدأ بالمناداة كانه (بياع) (بابيكيا) وينتهى

بالصياح المزعج (صاح الشباب على الشباب بحسرة) نداب .. لطام ، ثم مثل اى شيء هذا الصباح عند مجهول الاسم المتشاعر ؟ كتحسر اللهفان الفين من من المرات .. اللهم احفظنا وباعد عنا الشر ... وماذا يقول صاحب الفين حسرة وندامة (هذا عدوى فاقتلوه بشفرة) يدل على الجبن اولا لانه يريد من الناس ان تقتل عدوه ولا يقتله هو ... ضعف وجبن ... وخور ... ثم القتل بشفرة ... لابد ان الناظم ... جزار اوحلاق ... فعندهم الشفرات الحادة ... اكثر حوادث الجزارين والحلاقين بالشفرات .. وخيال الناظم السقيم سمح له بهذا لان الشيب يزال بالحلاقة والشفرة .. ولكن هل يجدى ان تحلق الشيب او ان تصبغ الشيب ان حلاقة الشيب وصبغه لا يعيد القوة ولا يبعث الحياة كما ان هذه التشطيرات .. لا فائدة منها وكادت ان تمسخ الشعر الرائع البديع .. تكاد ان تخنق ابيات الودانى عندما « اطبقت » عليها واحاطت بها وهناك تشطيرات اخرى ساهم بها ضعاف الخيال وضعاف الشعور لا اثقل على القارئ كثيرا بسردها ويكفى هذا النموذج فاننى شعرت باننا فى جو خانق فى شهر يوليو .. ولكن لا باس من ان نعرج على شاعر رابع ساهم فى المسابقة هو عبد الرحمن حمودة وقد نشر تشطيره فى يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٠ م

(من يشترى منى النهار بليلة) فيها نلذ بمطعم وشراب
وصفا لنا الدهر الخؤون لانها (لا فرق بين نجومها وصحاب

(دارت على فلك السماء ونحن قد) ملنا لانس الخل والاحباب
وكانهم لما احتفوا وكاننا (درنا على فللك من اداب)
(واتى الصباح ولا اتى وكانه) بدر كسى بغمامة وسحاب
وكانه لما على الافق انجلى (شيب اطل على سواد شباب)

ويظهر انه كان جائعا او كان صاحب بطنة ... فهو يلذ بالطعام والشراب وتشبيهاته ضعيفة ولكن لا تصل الى درك السابق مجهول الاسم وهى بالنسبة لغيره متوسطة وان كانت لا تصل الى جودة تشطيرات السيد احمد الفقى حسن المتقدمة .

بقى ان نشير الى ان ابيات الودانى الثلاثة لابد ان تكون قطعة من قصيدة ولابد ان يكون تراثه متنا ثرا هناك وهنالك ولكن هذا ما عثرنا عليه وهذا كل ما امكننا ان نحصل من شعره الرائع وعسانا بهذه الكلمة الموجزة العاجلة قد وضعنا اشارة ونبهنا على شاعر واديب جدير بالدراسة والعناية والبحث .

ابن معمر الهوارى

٦٠٩هـ ١٢١٢م - ٦٨٣هـ ١٢٨٤م

العالم المغامر ، والشيخ الاديب

ابن معمر الهوارى

الحديث فى هذه الصفحة عن شاب طرابلسى كان مغامراً فى الحياة العلمية والحياة الاجتماعية اوتى قوة من الذكاء وطلاقة فى اللسان وتوسعا فى العلم فاخذ يضرب فى شعاب الحياة ، وشق طريقه بين العلماء حتى تصدر وبين اصحاب الراى حتى سمع واحترم . ذلك هو الفقيه ابو الحسن بن موسى بن معمر الهوارى الطرابلسى ، من اعلام القرن السابع الهجرى .

وكان الى جانب التضلع فى الفقه وما يتصل به من علوم الدين ، اديبا له شعور الشاعر ، ولديه آفاق الخيال . يحلق ولكنه لا يصل ويسير ولكنه يصطدم ، ويطمح ولكنه يحارب ، ويتكلم ولكنه يؤذى ، ويسجن ويطلق ولكنه يتحمل ويصبر ، ويترك وطنه طرابلس ، ويفارق الاهل والخلان ، ولكنه لا يذوب فى الغربة ولا تقضى عليه الفرقة بل يظهر اسمه وتتكون شخصيته رغم الصعاب وما يعانيه من تقلبات الاحوال .

رجل حياته كلها عذاب واضطراب ، ولكنها جديرة بالاعجاب ، يتشوق ويتحرق ولكنه مغمور مطمور فى حاجة الى كشف وابانة . وكم فى تاريخ المغرب الاسلامى ، وخاصة هذه البلاد ، من بحوث فى حاجة الى اكتشافات وكتابات ... انه تاريخ حافل ،ولكن اين من يبحث فيه ويدلنا على التراث المجهول ؟

ولد بن معمر فى مدينة طرابلس الغرب سنة ٦٠٩ هـ ، - ١٢١٢ م وجلس كم يجلس اقرانه وتلامذة اهل زمانه الى فقيه يعلمهم القرآن والكتابة ومبادىء العلوم . وبعد ان يقوى عوده ويشتد ساعده يلمس فى نفسه طموحا يدفعه

الى مجال اكبر ، انه يتطلع الى عالم اكثر ، والى حياة اعظم وكانت نهضة لعلوم الاسلامية وسوق الفقه والحديث رائجة في بلاد المغرب في مساجد تونس ، وحلقات الهدية ، ويسمع بهذه النهضة ويجتمع مع رجالات التفقه الذين يرحلون من بلادهم فيمرون بطرابلس قاصدين المشرق فيجد عندهم شيئا كثيرا يبحث عنه ويتشوق اليه ، ثم ياخذ ابن معمر يده ويضعها في يد اخيه ابي موسى ويتوجهان الى تونس - الى المهدية - ويجلس الاخوان الى فقيه زمانه وعلامة اوانه (ابي زكريا البرقي) ويظهر ذكاء طرابلس لماعا على جبين هذين الشابين وتظهر الفطنة في الحفظ المتواصل والاتقان المتزايدوالتعطش الغريب .

ويهمس ابو موسى في اذن اخيه ابي الحسن : - اريد العودة الى طرابلس ولكن اباالحسن ما زال متطلعا متعطشا راغبا متشوقا ملازما لشيخه (ابي زكريا البرقي) يسطر ما يسمع ويناقش ما يقال ويعارض ما يقرر

ويعود ابو موسى الى طرابلس ليتولى القضاء والافتاء اما صاحبنا فيبقى في تونس في المهدية يلازم شيخه ملازمة الظل ، يصاحبه في الغدوات والروحات ولا تفوته حلقة من الحلقات او كلمة من الكلمات .

ولكن الظروف تتبدل والاحوال السياسية تتغير ويكهفر الجو ويتلبد في البلاد التونسية وتقع ،فتنة ابي الحمراء بالمهدية ، وليس الحديث عن الفتنة السياسية او الفتنة الدينية واسبابها مما يهمنا هنا حتى نبسط فيها القول ونتعرض لها بالتوسع : انما المهم هنا ان الشيخ ابا زكريا البرقي اطهد مر الاضطهاد ، وقتل في تلك الزوبعة السياسية او الدينية (ابو الحمراء) وحمل الشيخ البرقي على حمار وسيق الى الامير ، وكان معه خواص اصحابه والمخلصون من تلامذته وبطبيعة الحال كان ابن معمر الطرابلسي يصحب شيخه ويشاركه الالم والاضطهاد .

ولكن الشفقة تتسرب الى قلب الامير فيطلق سراح الشيخ البرقي ويعيده الى موطنه آمنا سالما ترك الشيخ البرقي تلميذه ابن معمر في العاصمة التونسية وهنا تبدأ مرحلة جديدة وصفحة جديدة في حياة الشيخ - الطرابلسي ويخطو الى الحياة الحرة الرحيبة خطوة قد تكون واسعة حينا وقد تكون ضيقة مؤلمة احيانا ، وهكذا حياة من يصل الى مجالسة العظماء حالة لا تستقر وصاحبها دائما . . . . . .

خوف لا يدرى ما الامر ، وما المقر فقد اصبح ابن معمر في حياته الجديدة يناظر الفقهاء ويحاج العلماء ويجلس مع العظماء والامراء . وتفتحت تلك المواهب في الاجواء المضطربة الجديدة .

وكان ابن معمر صاحب لسان طليق ذليق ، خطيبا موهوبا ومحدثا لبقا وعالما متوسعا ومناظرا بليغا ، ياخذ باعناق الحجة او ياخذ باعناق خصمه ، فاذا ما تحدث سمع ، واذا ما ناظر غلب ، واذا ما تكلم وجد الناس في كلامه ما لا يجدونه في كلام الغير من اهل العلم اوالحديث ، وهذه صفات تجمعت فكونت منه شخصية لفتت اليها الانظار وتجمع حولها المعجبون والانصار ، ولكنها هي الطبيعة وقانون الحياة ... الصفو و لاكدار والنسيم والاعصار ، والاقبال والادبار ... تقلبات وتطورات انسجمت الحياة لابن معمر ، فولى القضاء وسار او قفز بخطوات سريعة في سلم المجد . وفي دولة الخليفة (المستنصر) ينقل ويتدرج في سلك القضاء في البلاد الافريقية بساجه وبياجه الخ ....

ولى خطة العلامة الكبرى والاشراف على خزانة الكتب ، فاشرف ابن معمر على الخزانة العلمية ، وهذه مرتبة سامية ومنزلة عالية لا يستطيع القيام بهـا والنهـوض باعبـائهـا الا عالـم كثيـر الاطـلاع واديب

عظيم الباع ، وباحث ذو اضطلاع . والاشراف على خزانة الكتب يعطينا صورة من حياته العلمية والاجتماعية ، ومثل هذه الوظيفة شغلها ابن مسكوية الفيلسوف الاسلامي ، وقد اشرف على خزانة آل بويه في المشرق. واخذ ابن معمر يرتب خزانة الكتب ، او بالتعبير الحديث (دار الكتب) ينظمها ويسد فراغها ويملأ رفوفها ، وكانت تبلغ الثلاثين الف مجلد .

ولكن العاصفة تجتاح هذه الحياة الهادئة فتتبدل الاحوال ، وتتطور فبعد ان استقر ابن معمر بعض الاستقرار ، حاول ان ينظم حياته كما نظم دار الكتب فهو يبحث عن الطمانينة ولكنها تفر منه ، ويبحث عن الهدوء ولكنه لا يواتيه . فبعد هذا الاستقرار المؤقت في القضاء والاشراف على خزانة الكتب ، اذ به مغضوب عليه ، ينتقم منه الخليفة (المستنصر) ويسلط عليه شواظ غضبه وقوارص قوله ..... وويل للعلماء من غضب الامراء ، وويل اهل الفكر من اولى الامر ... ويامر الخليفة بنفي ابن معمر الى المهدية ... وخرج يوم السبت ١٨ ذي القعدة سنة ٦٦٧ هـ ١٢٨٦م ناكس الراس حائرا مغضوبا عليه . وظل في منفاه عاما كاملا ، يعاني الم الغربة والم الفرقة والوحدة والم النفي وغضب السلطان صاحب الحكم والشان .

وفي هذه الجفوة قدم صديق له ، وما استطاع ابن معمر ان يزور هذا الصديق ولا ان يجلس اليه فيبثه شكواه ولواعج نفسه ودفائن حسه فازداد المه وتكاثر شجنه ، فتحركت شاعريته المتالقة وكانما كان قدوم الصديق الى البلد نفخا لجمر يتاجج في نفسه ، فارسل ابن معمر الى الصديق سرا بطاقة تحتوي شكوى على الشوق الجريح

كتبت ولولا الحكم كنت اليكم ... من الشوق في متن الرياح اطير
وما في صميم القلب من خالص الوفا ... فسيان فيه غيبة وحضور

وظل ابن معمر منفيا فى المهدية ينتظر الفرج ويرسل الشعر بينه وبين نفسه وقد يرسله الى اصدقاء تباعدوا ، واخلاء فرقته عنهم حوادث الزمان . واخيرا رضى عنه الخليفة (المستنصر) وامر بالافراج عنه فى ايام عيد الاضحى سنة ٦٦٨ هـ ١٢٦٩م

وعاد الى دنيا الطلاقة والحرية ، وبدأ الشيخ الطرابلسى يخطو من جديد نحو آماله فى الحياة الاجتماعية والعلمية - ولكنه ، والحق يقال ، كان سليط اللسان شديد التعرض للناس ، كثير النقد الجارح ، يلذع الناس بنقده ، وينشر معائبهم ، ويشير الى مساويهم ونواقصهم . وهذه خصال دائما تدفع صاحبها الى الهاوية ، وتزج به فى المازق الحرجه ، وتسلط عليه الحكام . وتغضب عليه اولياء الامور . واللسان السليط سوط يجلد صاحبه وهكذا كانت قوارص القول ولذعات الكلام سببا فى ملء الصدور غيظا على ابن معمر الطرابلسى . وبعد اطلاق سراح ابن معمر بسبع سنوات مات الخليفة (المستنصر) وولى بعده ولده الواثق .

وهنا تبدأ صفحة اخرى وخطوة جديدة فى حياة صاحبنا ، وفى يوم السبت التاسع عشر من ذى الحجة سنة ٦٧٥ هـ ١٢٧٦م امر الخليفة الجديد ان يعود ابن معمر الى خزانة الكتب ، وينظر فيها ويسوى من امرها ويصلح ما فسد ، فهو بعلمه واطلاعه وخبرته وتجاربه جدير كل الجدارة بهذه المرتبة ويقف ابن معمر امام خزانه الكتب بعد غيبة طويلة وسنين غير قليلة ، فهاله الامر لقد وجدها مبعثرة ، مهلهلة ، ناقصة مهملة موزعة ، ممزقة ،مشوهة، واطرق العالم اسفا لهذه الفوضى التى عبثت بالمكتبة القيمة .

ويسال بعض العلماء والادباء ابن معمر عن امر هذه المكتبة وما مر عليها من اعاصير،فيذكر لهم انها كانت ثلاثين الف مجلد ثم أبعد عنها،ثم اعيد اليها فوجدها عشرين الفا واختبرها

وفحصها فى عودته الاخيرة فوجدها تنقص عن ستة آلاف مجلد ويسال ابن معمر عن سبب هذا النقص فيقول : المطر وأيدى البشر .

وعاد ابن معمر يصلح من امر المكتبة ، وصفا الجو قليلا ، واراد ان يرتب حياته ويهدأ باله ، ولكن عاصفة اخرى تبدو فى الافق ثم تجتاح فسرعان ما تغير عليه رئيس الدولة ابو الحسن ابن ابى مروان من اجل بعض القضايا التى كان ابن معمر يصدر حكمه فيها . وامر رئيس الدولة باعتقال الشيخ ابن معمر ، وان يشدوثاقه فى دار الاشراف .. وهنا نجد صفحة اخرى فى حياة صاحبنا الشيخ ... حياة المعتقل .. حياة العزلة ... حياة الشعر والشكوى حياة الالم المزدوج ، والغربة المثلثة بالحرقة ... هذه الغضبات المتواليات ، وهذا السجن والنفى والاعتقال والاضطهاد ، كل هذا طبع احاسيسه بطابع الشكوى والتذمر والتحسر والتلهف والانين والحنين ، تلمس هذا فى اشعاره القليلة التى وصلت الينا وقد يكون هناك شعر كثير ضاع فى خضم الزمان ولعبت به رياح الحدثان .

وجلس ابن معمر مع زمرة من الادباء فانشد صديق منهم بيتين لابن الوليد سليمان ابن خلف الباجى .

مضى زمن المكارم والكرام ... سقاه الله من صوب الغمام

وكان البر فعلا دون قول ... فصار البر نطقا بالكلام

ويسمع ابن معمر هذه النغمة التى تحمل طابع التاسف والحسرة فيراها ناقصة ويجب ان يتم هذه النغمة ... فيرسل آهة اطول ، وتاسفا على الزمان ، ويبالغ ابن معمر فى تصويره اكثر من ابن خلف الباجى،فيرتجل قائلا :

وزال النطق حتى ليس تلقى ... فتى يسخو بمر جوع السلام

وزاد الامر حتى ليس الا ... سخى بالاذية والملام

فهو بهذا يعبر اصدق تعبير عما وجد فى دنياه ، ولقى فى حياته من الاذى والنفى والاعتقال والغربة .

واعتقل مع ابن معمر ابو عبد الله محمد بن يحى الفضلى ، وتوطدت بينهما صداقة متينة ، وافرج عن صاحبنا قبل اطلاق سراح الفضلى ، فارسل الفضلى يهنئه فرد عليه صاحبنا ببيتين فيهما طابع الصداقة الخالصة والشعور الصادق

(لئن سرنى فك الاسارى من الحبس لقد ساءنى فقدى لما فيه من انس
ولو انى خيرت فيما اريده لاثرت تقديمى سراحك عن نفسى)

وله اشعار متناثرة فى بعض الاوراق مطوية فى صفحات الاهمال ضمها النسيان ومضى بها الزمان ، وله قصيدة على نمط المنفرجة الشهيرة يقول فى اولها - ولعله نظمها ايام سجنه واعتقاله او بعد سراحه : -

الله انعم بعد الياس بالفرج يا ازمة الدهر بعد الشدة انفرجى

وقد اثبتها الرحالة التيجانى فى رحلته :

ورغم ما لقيه ابن معمر من زعزعات وهزات وهموم وغموم فانه كان ظريفا رقيقا يحب الفكاهة والملح . ويحكى عنه ابن «الاباز» فى بعض كتبه قال انشدنى القاضى ابن معمر فى ابى المجد الصوفى المهدى ،وكان يريد مداعبته بتزويجه العجائز :

أبا المجد كم يغرى بحب العجائز وذلك فى شرع النبى غير جائز
كلفت باطلال محا الدهر رسمها فاصبحت تبغى الفوز بين المفاوز

رحم الله ابن معمر لقد قضى عمره فى غربة ، وكفاح ، وكربة . وكان علما من اعلام الفقه والقضاء ، جرفته تيارات السياسة ، واهدته طرابلس الغرب الى تونس فكان خير هدية ونعم العطية. توفى فى تونس سنة ٦٨٣هـ - ١٢٨٤م وله من العمر ٧٤ سنة . وقد لاحظت ان النائب المؤرخ الطرابلسى لم

يشير اليه فى تاريخه مع انه اشار الى القاضى ابو موسى الهوارى ، ابن اخيه ومع انه اشار ،واحيانا افاض عن كثير ممن لا يستحقون الاشارة والكتابة ويلاحظ ايضا ان«هواره» باب من ابواب طرابلس الغرب،وهوالان عند «سوق المشير» بالقرب من مسجد احمد باشا نسبة الى قبيلة كبيرة ويوجد كثير من ابناء هذه القبيلة فى مصر وخاصة فى الصعيد،ويرى بعض المؤرخين انهم عرب حضروا من الجزيرة وقطنوا المغرب.

مات ابن معمر وفى فمه ابيات يرددها انشودة حزينة ونغمة كليمة منها

وارحمتاه لقلبى كم اجشمه ... امرا يذيب من الاصلادما صلبا

وكم يعانى ملمات بايسرها ... يهون الامر من دنياه ماصعبا

وكم يلجلج فى افكاره لجج ... سود تاجج فى احشائها لهبا

محمد بن أبي الدنيا

حديث الاعلام الذين نشروا العلم ورفعوا اسم طرابلس فى العالم الاسلامى حديث حلو وبحث شائق ولكنه صعب عسير.. تكتنفه المشاكل المتعددة واولها واخطرها ..، قلة المراجع وعدم الاهتمام من الذين يجب عليهم ان يهتموا بهذه الناحية فى تاريخ الاعيان والاعلام الذين كان لهم فى عالم الفكر حدثا ..، وفى التاريخ الاسلامى حديثا ... وسيكون الحديث هنا عن رجل عرفه العلماء المحدثون ..، رجل عرفه المتصوفة ، وتتلمذ عليه العلماء ، واكرمه الامراء وسارت اليه الرسائل ووفدت اليه الوفود ، وملأ عطره وذكره الدنيا ذلك هو محمد بن ابى الدنيا ، من اعلام القرن السابع الهجرى .

فى بيت من البيوتات العريقة فى طرابلس ولد ثم درج وتربى ونشأ بين المدارس والمساجد..، يحفظ كتاب الله ويردد آياته..، ويتلقى العلوم على منهج القدامى يتسلق صخور المتون، نزهته فى كتاب يقرأه، وحديث يردده ، ثم جولات الشاطىء الطرابلسى الجميل ، والمسجد الكريم والبساتين اليانعة والحدائق المزدهرة والصمت الرائع ، والمدرسة الدينية يسمع الاحاديث مسلسلة ومعنعنة فيروى ويحدث..، ويجد كتاب الله يرنو اليه ، فيقبل الفتى الطرابلسى عليه يتلوه فى الفجر وفى وقت الصفاء والضجر، وخاصة عندما تهجع العيون وتستسلم الجنوب للمضاجع يقوم ابن ابى الدنيا وقد خلا بنفسه فيردد الايات ويقبل قلبه على عالم آخر يجد فيه الانس والصفاء والمحبة والجلاء

وهكذا فى مدرسة الليل بصمته وصفائه ، والنهار بتحركه ونشاطه وفى محراب التقديس والطهارة نشا (ابو الدنيا) صوفيا صادقا هذبته تعاليم السماء ، فيتكلم وكانه يهمس ، ويمشى وكانه يحذر ويمزح ولكنه يتحفظ ... ويرتاض ويلهو ولكنه يفكر ويقدر ...

ليس هذا ما نلاحظه فى تكوين الفتى الطرابلسى ..، بل هو يذهب الى الاثار القديمة بقية الاغريق والرومان يجدها عند الشاطىء بارزة ظاهرة صامتة متكلمة ، ولكنه يعجب بصمتها ، ولا يفهم كنه حديثها وهو الباحث الدؤوب والطالب الرغوب يجد فى آثار الاقدمين واطلال الغابرين مراحا وموطنا يسرح فيها ناظره وخاطره ، كيف بنيت ؟ كيف اسست ؟ متى ؟ ولماذا ؟ ومن ؟؟؟ هذه اسئلة تجول فى خاطره فلا يجد لها حلا ويتطلع الى الاسطر المكتوبة والحروف المرقومة ، فلا يجد عندها جوابا ...، ولا تزيل حجابا .

وهكذا نشا محمد بن ابى الدنيا ...، صالحا وباحثا فى ملكوت الارض والسماء ، وفى آثار الخالق والمخلوق وقد ورث العلم والفضيلة من بيت كريم وان كانت وراثة العلم والفضيلة كوراثة البطولة والرجولة شىء نادر فى عالم الوراثة ومحيط الاسرات .

وبعد ان اشتد عوده وقوى ساعده ، واتم القرآن حفظا واكثر من الحديث المحمدى رواية ولفظا وملأ شاطىء طرابلس سيرا وحسن سيرة .

اذ به يمم وجهه شطر المشرق الى الازهر المعمور ينبوع العلم والعلماء ومناط الامل والرجاء الازهر ، الازهر قد ملأ هذا الاسم سمع ابن ابى الدنيا فاخذ يهرول اليه وكله طموح فى ان يملأ قلبه علما كما ملأ صلاحا وتقى .. وكما ملأ هذا الرأس فكرا وبحثا ويضع اقدامه عند باب الازهر ويسمع فيه

دويا كدوى النحل .. ويدخله باسم الله حذرا ملأته رهبة المكان وقدسية العلم ، وخشوع المتبتلين فيرى الحلقات المتزاحمة، والكتب والاوراق والازياء المختلفة ، واللهجات المتعددة ...، وينتحى ابن ابى الدنيا ناحية فيجد جماعة من ابناء طرابلس فيقبل اليهم ويتحدث معهم ...، ويضع عصا تسياره ويدور الحديث عن طرابلس وما بها وما فيها وكلهم يستزيد ويحدث ويفيض ... ولكن ما لفتانا القادم قلقلا لا يستقر ؟ بالامس هزه شوق الى مصر وازهرها لينهل من ينابيع العلم ويغترف من بحاره ..، ثم بعد ان يصل لا يستقر بل نراه قلقا يريد وجهة اخرى ... انه صوت يناديه صوت مقدس صوت له هيبة ورهبة انه صوت الحج انه الاذان المسموع ...، تهرع اليه من كل صوب الجموع !.. ويسرع ابن ابى الدنيا ليلبيه ويذهب الى بيت الله ، ثم يعود الشاب الطرابلسى الى مصر الى الازهر . ويلقى رحله ليملا هذا القلب المتعطش والفكر المتطلع ويجد الاستاذين علامتى زمنهما . الريغن ، والصفراوى ، صاحب التقريرات المشهورة ، وفى ذلك الزمان يتتلمذ عليهما ويظهر نبوغه فى العلوم التى كانت مدروسة والتى لم يكن هناك سواها فى سوالف الايام ... فالتصوف كان فنا يدرس كما يدرسه اليوم المستشرقون والمستغربون استغفر الله بل كان التصوف يدرس علما وعملا فكان التصوف رياضة روحية ورياضة فكرية ورياضة بدنية ، فوجد هذا الفن فى قلب ابن ابى الدنيا مجالا كما تجد المياه الصافية فى الارض الخصبة قابلية واثرا وتاثيرا فنهل من موارد القوم .. واخذ من اورادهم ..، وردد الحانهم ..، فى حدود لا ينكرها الشرع .

كان التصوف على حقيقته والتشريع صنوان وواجهتان لحقيقة الحقيقة وطريق الحق الى الصراط المستقيم . ودرس ابن ابى الدنيا (اصول الفقه) او فلسفة الفقه واتخذ من العقل آلة ومن (الاستنباط) و (القياس) طريقا .

ولهذا كان فى احكامه ودراسته يستدل ويبرهن ولا يرمى القول على عواهنه ..، وعندما جلس الشيخ الطرابلسى للتاليف سطر رسالة (حل الالتباس فى الرد على نفاة القياس) وهذه الرسالة تدل من عنوانها على ان شيخنا المحدث منذ ما يزيد عن سبعة قرون كان يدافع عن طريق العقل ويجعل للاجتهاد مكانه..، ويفكر فى التفكير المنهجى السليم ..، الذى يبحث عنه احرار العلماء ويتطلبه المعتزون بالتراث الاسلامى العزيز ..، اذا كان ابن ابى الدنيا حر الفكر يرجع للاقيسة والاستنباطات ورسالته تدل على انه كان يدافع عن وجه نظره فقد تصدى له ولغيره قوم آخرون متمسكون بالنصوص قاعدون على الحروف فانبرى لهم ابن ابى الدنيا فرد عليهم فى بحثه ونقد اولئك الذين ينفون (القياس) ولا يريدونه ..، اشهد الله ان هذه نقطة خطيرة تدل على روح التحرر والتجديد ...، والفكر الطليق من شيخ طرابلسى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى . ثم كانت معانى البطولة والدفاع المقدس تختلج فى صدر ابن ابى الدليا ولهذا جلس مرة اخرى وسطر رسالة فى (الحض على الجهاد) ومعنى هذا ان ابواب الفقه المحفوظة المطروقة من نواقض الوضوء وانواع المياه والخلافات اللفظية والمعارك الهامشية لم يعرها الشاب الطرابلسى أى اهتمام عندما اخذ يولف بل كتب عن الجهاد ..، هذا الباب الذى كان علماء الدين يدرسونه باعتناء ثم جاءت فترة انكمش فيها هذا الباب واصبحت الدراسة الفقهية صورا والفاظا معادة محفوظة وخلافات على مسائل بسيطة ويظهر ان ابن ابى الدنيا الف رسالة القياس ورسالة (الجهاد) فى مصر .

ثم عاد الى بلاد المغرب ..، عالما محدثا راوية ، وعلوم الحديث المحمدى قد تبحر فيها علماء اجلاء برهنوا على سعة الافق والمقدرة على تفهم رسالة الدين ورسالة الخير ...، وقد ضرب ابن ابى الدنيا بسهم وافر فى علوم الحديث

وما يتصل به ، فذاع صيته بل ان سمعته وصلت بلاده وما وراء بلاده قبل ان يعود الى طرابلس .. ولهذا ما كاد يرجع الى طرابلس ويستقر بها اياما حتى رحل الى تونس وتعرف بعلمائها وجالس كبراءها ، وافاد طلابها .. وكان ابن ابى الدنيا سفير طرابلس العلمى الى تونس الشقيقة المحبوبة...، وكان حلقة ارتباط وهمزة اتصال...، وكان بعلمه ومكانته وكثرة افادته دليلا ملموسا على عوامل الامتزاج بين اقطار المغرب .. ، وخاصة تونس الجارة ، وعلى ذكر هذا الاحظ ان رحلة الشيخ ابن ابى الدنيا الى تونس ثم مكوثه بها اعواما طويلة جعل بعض اخواننا الادباء والباحثين من ابناء تونس يحتضن هذه الشخصية ويتبنون الرجل ، مع انه طرابلسى مولدا ونشاة واصلا وفرعا ...، كما ان بعض الباحثين من مصر يريدون ان يضموا اليهم (ابن منظور) صاحب لسان العرب مع انه ايضا طرابلسى نشاة واصلا وفرعا ومتنا . فلماذا يتوزع ابناء طرابلس ويضيع اعلامها من رجال الفكر واللغة والدين بين تونس ومصر ؟؟ مع ان طرابلس فى تاريخها الادبى احوج الى ابنائها ورجالها من غيرها واهل مصر وتونس اغنياء جدا بالشخصيات العلمية والادبيـــة فهـو طرابلسى غاية الامر انه جلس للافادة والتدريس فى تونس فهل يقال ان جمال الدين الافغانى مثلا مصرى لانه القى عصاه - حينا - فى مصر وله فيها تلامذة والتشبيه هنا له فوارقه ولواحظه طبعا .. وعاد ابن ابى الدنيا الى طرابلس منبت الاسرة ومسقط الراس عاد بعد ان عرفته عالما واستاذا ومدرسا.

وما مكث فى طرابلس قليلا حتى شعر الامير (ابو زكريا بن حفص) بالحاجة اليه وعظم فائدته لتونس فاستدعاه الامير لان يكون قاضيا وقضاء الجماعة كان مركزا عظيما ومنصبا خطيرا ، وكان له دخل فى تصريف الامور وسياسة البلاد ، ومركز القضاء فى سالف الايام وهاتيك

الا عصر ما كان يكبره شيء من المناصب الا الخلافة والامارة وبجانب القضاء ولى ابن ابى الدنيا الخطابة فى الجامع الاعظم جامع الزيتونة فقد كان ابن ابى الدنيا خطيبا لسنا وفصيحا مؤثرا ومتكلما متدفقا ، وذهب صاحبنا الشيخ الى تونس ليستقبل هذه الحياة الجديدة ، .

وفى طرابلس اجتمع طلابه وتلامذته فى المدرسة التى اسسها يودعون استاذهم المحدث والخطيب والمربى ..، فقد كانت مدرسة ابن ابى الدنيا من مفاخر طرابلس واثرا من الاثار الاسلامية تلك المدرسةالتى اعجب بها الادباء وتحدث عنها كثرة من الرحالين وكان يطلق على المدرسة التى اسسها (المدرسة المنتصرية) تحدث عنها التجانى فاعجب واطنب ويذهب الى هذه المدرسة الاديب «ابو الحسن على بن موسى ابن سعيد» ويجلس فى حديقة المدرسة التى سحرته وبهرته وتأخذ حاسة الشم رونقها من العبق الفواح ، وحاسة البصر من الالوان الزاهية هذا الربيع الدائم الضاحك فى حوش المدرسة فيتذكر الشاعر الغريب حدائق تونس وامسيات شاعرية واوقات صافية فيترنم بهذه الابيات ، واعلموا انها من شعر القرن السابع الهجرى ولكل زمان طابع واسلوب

ياحبذا نسمة هبت لنا شقها	غب الكرا سحرا من روضة الحبق
حسبتها عندما هبت وقد نشقت	ببلة من نداها روح منتشق
قرنفل الهند قد وافى التجار بها	محافظين على نشر له عبق
فعندما فضه الراوى ذكرنى	بطيبه طيب عيش مولى انق
بتونس انس الرحمن ساحتها	وسقيت ابدا بالعارض الغرق
ولا اموت الى ان التقى قمرا	للحسن مطلة من ذلك الافق

ويتحدث الرحالة التجانى فى رحلته عن موضع المدرسه التى اسسها ودرس فيها ابن ابى الدنيا فيقول (وبين هذه المدرسة وباب البحر مبان من المبانى

القديمة العجيبة وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسب الاعالى ، ولا تستطيع المئة على نقل القطعة الواحدة منه قامت مربعة ، فلما وصلت الى السقف ثمنت على احكام بديع ، واتقان عجيب منيع ، وهى مصورة بانواع التصاوير العجيبة نقشا على الحجر ، وقد بنى عليها الان مسجد يصلى فيه الخ ... اذا كانت مدرسة صاحبنا بالقرب من مخزن الرخام اى قوس (ماركوس اريليوس)

وقد قلت فى اول المقال ان الشاب ابن ابى الدنيا كانت له جولات عند لشاطىء الطرابلسى واشرنا الى انه كان يذهب الى الاثار القديمة ويبحث اعنها ويتامل فيها ، وليس هذا الكلام ضربا من الانشاء والاسترسال بل يشير اليه بعض المؤرخين والباحثين

ان هذه القبة الاثرية سال عنها وبحث عنها محمد بن ابى الدنيا ويتحدث ابو البركات الفقيه ابو محمد ابن ابى الدنيا .. ان والده الفقيه ابا محمد لا لم يزل معتنى بالبحث عمن يحسن ترجمة هذه الاسطر وانه وجد نصرانيا يعرف ذلك الخط ويفك ذلك الرمز فذكر له نصها الخ ... وهذا الكلام من ابن الشيخ دليل على حب ابن ابى الدنيا للاثار وخطوطها وترجمتها ... ويقول التجانى ... وبين القصبة وهذه المدرسة يعنى المدرسة المنتصرية مدرسة ابن ابى الدنيا - هو جامع طرابلس الاعظم الذى بناه ابو عبيد وهو جامع متسع على عمدة مرتفعة . ان مقالى هذا لمحات خاطفة عن هذه الشخصية الفذة ، التى تشير اليها المراجع الاسلامية والبحوث العربية بالأطناب فى الوصف ولكنها مع الاسف تقتضب كل الاقتضاب فيما يهم فى عناصر البحث وفى الجوانب التى تكمل بها الصورة الذاتية عن هؤلاء الاعلام . هذا عيب من عيوب المراجع القديمة واسلوب من اساليب المتقدمين عندما يتكلمون

او يؤرخون لشخية فذة وعلم كبير ، واستاذ خطير ، يقولون عالم علامة بحر فهامة خاتمة المحققين صاحب دراية ورواية الخ .. ولكنها تقتضب فيما هو اهم واجدى واجدر وتوفى سنة ٦٨٤ هـ . ١٢٨٥ م ..

ولم اعثر على كتاب للاستاذ الشيخ ولا على شيء من شعره سوى هذه الابيات التى نشم منها رائحة التصوف والهدوء .

طرق السلامة والفلاح قناعة ... وازوم بيت فالتوحش مونس
يكفيه انسا ان يكون انيسه ... آى الكتاب ونوره فى الحندس
واذا رات عيناه انسانا اتى ... لينفرن نفور ضبى المكنس
ولقلما ينفك صاحب مقول ... من عثرة او زلة فى المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل ... حتى يراها فى مقام المفلس

ولى على هذه الابيات ثلاث ملاحظات

١ - ان هذا نظم فاض به على طريقة الوعظ واسلوب التصوف ولكنه لم يطبقه على نفسه حرفيا بدليل انه لم يكن عزليا ..، بل كان اجتماعيا سافر ورحل وشرق وغرب وقرب الامراء والحكام . ولم يكن فى بيت بالتوحش مونس كما اشار فى نظمه

٢ - ثم البيت الثالث فيه ما يدل على لهجته الطرابلسية اذ انه نطق (الظاء) (ضاء) وهى لهجة موجودة بطرابلس ... فينفرن نفور ضبى مكنس . وهذه اللهجة كانت فى ادلتنا على طرابلسية (ابن منظور) وساقدم لكم بحثا عنه ان شاء الله .

٣ - والبيت الاخير او الشطرة الاخيرة منه فيها اقتباس وتاثر بالحديث الشريف الذى قال فيه الرسول لأصحابه اتدرون من هو المفلس الحديث ولهذا صور النفس حتى يراها فى مقام المفلس والله اعلم .

أبو فارس عبد العزيز بن عبيد

كان مولد هذا الشيخ الحافظ والاستاذ الذى تجمعت حوله حلقات الطلاب من ابناء المغرب والمشرق ... فى مدينة طرابلس عام تسعة وثلاثين وستمائه هـ. فهو من ابناء القرن السابع الموافق ١٢٤٠م وقد كان قرنا ازدهرت فيه الحركة العلمية واتصلت فيه طرابلس بتونس بل بالشمال الافريقى اتصالا وثيقا تبودلت فيه حركات القضاء والتدريس .. ، وكثرت رحلات العلماء وموكب الحجاج حتى ان قاضى تونس كان من ابناء طرابلس وهو استاذ صاحبنا ابى فارس عبد العزيز بن عبيد واعنى به الامام ابا موسى بن عمران الهوارى الذى ولى قضاء طرابلس نيفا وثلاثين عاما ٧٠٣ هـ الموافق ١٣٠٣م حتى استدعاه الخليفة الحفصى فولاه قضاء تونس نيفا وعشرين عاما ، وتوفى الهوارى هناك سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٦م

وقد افردنا ترجمة خاصة عن ابن عمه «ابن معمر الهوارى» نشرتها مجلة فى شرق الاردن (القلم الجديد) والذى نود الوصول اليه هنا من هذا الحديث أن قاضى طرابلس كان من ابناء المغرب وهو ابو العباس احمد به عيسى الغمارى وان عبد العزيز ابا فارس، كان من اخلص التلاميذ لابى موسى الهوارى وكان ملازما له مستفيدا منه مستوعبا لدرره وفوائده، ويذكر لنا ابن غلبون فى التذكار ان مولد ابى فارس كان سنة ٦٣٦هـ. ١٢٣٨م ويذكر لنا التجانى فى رحلته.. ان مولده كان سنة ٦٣٩هـ. ١٢٤١م

وان كان هذا الخلاف الطفيف فى الترجمة لا يقدم ولا يؤخر كثيرا ولا يترتب عليه كثير اهمية الا اننا نؤثر نقل الرحالة المغربى على المؤرخ الطرابلسى لأن الرحالة كان معاصرا للاستاذ المترجم له ولانه نقل خبر الميلاد مشافهة عنه من عبد العزيز نفسه ولانه جلس لقيد كثير من المعلومات الخاصة عنه وفى الحديث عن حياته كان يقول (اخبرنى) فهو بهذا اصدق حديثا واصح رواية ونقلا .. كما اننا وجدنا فى مخطوطة الرحالة نسبة الى (بن عبيدة) ويثبت التاء وعند ياقوت الحموى فى معجم البلدان والبستانى فى دائرة المعارف يسمونه (ابن عبيد) ورواية ياقوت اصح ولعل نسخة المخطوطة عليها تاء زائدة وبنو (عبيد) عرفوا فى تاريخ هذا الجزء وفى تلك الفترات ولم نعرف نسبة بالهاء المضافة .

عرف بالامام الحافظ لانه كان من الذين نالوا درجة الحفظ فى فن الحديث وما يتصل به من المعلوم والفنون وهو بهذا ينال مرتبة الحفاظ الاخرين فى الشرق مثل الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى والامام الحافظ جلال الدين السيوطى ولم تكن درجة الحافظ بالشىء الهين السهل بل له شروطه المنصوص عليها فى (مصطلح الحديث) وناهيك بمن يحفظ بالسند والرواية عشرات الالاف من الحديث ويعرف الصحيح من المعتل والموضوع من الحسن والرجال الرواة ودرجة القبول والرفض والطعن .

وكما ان النحو خرج به علماؤه عن القواعد الى شئ اشبه ما يكون بالفلسفة من التخريج والتعليل والصرف والتاويل والتوجيه .. ، فلم تعد مسائل النحو قواعد فقط ولا مجرد اصطلاحات فقط .. ، انما العالم النحوى لابد ان تكون له حافظة قوية تفهم المذاهب وتستوعب مختلف الاراء والتحريات اللغوية والاقيسة العامة والخاصة والمتعارف والشاذ من الابنية

كذلك عالم الفقه .. ، لم يغد قاصرا على قواعد ومسائل .. ، بل لابد للعالم الفقهى من حافظة قوية وذاكرة صافية واعية .. ، ومعلومات مستفيضة غزيرة وحساسة دقيقة لأدراك دقائق التأويلات الفقهية والاقيسة الاصولية واستيعاب النادر من مسائل التشريع والاحكام .. ، بل ان عالم الفقه اكثر حيطة واشد حذرا من عالم النحو لما يترتب على الفقه من الخطورة لانها مسائل تتعلق بالدين وتتصل بالشرع وانها أمور مقدسة وللفقه جلال وتقدير عند الخاصة والعامة ولان مسائل الفقه مرتبطة اصلا بالكتاب والسنة . واجتهاد اهل الفكر من رجالات الفقه الاسلامى .. لهذا كله لم يكن الفقيه فى عصور ازدهار الفقه قاصرا على حفظ الفرائض والسنن ومعرفة المندوبات والمكروهات والمحرمات فهذا شيء يمكن ان يستوعبه حتى العامة من الناس ومن لا تربطه بالعلم ادنى رابطة انما كان الرجل الفقيه فى عصور الاهتمام بالفقه هو الباحث الدارس المطلع من يستطيع ان يستوعب ويقيس ويستنبط ويؤول ويفرع ويلم بالاشتات .. ويعرف كيف يخرج من شائك الاراء وعويص المشاكل وقد كان الحافظ الدارس شيخ طرابلس فى وقته واستاذ او انه عبد العزيز ابو فارس ، فارس ميدانه فى عالم الفقه او فلسفة الفقه فهو يجمع بين المنقول والمعقول بين الفقه والاصول يعرف المسائل من اصلها وما تفرع منها وانبنى عليها .. فهو (اصولى) من فطاحل ذلك العلم الذى يكون لدارس الشريعة النبراس والاساس الهادى له فى دياجى - الخلافات ...

وليس هذا التقديم من الكلام من باب التهرب من الترجمة او من المبالغة على الشخصية الطرابلسية والتحيز كى نضفى على فقيه البلاد ديباجة مزركشة ونلبسه ثوبا حريريا فضفاضا .. كلا .. بل ان هذا الضرب من الحديث لابد من سوقه والاشارة اليه كى تظهر ملامحه واضحة من ناحية ومن جهة

اخرى فان هذا ما شهد به معاصروه واعترف به مشاهدوه ... من رجال طرابلس ومن رجال المغرب ومن الطلاب الذين التفوا حوله وانصتوا له وتخرجوا من بين يديه ..، وخاصة من اخرجتهم جامعة القرويين فى ايام ازدهار الفقه الاسلامى فقد كانت جامعة القرويين حافظة لمذهب مالك ومن اروقتها وعرصاتها نبع العلم ونبغ العلماء .. وكان لهم فى المذهب مؤلفات وتخريجات شان فلاسفة النحو والباحثين عن الشوارد والمشواهد والقواعد فى لغة العرب ..، وكان ابو فارس بن عبد العزيز فى طرابلس يحفظ آراء (القرويين) وينقلها بامانة ودقة ويعلق عليها وينشرها بين طلابه فى مساجد طرابلس وكان واسطة النقل وكان بمثابة الاثير او جهاز الارسال غير ان الجهاز لا يتصرف فيما ينقل ولكن الشيخ عبد العزيز بما له من الفطنة الزائدة والعلم الغزير والملكة المستنيرة المشرقة كان ينقل ويعنى بكلام القرويين نقل الفاهم وعناية الدارس والمعلم المستوعب والاستاذ المتفهم الذى يحسن النقل ويحسن المحافظة ويحسن الاخذ ويحسن العطاء ..ومن المشرق كانت تنبعث نهضة فكرية اخرى فى التصوف والفلسفة الاسلامية وكان ابو حامد الغزالى من اعمدة تلك النهضة وسارت آراؤه وكتبة هنا وهناك .. ، واذا كان ابو حامد الغزالى لم تتح له فرصة لزيارة الشمال الافريقى ولم تتشرف طرابلس بدروس الغزالى وحرمت من زيارته ولم تحرم من زيارته القاهرة والاسكندرية فقد وقف على حدود ليبيا من بعيد وعاد من الاسكندرية عندما سمع بنكبة ابن رشد وكان ابو حامد الغزالى يود زيارة الشمال الافريقى لما سمعه عن يوسف بن «تاشفين» وعنايته بمذهب اهل السنة وكراهيته للمبتدعة والفلاسفة ..، الا ان ابا حامد الغزالى برغم هذا كله كان له فى طرابلس الغرب تلميذ حفظ آراءه وحافظ على دراسة كتبه وعنى بتراثه الفكرى وانتاج

قريحته ...، تلميذ طرابلسى وان لم يجلس الى حلقته وان لم يجمعهما زمان ومكان ... الا ان كتب الغزالى وبحوث الغزالى لقيت كل اهتمام من ابى فارس عبد العزيز بن عبيد فى طرابلس وخاصة الاحياء .. والمستصفى .. وليس بدعا هذا من الاستاذ عبد العزيز فان احد اجداده قد اغرم بكتب الغزالى وشارك فى المحافظة عليها وحفظها ومدحها ولعل عبد العزيز وجد كتب الغزالى فى مكتبة جده ذاك فعكف عليها ايضا واغرم بها وكان ذلك الجد معاصرا للغزالى وهو عمر بن عبد العزيز ابن عبيد بن يوسف الطرابلسى المالكى وقد كان فى بغداد وتوفى سنة ٥١٠هـ - ١١١٦م فهو من علماء القرن السادس الهجرى وقد مدح كتب الغزالى بقوله

هذب المهذب حبر　　احسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط　　ووجيز وخلاصه

ولقيه الامام السلفى واثنى عليه وقد اشار ياقوت الحموى فى معجم البلدان والبستانى فى دائرة المعارف الى هذا الطرابلسى الذى مدح كتب الغزالى .

وكما ان الرحالين فى العصور الحديثة تستهويهم فى البلد الذى يزورونه الاثار والمتاحف ويتطلعون الى غرائب المعارض ونماذج البناء والهندسة وان كان منهم رحالون يعنون بالعلم ومسائله ومدارسه والجامعات وقاعاتها والمؤسسات الاجتماعية والمحاضرات ...، واوجه النشاط الادبى والفكرى ... ، فان رحالة المسلمين فى العصور السالفة كان اهم شىء يلفت نظرهم ويستحوذ انتباههم حلقات الدرس ...، ومدارسة الاساتذة والشيوخ ... ، والانصات لعلماء البلد الذى يزورونه ...، ولهذا نجد كل مار من رحالة المسلمين على طرابلس الغرب يحدثنا عن حركة العلم وحلقات المساجد ومن هذه المشاهدات والحادثات

ناخذ صورة عن الحركة العلمية ...، فى تلك الاعصر وهاتيك الازمن ونجد من هذا القبيل الرحالة (التيجانى) الذى مكث فى مدينة طرابلس عاما ونصف عام يحدثنا عن عالم طرابلس والقائم برسم العلم فيها واستاذها المجمع على استاذيته اى ابى فارس عبد العزيز بن عبيد ...، ويحضر درسه فى الجامع الملاصق لبيته فيقول بالحرف الواحد (رايت رجلا متضلعا من العلم ، ذاكرا بالمذاهب ، لا يجاريه فيه احد ، ولا تكاد مسالة تشذ عنه حسن العبارة مشاركا فى علوم جمة) وهذه شهادة من رجل مشاهد زائر فلو شاهد غير ما يتكلم به لما رحمه ولما ترك نقده وملاحظته فالكاتب ليس من ابناء البلد حتى نقول انه حباه او اراد بالحديث عنه ضربا من المبالغة .. بل هى شهادة راحل زائر ... بل شهادة رجل له عناية بالغة بعلوم الاوائل ... بل شهادة رجل شاهد كثيرا من حلقات العلم فى الشمال الافريقى ويستطيع بهذا ان يقارن ويوازن وان يحكم على عبد العزيز حكما فيه الصواب والاصابة .

وشىء آخر يجب ان يلاحظ فى ترجمة ابى فارس عبد العزيز ... ، ذلك انه تصدر وتبحر ولم يخرج من طرابلس المدينة الا مرة واحدة .. ، ولم يرحل الا رحلة الحج التى كانت فى سنة ٧٠٣ هـ ١٣٠٣م فى اواخر عمره وكانت سنه قد بلغت الرابعة والستين ٦٤ عاما ...، فطوال عمره كان فى طرابلس بين اسوارها الا انه فاضت معلوماته ونقل عن علماء المشرق والمغرب وهم بدورهم فيما بعد نقلوا عنه فى الشريعة والحقيقة وعلوم اللسان وعلوم القرآن .. وهذه الملاحظة تشير الى ملاحظة اهم فهى بجانب دلالتها على ذكاء الشيخ وقوة باعه وسعة افقه فانها تدل ايضا على ازدهار الحركة العلمية ورواج سوقها فى طرابلس فى تلك الاونة وخاصة فى القرن السابع والثامن الهجرى رغم اضطراب الاحوال السياسية وقد يزدهر العلم فى عصور الاضطراب السياسى والاضطراب

الدولى ولا يفوتنا ان نذكر ان عبد العزيز بن فارس عندما توجه للحج كان معه رفيق كريم ابن استاذه الذى اجلته طرابلس وعظمته الشيخ الصالح «عبد الوهاب القيسى» الذى كان من رجال التصوف والتزهد وذهب ابن الشيخ وكان يحمل خير الاسماء (محمد) وكم كانت رحلة شائقة مع عبد العزيز بن عبيد... ومحمد ابن عبد الوهاب القيسى ... غير ان هذا الزميل الاخير فاضت روحه وعاد عبد العزيز ابو فارس من غير زميل ولا زال يذكر الرفقة وما شاهد من معالم الطريق ومعالم الناس ولعله كتب شيئا عن هذا فقد وجدنا نتفا من الاحاديث تدل على اهتمامه بهذه الرحلة الوحيدة واهتمامه ايضا بصاحبه الذى توفى فى طواف الافاضة ...، نضع هذه الاشارات لعل المستقبل يكشف لنا اكثر من حياة عبد العزيز ابى فارس بن عبيد .. وما كان هذا الاستاذ الضليع يكتفى بالقاء درسه فى المساجد والمحاريب ...، بل كان اكثر نشاطا وافاضة فقد كان بيته مفتوحا لطلاب العلم وطلاب البحث وكانت داره مثل الندوات العلمية والصالونات الادبية فى العصر الحديث بل كان لا يقتصر على المسجد وبيته بل كان ينتقل بنفسه الى فنادق الناس وبيوتهم ليعقد فيها حلقات الدرس وينصب خيام العلم .

ولست هنا بباخل عليك باعطاء صورة وصفية ونقل حقيقة واقعية من هذا اللون الذى يدل على حب عبد العزيز للعلم والمدارسة والمباحثة كان ذلك سنة ٧٠٦ هـ - ١٣٠٦م والشيخ عبد العزيز فى سن متقدمة وعمره ٦٧عاما عندما قدم الى طرابلس ركب حجاج المغاربة واستدعى الشيخ الطرابلسى الى مسكن الحجاج ومكان اناختهم ليلقى عليهم درعلمه فما بخل وما اعتذر ولا تهرب بل اسرع اليهم ورأى فى اسماع العلم تكريما للبلد وتشريفا له وخاصة (حديث رسول الله) وهو يعلم ان فى الركب علماء وحفاظ وفقهاء ولغويين وشعراء

ولكن فى صدر الشيخ عبد العزيز ما يستطيع ان يعطى الجميع ويرضى الجميع .... وجلس اليهم ... ودهش علماء المغاربة من بحر طفت لالئه على امواجه ،.. كلما تحركت سواكنه وجدوا عندها جديدا ،، فوائد جمة ،، انه يشرح حديث الرسول شرحا يدل على سعة وعمق واطلاع وتكاثرت زيارته لهولاء الحجاج من العلماء . وسرى النبا الى اعيان البلاد والمهتمين بمدارسة العلم ان شيخهم عبد العزيز ابا فارس بن عبيد يذهب الى ركب المغاربة ويدرس لهم .. واسرعوا يتهامسون لا نريد ان نحرم من تلك الشروح التى يغدق بها على علماء المغرب وحجاجه ... سمعناه فى المسجد وسمعناه فى بيته ... ونود الا نحرم من الاستماع اليه فى هذه الدروس الخاصة ... وكيف تكون دروسا خاصة؟ والشيخ عبد العزيز ابو فارس يكره ان يكون العلم وقفا على طائفة من الناس دون طائفة وجماعه من القوم دون جماعة ... وهرع اليه الاعيان وكبار الطلاب منتهزين هذه الفرصة وكان درسا فيه روعة العلم وقدسية الحديث .. ولو اتيح لك ان ترى تلك المصابيح الطيبة المتلألئة والشيخ عبد العزيز قد وضع متن (مسلم) امامه واخذ يشرح وعلماء المغرب واعيان البلاد وكبار الطلاب كلهم انصات واعجاب لرأيت صورة خالدة من الصور التى سجلها تاريخ الفكر الاسلامى فى طرابلس ولكن طواها فى كمه المواسع ...

واقترح احد الحجاج المغاربة على الاستاذ عبد العزيز ان يدرس ايضا شيئا من صحيح البخارى كما درس لهم فى (فندقهم) شيئا من صحيح مسلم .. ولبى الدعوة .. واجاب الطلب ليكون الربط بين الكتابين والجمع بين الصحيحين اوضح واكثر فائدة وعائدة ،، ولم يكتف حجاج المغاربة واعيان الطلاب بالاستماع الى عبد العزيز فى درسه وتعليقه بل اخرجوا اقلامهم وكواغدهم

و محابرهم واخذوا يسطرون غرائب التقييدات .. وفرائد الفوائد من شرح عالم طرابلس شيخها الدارس عبد العزيز ابى فارس .

... قيد طلابه شيئا غير يسير من شواهده وشوارد فوائده ... ثم كانت مجالات اخرى للاستماع والافادة ... تلك هى (المناظرة) التى كانت تدور بين العلماء وتختلف فيها الاراء وتظهر فيها ملكات الحفظ والاجادة والافادة ... فقد كان من المتالف المعروف ان يقوم الجدل والنقاش حول مسالة من مسائل الفقه او اللغة والادب فيتناظرون ويتناقشون على ملأ من الناس ...، كل يدلى برأيه ويلقى بحجته عن غير خصومة شخصية او اغراض فردية ...، انما يكون الجدل والمناظرة والنقاش من اجل العلم وحده واحقاق الحق وحده وكانت (المناظرة) بين الفقهاء والعلماء تميز الطيب من الخبيث والصحيح من العليل من الاراء والافكار ---..

وتتطلب (المناظرة) فنا وخبرة واسلوبا خاصا ومنهاجا حربيا فانه ميدان اشد مزلقة من التدريس والتاليف وانه يتطلب سعة الحيلة بجانب الافاضة فى المادة والفصاحة فى النطق والبلاغة فى التعبير وحسن الالقاء والادلاء ...، وهذه اسلحة كانت متوفرة عند الاستاذ ابى فارس عبد العزيز بن عبيد فقد كان له من سعة المادة وفصاحة القول وبلاغة التعبير وحسب الافصاح عن المكنون من الحقائق كان له من هذا كله ما يدفعه الى ميدان (المناظرة) ورحاب ـ المجادلة ـ ثم زد على هذا تلك الوفود التى تفد من الغرب مشرقة او من الشرق مغربة فهى بدورها تدعو الى (المناظرة) واحتكاك الاراء وتلاحم الافكار هذه الاسباب وتلك المسببات كلها جعلت من عبد العزيز ابى فارس (مناظرا) من الطراز الاول وشهدت حلقات طرابلس ومساجد طرابلس لونا من الوان المناظرات العلمية والجدال

اللغوى والفقهى يدير دفته عالم البلد وشيخها ابو فارس عبد العزيز ... وقد شهد له المشاهدون بالبراعة والبلاغة فى المناظرة والتفوق فى المخاصمة .. المناظرة العلمية والمخاصمة والمعارك العقلية اللسانية الفكرية ... ولعل فصاحة عبد العزيز مرجعها الى انه من اقحاح العرب وخلصائها ، فرغم امواج الفتوحات وتكاثر الرحلات وحوادث الايام من مد وجزر واتساع وانكماش مما يدعو الى خلط الانساب وامتزاج الدماء وتصاهر الاسر الا ان هناك قبائل وعائلات ظلت محتفظة بطابعها العربى الصميم ونسبها الخالص الذى لم تشبه شوائب المد والجذر وحوادث الكر والفر والاختلاط والامتزاج .. ، وكانت اسرة عبد العزيز ابى فارس من هذا النوع .. ، فهو عربى قحطانى من ولد سبأ بن يعرب بن قحطان ،.. عربى من اصلاب اعراب وكما عنى الاستاذ بالتدريس فاجاد وبالمناظرة فافاد ،، فانه ايضا عنى بناحية هامة قد تخفى على كثير من الدارسين والباحثين فى فن دراسة التراجم وتطور الحياة الفكرية فى هذا البلد واعنى بها كتابة (الاجازة) وليست بالطبع (اجازة) الصيف التى يتلهف عليها المدرسون والطلاب ولا اجازة الايام والاعياد التى يتلهف عليها الموظفون انما هى (اجازة) العلم التى تثبت اسماء العلماء الذين تلقى عنهم واخذ منهم .. والسند فى الحديث والاجازة لدى علماء السلف شيئان هامان قد يصل منهما القارىء العادى ولكن من وراء (السند) فى الحديث ومن وراء (الاجازة) فى الترجمة والتاريخ تثبت الحقائق وتنكشف امور وامور ... فالاجازة كالسند تميز الصحيح من الزائف وتغربل الحقائق وتلقى الاضواء الكاشفة ، وهى بمثابة «الشهادات» فى هذا العصر الحديث ،، غير انها اشد عسرا واجهادا مما كانت (الاجازة) تعطى الا بعد ملازمة الشيوخ ملازمة فيها نوع من التخصص والعكوف العلمى وقد

يلازم الطالب استاذه السنين الطوال ويدرس معه الفن الواحد او الكتاب الواحد عشرات المرات كى يحوز (اجازة) يثبت فيها براعة علمية وتفويضا للانابة عنه فى هذا الفن او ذلك الفرع اوالكتاب وبين يدينا الان (اجازة) اعطاها عبد العزيز ابو فارس لاحد المستمعين له الدارسين عليه وقد وجدنا فيما املاه عبد العزيز اضواء ترينا فيما املاه مقدار حرص الاستاذ على تلقى العلم والافادة من اساتذة المشرق والمغرب عندما حلوا بمدينة طرابلس الغرب ... هذه (الاجازة)او ذلك الثبت العلمى الذى كتبه عبد العزيز وسمى فيه اساتذته هى عمادنا فى هذه الترجمة التى نقدمها بعد وفاة الشيخ بقرون طوال ارايت ؟ ان (الاجازة) وتسمية الشيوخ تفيد الترجمة الادبية ... فهى تلقى اضواء على الحركة العلمية ... ولو لا هذه الاجازة التى خطها قلم عبد العزيز ابى فارس ما استطعنا ان نعرف شيئا عن حياته وهو طالب .. ولا اسماء الاساتذة الذين تلقى عليهم علوم العقل والنقل وما يتصل بها ....

.... ونعرف من هذه الاجازة او ذلك السند التاريخى والوثيقة الادبية ان «ابا موسى بن عمران الهوارى» كان له فى طرابلس وتونس تلامذة منه افادوا .. وبه اقتدوا .. وكان من اوائل هولاء الطلاب ، صاحبنا عبد العزيز الذى لازم ابن عمران ملازمة طويلةحتى جاء (الامر) بتولية (ابن عمران) قضاء تونس سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٥٩ م وقد مكث ابن (عمران)قاضيا لطرابلس ، كما سبقت الاشارة ، ما يزيد عن ثلاثين عاما وقد قرأ عليه فى طرابلس كتاب (التفريع) لابن الجلاب ، وكتاب التهذيب ، وعندما سافر (ابن عمران) الى منصبه الجديد بتونس ظل ابو فارس ينهل من موارد العلم على يد الاستاذ (ابى محمد عبد الوهاب الهنزوتى) وكان معيدا لدرس (ابن عمران الهوارى) عند ما كان يدرس بطرابلس وعندما رحل استلم درسه وجلس مكانه

واقاد منه ابو فارس انبغ الطلاب واحرصهم على تتبع درسه والغوص فى بحثه..، وكما لازم ابن عمران أبو فارس فاحسن الملازمة فانه ايضا يستمر فى ملازمته للاستاذ (المعيد) .

عبد الوهاب الهنزوتى ..، ومن هذا الثبت تطلع على شىء من نظم الدراسة فى هاتيك الازمان فى طرابلس الغرب ... فقد كان نظام - المعيد - معروفا وكان كبار الطلاب القاطعين مراحل ينوبون عن اساتذتهم فى التدريس والالقاء كما صنع - الهنزوتى - عند غيبة استاذه ، - ابن عمران الهوارى - وابو فارس درس على هذا الاستاذ - المعيد جملة من كتاب - المحصول - لابن المعز ... وجملة من كتاب (المستصفى) للغزالى ... وكان ابو فارس مغرما بكتب الغزالى يقرؤها مرارا وتكرارا .... حتى كاد يحفظها عن ظهر قلب ، وظل ابو فارس ملازما لابى عبد الوهاب الهنزوتى حوالى ست سنوات حتى توفى الاستاذ - المعيد - لسنه ٦٦٣ هـ. ١٢٦٤ م وايضا نجد من اساتذة ابى فارس شيخ الجميع ، واستاذ عصره .. المحدث ابا محمد عبد الحميد ابن ابى الدنيا .... وقد سبق إن قدمنا ترجمة عن هذا الاستاذ المحدث الذى تفخر به طرابلس فى تاريخها الادبى والعلمى ... درس عليه ابو فارس كتاب (الارشاد) لابى المعالى... وهذا كتاب يعتمد عليه ، ويعتد به فى فن (الاصول) ودقائق التشريع وايضا يدرس عليه مكررا ومعيدا المستصفى للامام الغزالى ويسمع ابو فارس باستاذ يمر بطرابلس عائدا من الحج وذاهبا نحو الاندلس وبلاد المغرب ويسمع بان عنده علما وفيرا ولديه ذخائر من الثقافة الاسلامية ، فيسرع اليه ، ويجلس ليتتلمذ عليه ... ذلك هو الاستاذ الاديب الفقيه ،، (ابو الحسين محمد ابراهيم الاندلسى البسطى) وكان الاستاذ البسطى قد الف كتابا فى (العربية) وفنونها ، وله فى الشعر والادب نفثات .. ولقطات وليس قراءة الكتاب

وسماع القصيدة .. من بعيد مثل قراءة الكتاب وسماع القصيدة من المؤلف نفسه والشاعر نفسه .. طبعا يكون النقل اصح ، والسماع احكم .... وهكذا يظهر شغف عبد العزيز بن عبيد جليا واضحا عندما ينتهز فرصة مرور (ابى الحسين البسطى) المؤلف الشاعر فينقل منه ، ويروى عنه ، كما ينقل ويروى عن شيوخ بلده ... بل لا يكتفى بكتاب العربية للبسطى وسماع شعره ، بل يروى عنه (المذهب) (لابى المناصف) وفى هذا الدقة فى البحث والاتزان فى النقل وكلما اجتاز طرابلس عالم او فقيه او شاعر واديب ، وجدها ابو فارس عبد العزيز فرصة للتلمذة والتطلع نحو علم اوسع وثقافة اكثر غزارة ... وكما افاد من مرور البسطى الاندلسى عندما عاد من المشرق فانه ايضا سمع بفقيه محدث آخر يجتاز طرابلس قادما من المغرب قاصدا المشرق ... الفقيه (ابو محمد بن عبد الكريم الغمارى) وقد طالت اقامته بطرابلس فوجدها عبد العزيز من سوانح الفرص فدرس عليه فن (الفرائض) وخاصة ما الفه (الغمارى) نفسه وما كتبه العالم الطرابلسى (ابو الحسن بن المنمر)الذى سبق ان ترجمنا له ثم كتاب(الحصار)الذى الفه فى(الحساب) وكان مرور ابى محمد الغمارى على مدينة طرابلس سنة ٦٥٤هـ ١٢٥٦م ومعنى ذلك ان عبد العزيز عند دراسته على العالم كان شابا فى اوائل شبابه وسنه لا تعدو الخامسة عشر ربيعا ... وكانت هناك ما تستطيع ان تطلق عليها (حركة تنقل) او (مبادلة فكرية) وادارية فى الشمال الافريقى .... ينقل من بلد الى بلد القاضى والعالم والمدرس والخطيب ، ويعين مكانه آخر وهكذا وجد فى تلك الفترة نقل العلماء والفقهاء ما بين طرابلس الغرب وتونس ، فقد استدعى الفقيه ابن عمران الهوارى الطرابلسى ليكون قاضيا لتونس بعد ان مكث فى قضاء بلده طرابلس ما ينيف عن ثلاثين عاما ، ثم عين بدله قاضيا لطرابلس شيخ

تونسى جليل القدر والعلم هو الفقيه ابو (العباس احمد بن عيسى الغمارى) وقد استلم قضاء طرابلس بعد الاستاذ ابن عمران .. فوجد صاحبنا عبد العزيز ابو فارس فى هذا القاضى التونسى الجديد ... علما .. .وادبا ودراسة .. فجلس اليه كما جلس الى سابقه ، ودرس عليه كتاب (المعالم) الذى الفه (ابن الخطيب) ومن هذا ندرك عدة اشياء .

١ - شدة الشغف بالدراسة

٢ - والتعلق بكل استاذ يقدم من هنا او هناك مادامت عنده معلومات ولديه افادات .

٣ - ثم قد يدرس عبد العزيز ابو فارس الكتاب الواحد مثنى وثلاث

٤ - ثم قد يدرس الكتاب على استاذ من المشرق ثم يدرسه على استاذ من اهل البلد ، ثم يدرسه مرة ثالثة على استاذ يقدم من الغرب .. ، وكل هذه الملاحظات تفسر لنا الحرص كل الحرص والدقة والتمعن وحب التمكن فى الدراسة وحب المقابلة والمقارنة ... وكما سبقت الاشارة ...وايضا الى حبه للمناظرة وبراعته فى سوقها

...فاننا نجده وهو طالب يحضر مناظرات كانت تدور بين استاذه - عيسى الغمارى وبعض الاستاذة الباحثين وقد كان كتاب (التهذيب) محور محاورات ومدار مناظرات وقد شهدت مدارس ومساجد طرابلس لونا منها ، واستفاد عبد العزيزابو فارس الشىء الكثير من حضوره ومشاهداته تلك المجالس العلمية والمناظرات الدراسية .. ، وهذا ايضا استاذ جليل يقدم من بلاد الشرق سنة ٦٦٢ هـ ١٢٦٣م ويقصد بلاد المغرب وعندما يعرج على مدينة طرابلس يمكث بها زمنا غير يسير وشان الدارس العالم يحمل علمه معه فيرسل منه ويأخذ ويعطى ويفيد ويستفيد ويستمع اليه عبد العزيز ابو فارس فياخذ منه وينقل عنه وقد كان الطالب الظمآن قد بلغ سن الشباب وقد بلغ عمره آنذاك ثلاثة

وعشرين عاما ، اما ذلك الاستاذ فهو الراحل الفقيه (ابو العباس الاعجمى) - ودرس عليه (المعالم) لابن الخطيب .. وهذا قاض جديد يكون حظه فى القضاء مدينة طرابلس العالم (ابو عبد الله بن ابراهيم ابى مسلم القابسى) - وعندما يصل المدينة بالطبع لا يقصر على شئون القضاء بل يمتد نشاطه الى مدارسة العلوم وفنونها فى مدارس ومساجد طرابلس فيهرع اليه شيوخها وشبابها ليقتبسوا من علم «القابسى» اقتباسا منوعا وكان من جملة هولاء بل فى طليعتهم عبد العزيز ابو فارس فيضيف الى سجل اساتذته استاذا جديدا جليلا وخاصة ان الاستاذ ابا عبد الله القابسى قد سبقته سمعته العلمية الى طرابلس قبل مجيئه وفوق ذلك قد سمع صاحبنا عبد العزيز ان القابسى زيادة على علمه ودرسه فهو جواب .... آفاق ... رحالة شرق وغرب.. وشاهد كثيرا من العجائب والغرائب واحوال البلدان والناس وقبل ان تلقى المقادير بالاستاذ القابسى قاضيا لمدينة طرابلس فقد وصل فى رحلته الى العراق ... ومكث ردحا من الزمن فى مدينة بغداد .. وهذه الاخبار وتلك الاحوال جعلت عبد العزيز يفرح كل الفرح بمقدم الرحالة الدارس الذى عنده جديد من المشاهدات والدراسات فاقبل عليه وتتلمذ له وايضا قرأ عليه زيادة على كتاب (المعالم) فن الحديث بسنده وفنونه ومتنه وما يتصل به‌من اصطلاحات ومقومات ... درس عليه - نصف صحيح البخارى ... وطبعا ليست هذه المرة الاولى التى يدرس فيها عبد العزيز «البخارى» ولكن كما سبقت الاشارة منذ قليل كان عبد العزيز ابو فارس مغرما بتلقى العلوم على يد اكثر من استاذ ... وكان ايضا من طبعه دراسة الكتاب اكثر من مرة ليكون ادق فهما واعمق درسا واصوب حكما واغزر مادة .. وهذا تحرر معناه الدقة والاتقان ، وبعد هذه النظرة العاجلة فى (اجازة) عبد العزيز ابى فارس وبعد ان عرفنا بعضا من شيوخه

واساتذته وبعد ان القينا لفتة مسرعة على انواع دراسته ودروسه ..، نكتفي بهذا القدر وان كان بجانبه ضئيلا وبهذه اللفتة وان كانت غير كافية ولا وافية ولا بالترجمة الضافية ولكن ..، مع هذا كله نستطيع ان ندرك من هذه اللفتة والنظرة مقدار حرصه على الدراسة وشغفه بالتطلع والاطلاع .. وحرصه البالغ على احترام شيوخ المغرب وشيوخ المشرق الوافدين على طرابلس ومدى حرصه على استغلال فرصة وجودهم في البلد فيسطر منهم وينقل عنهم ويتتلمذ عليهم ..، ويستمع لمناظراتهم ومحاوراتهم وكانه بهذا قد استفاد ما عوضه عن الرحيل والرحلات والتغرب والاسفار فرغم بقائه في طرابلس فهو قد اخذ عن شيوخ من المغرب وشيوخ من المشرق يشهد بهذا حديثه لطلابه وتشهد به هذه (الاجازة) التي حفظها لنا التاريخ والتي كتبها لاحد تلامذته وسمى فيها اساتذته ..، وليتنا عثرنا على اسماء تلامذته او بعض منهم لتكون الصورة الدراسية اكمل واوفى ..، وايضا استطعنا من هذه النقطة والنظرة في ثبت شيوخه ان نعرف شيئا عن التدريس والتنقلات الفكرية والادارية والمبادلات الثقافية بين طرابلس والبلاد الاسلامية ..، في فترة تكاد تكون مجهولة او غامضة مبهمة التفاصيل على كثير من الناس حتى المثقفين منهم بل والمتعرضين لتاريخ هذا البلد ، وهناك شيء نحب الاشارة اليه قبل ان نترك هذه الترجمة فقد كان عبد العزيز مع تعمقه في الدراسات الشرعية والفلسفة الاسلامية والحديث وفنونه يميل الى التاريخ وخاصة بلده طرابلس وما يتصل بها من احاديث واحداث وفترات قلقة وحركات مضطربة التي يثبتها تاريخ وتطورات هذه البلاد .. عني بحفظ وثائق التاريخ ومواده الخام التي تكون مصادر ومساند فيما بعد وعندما كانت قلاقل عهد قراقوش وحركات الموحدين وابن (تافرجين) وغير هؤلاء كانت بالطبع تصدر منهم اوامر وما يشبه في

عصرنا الحديث (منشورات) (وبلاغات) واوامر ومحظورات .. وكانت همة عبد العزيز منصرفة الى جمع مثل تلك الوثائق التاريخية فى مكتبته بجانب كتب العلم والادب واللغة والحديث لانها تتصل بتاريخ بلاده وقد كان من جملة ما شاهد معاصروه عند عبد العزيز رسالة كان قد كتبها - ابو محمد عبد البر بن فرسان - على لسان نائب الموحدين موجهة لاهل طرابلس وشوهدت هذه الرسالة محفوظة فى دار عبد العزيز ابى فارس بخطه ومعنى هذا انه حافظ عليها ونقلها ..، لا انه املاها ..، وهذا يعطينا فكرة عن جمعه لاخبار بلده ومحافظته على الوثائق والمصادر..، شان العالم الدارس والباحث منوع البحوث ..، هذا خبر قد تمر عليه سريعا ولكن من ورائه (هوايات) ودراسات .. ، وفى سطور وكلمات مجملة كان ابو فارس متاثرا فى دراسته ببعض المدارس والمذاهب فمثلا فى الفلسفة الاسلامية كان متاثرا ودارسا للامام ابى حامد الغزالى ... وفى (الأصول) .. كان دارسا ومتاثرا (بابى المعالى) ... وفى الفقه المالكى كان تاثيره واضحا بمدرسة (القرويين) ومن هذه الخطوط والتاثيرات تظهر لنا جوانب من شخصيته العلمية وان كانت تختفى جوانب اخرى فى حاجة الى دراسة اوسع وبحث اطول .

ابو اسحاق الاجدابى

اللغوى الفذ والاديب المؤلف

أبو إسحاق الأجدابي

ساتحدث فى هذه الصفحةعن علم من اعلام المسلمين وشيخ من شيوخ اللغة الباحثين ولد بطرابلس ونشا بها وجالس علمائها وناظر ادباءها ووهب نفسه للعلم واوقفها على اللغة واوابدها والادب وطرائفه ولم يذهب علمه فى صدره ولم يول ادبه فى قبره بل الف وحبر وسطر وكتب واشتهر اسمه وعلى ذكره وتسارع الناس الى كتبه والى ما يخطه قلمه فقد اخرجت طراباس هذا الباحث الاعجوبة والمدقق المتفنن ذلك هو ابو اسحاق ابراهيم اللواتى الاجدابى .

وقبل ان نتحدث عنه ونتعرض لشخصيته الفذة يحق لنا ان نعرف شيئا قليلا عن هذه النسبة وذلك النسب وانا كعادتى رجل فضفاض فى الحديث متشعب فى الكلام سواء كان هذا فى الخطابة او الكتابة او الحديث والمحاضرة ومعذرة مكررة فهكذا طبعت وعلى هذا نشأ قلمى ولسانى ... لقد كانت طرابلس الاسلامية او بتعبير اوسع ليبيا مزدهرة الحضارة عظيمة البنيان رائجة الاسواق كثيرة العلم وكانت مدنها عامرة ومن تلك المدن التى ذكرها التاريخ الاسلامى ، اجدابية ولاحظت ان ابناء البلاد ينطقونها بالكسر مع ان المعاجم اللغوية تشير الى انها أجدابية بفتح الالف وكانت اجدابية مدينة فى الصحراء وبينها وبين طرابلس ما يقرب من خمسة عشر مرحلة من

مراحل الابل او ما يقرب بلغة العصر الحديث من ٩٠٠ كيلو متر .. وباجدابية آثار وابنية عظيمة وقصور للرومان والاغريق ونجد كثيرا من الرحالين المسلمين يعرج عليها عندما يذهب الى المشرق او عندما ياتى الى المغرب فالرحالة (البكرى) يقول عن اجدابية :

«وارضها حجرية وبها عين عذبة ونخل وبساتين وينبت بها شجر الاراك دون باقى الاشجار ومن ملاحظات البكرى ذلك المسجد الاثرى ذى المئارة المرتفعة المثمنة الاشكال وهذا طراز غريب فى الهندسة الاسلامية وقد كان اهل اجدابية اصحاب يسار وثراء وفيها بيوتات فضل واهل علم... وكانت (اجدابية) موقعا عسكريا لجنود المسلمين وقبل ذلك كانت مسعكر الجنود الاغريق والرومان وكان بها ميناء تعرف بـ (المحور) تبعد من المدينة ثمانية عشر ميلا وكانت باجدابية ثلاثة قلاع عسكرية والرباح كانت تشتد بهذه المدينة فاتخذ اصحاب البلاد لمنازلهم سقوفا على هيئة قباب من الطوب .. ويمر على اجدابية الرحالة (ابوسالم العياشى) ويذكر آثارها وعمرانها ومسجد اجدابية يرجع بناءه الى عام ثلاثمئة من هجرة سيدنا محمد عليه السلام وفى مسجد اجدابية كانت حلقات العلم مزدهرة بدراسة الفقه واصول التشريع وبها درس الامام المجتهد الشهير (سحنون) المالكى عام ١٩١ هـ وانت اذا قرأت (الحلل السندسية) - تجد ان (حمديس بن القطان) يحدثك انه سمع من سحنون ابن سعيد) يقول سمع منى العلم سنة احد وتسعين ومئة اهل اجدابية.... ولا اريد هنا ان اكثر الحديث عن اجدابية وتاريخها ومكانتها العلمية فهذا له موضع آخر واسال الله العون لقلمى والصحة لنفسى انما اريد ان اتحدث عن شيخ يلقب بالاجدابى والحديث يجرجر بعضة بعضا

نشا الاجدابى فى مدينة طرابلس ولم ينتقل منها او يرحل عنها فكان طرابلسى المولد والنشاة والوفاة وكان شديد الذكاء كثير البحث

عظيم الفحص عميق الغوص يتلهف على مسائل اللغة فليتقطها كما يلتقط الطائر الجائع الحب ، واذا ذكرنا الاجدابى فاول ما يتبادر الى ذهن السامع والقارىء كتابه الشهير (كفاية المتحفظ) وهذا الكتاب رغم صغر حجمه يدل على غزارة المادة وسعة الافق وقد كان مصدرا من المصادر التى اعتمد عليها اهل اللغة من ابناء المشارقة مثل (احمد الفيومى) صاحب كتاب (مختار الصحاح) وكمال الدين الدميرى صاحب كتاب (حياة الحيوان) وقد كان كتاب الاجدابى هذا فتحا فى اللغة ومعاجمها مع انه مختصر ولكنه سهل العبارة واضح الاسلوب بين الغاية لم تكتنفه جلامد الالفاظ ومقاعير الكلمات وقفز كتابه الى مصاف المراجع واخذ الصدارة بجوار المصباح وتهذيب ابن سيده والمجمل والخصائص وغير ذلك من كتب المتقدمين من ائمة اللغة وكفاية المتحفظ الذى سطره الاجدابى الطرابلسى وجد كثيرا من عناية الباحثين واعتماد الدارسين ثم تناوله العلماء والادباء بصورة اخرى شرحوه وعلقوا عليه بل ونظموه فى قالب من الشعر او ما يشبه الشعر ليسهل حفظه وتعلق بالذاكرة ابياته وكلماته .... نجد مثلا قاضى الحرم الاديب محمد بن عبد الله بن ابى بكر الطبرى ينظمه فى الفية لا بل فى اكثر من الفية فقد كانت منظومة الطبرى لكتاب الاجدابى تبلغ الف وثلاثمائة بيت ورغم ان الاديب ابا بكر الطبرى تكبد عناء ومشقة فى نظم كتاب الاجدابى الا انه خلط حينا وغلط احيانا ولكن مهما يكن من امر فهو مجهود مشكور ماثور ... وكفاية المتحفظ من كتب اللغة المتداولة كثيرا وحازشهرة فاقت «الالفاظ الكتابية» للهمدانى وما يشبه هذه البحوث وقد كانت عندى منه طبعات مختلفة طبع القاهرة وطبع بيروت ، وقد كتب على احدى النسخ ما قاله جمال الدين ابن العدوى معجبا به مقدرا له مثنيا عليه .

من كان يطلب من الغريب وسيلة من شاعر او كاتب متلفظ
او كان يبغى فى الكلام بلاغة فليحفظن كفاية المتحفظ

ان ابا اسحاق الاجدابى الف كثيرا من الكتب وعديدا من الرسائل والبحوث وخدم لغة القرآن وشريعة محمد ولكن اين كتبه وابحاثه ؟ الف فى العروض او فى علم الخليل بن احمد كتابين صغير وكبير وفى فن التجويد ذلك الفن الجميل الذى تظهر فيه موسيقى القرآن ويبدو حسن الالحان وتظهر اجادة القراءة والترتيل ذلك الفن الجميل السامى يؤلف فيه الاجدابى رسالة جليله القدر عظيمة الفائدة ، وفى رسالة الاجدابى هذه نقد وحرية راى وسعة علم وطول باع فقد رد على القرة الامام «ابى حفص» فى تثقيف اللسان وكما كان الاجدابى ذو حساسية فنية واذن ذات حساسية موسيقية يتبع موازين التجويد فى القرآن الكريم وموازين الشعر فى العروض فهو ايضا يتبع ويدرس موازين الالفاظ فى الصرف وهكذا كان اللغوى الطرابلسى دقيق الاحساس شديد الملاحظة لطيف التاليف غريب البحث ... والاسم الذى آخره ياء مثل على وثرى وغبى وسرى ونبى تكون ياوه معتلة ولهذا النوع من الاسماء حكم فى الميزان الصرفى يشرحه الاجدابى ، ويولف رسالة (شرح ما آخره ياء من الاسماء المعتلة)ثم تغلب عليه روح البحث وضلاعة التنقيب والمقايسة فلا يكتفى الاجدابى بمجرد السرد وذكر الاسماء بل يشرح ويعلل السبب الذى من اجله اعتلت هذه الياء ثم يبين الاجدابى حكم اللغة فى حالة التصغير على وثرى وفى حالة التكسير وغير ذلك من حالات التغير وطوارىء التبديل . ولايكتفى الباحث الطرابلسى فى رسالته بهذا بل تراه يقرأ القرآن لا قراءة بركة وسرد وحفظ بل بجانب هذا ومع هذا يقرأ القرآن قراءة باحث لغوى ومدقق محقق فيجد فى

سورة مريم مقاطع بليغة وآيات كريمات ، تشمل على عديد من احكام الصرف واللغة قال تعالى (قال انى عبد الله ، اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت ، واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) صدق الله العظيم . يشرح الاجدابى هذه الابيات وتلك المقاطع من سورة مريم ويطبق عليها او يستنبط منها قواعد التصريف ودقائق اللغة ، وبحثه هذا وتطبيقه دل على روح التحقيق وحاسية العلم ودقة الادراك .

وكان الشيخ الطرابلسى له مقدرة وخبرة بعلم الانساب وتسلسل القبائل وتفرع الفروع وهذا الفن كانت له مكانة فى هاتيك الايام والعصور الخوالى ويظهر ان الاجدابى ما كان يميل الى التطويل ولا يحب الاطناب فلهذا يؤلف فى علم الانساب رسالة مختصرة موجزة ، ثم يذهب ابو اسحاق الى كتاب (نسب قريش) فيقرأه ويدرسه ويهضمه ثم يختصره باسلوبه ويقدمه مجهودا نافعا الى المكتبة الاسلامية وكان كتاب (نسب قريش) بقلم ابى عبد الله بن الزبير بن العوام .

وابو اسحاق لا يكون نظره قاصرا على الانساب وموازين الصرف ودقائق العروض والشوارد والاوابد من اللغة بل يكون ادق نظرا واوسع افقا واطول باعا واعمق بحثا فينظر فى هاتيك الاجواء وتلك الجوزاء ويعلم منازل الانواء ومواقيت الرياح وما يتصل بهذا الفن من معرفة الزوابع ودراسة الامطار يدرس حالة الطقس ويطبق النظريات ولقد كان للعرب فى هذا الفن دراسة مستفيضة ولهم به روايات ودرايات ويولف الاجدابى كتابا فى (الانواء على مذهب العرب) وايضا كعادة الباحث الطرابلسى فى مؤلفاته يكون بحثه عظيما مفيدا ولكنه مختصر موجز

قد يسال البعض ما فائدة ذكر هذه الكتب واسماء الرسائل ونحن لا نجد بين ايدينا شيئا منها اللهم الا كفاية المتحفظ ؟ ما الفائدة فى سرد الاسماء وعناوين الكتب والبحوث ؟ . وقد سألت هذا السؤال عندما كنت طالبا ادرس الفلسفة بكلية اصول الدين وثرت فى وجه الدكتور محمد البهى مساه الله بالخير ما فائدة ذكر الكتب وسرد العناوين ونحن ندرس الاعلام والشخصيات الفلسفيةثم لا نجد لهذه الكتب والرسائل اثرا فى الخارج فهل المسالة سرد وفهارس ؟ فلطف الدكتور من حدتى واجاب جوابا معناه ... ان هذه الاسماء وتلك العنوانين لها فائدة فهى تدل على مكانة الشخصية والقيمة العلمية ثم لعل الايام فى المستقبل تسمح بوجود شيء من هذه المؤلفات ، ونحن ايها القراء الكرام عندما نذكر الاجدابى ونذكر اسماء كتبه ولا نجد بين ايدينا منها الا كتابا واحدا انما نريد بهذا تقديم صورة عقلية ونموذج علمى حتى تكون صورته الذاتية مكتملة النواحى مضاءة الجوانب ثم لعل المستقبل يبرز لنا شيئا من هذا التراث العظيم الذى تفخر به طرابلس فى ميدان الفكر الاسلامى والثقافة العربية .

كان ابو اسحاق الاجدابى من صدر المئة السابعة للهجرة وقد اعجب بكتبه كثير من مفكرى الاسلام وخاصة كتابه فى الانساب قد مدح هذا الكتاب الشيخ ابو الحسن بن مغيث فقال (هو كتاب عجب لا كتاب نسب) ومرجع هذا على ما يظهر ان الاجدابى عندما اختصر الكتاب لم يكتفى بالاختصار بل له فيه زيادات وتعليقات اظهرت شخصيته فى البحث حتى استحق الثناء العاطر من بن مغيث وغيره من اجلة الباحثين .. وقد اعتنوا المترجمون بصاحبنا اللغوى فالشيخ محمد لطيبى الشرقى يولف كتابا يسميه (تجريد الرواية فى تحقيق الكفاية) يشرح

فيه كتاب الاجدابى ويترجم له ويبين لنا مكانته وايضا (المجد اللغوى) اثنى عليه الثناء الذى يشرف العقلية الناضجة و جلال الدين السيوطى يعقد فصلا فى كتاب (بغية الوعاة فى طبقات النحاة) يتكلم فيه عن الشيخ الاجدابى ومكانته العلمية ومقدرته اللغوية ·

ومن ابرزما يذكر عن ابى اسحاق جودة خطه وحسن اعتنائه به واقبال الكبراء عليه وهذا غريب فى الشمال الافريقى فان جودة الخط نادرة عند ابناء المغرب وكان الشيخ يكتب الكتب المطولة وينقلها وكان للسلاطين والامراء غرام باقتناء خطه وامتلاك مؤلفاته .

وحدثنا الرحالة التيجانى فى رحلته عندما تحدث عنه « واكثر تاليفه ملكتها بخطه وكان رحمه الله احسن الناس خطا»

وكان الامير ابو بكر زكرياء الافريقى شديد البحث عن خط الاجدابى وسمع الامير ان كتاب الفصيح بيع بخطه فى طرابلس فارسل البريد يبحث عنه فوجده عند الوارقين الطرابلسيين وسمع الامير ابو زكرياء ايضا ان فى طرابلس كتاب امثلة الغريب لابى الحسن الهنائى ، المعروف بالكراع وكان بخط الاجدابى ويملكه بعض بنى (النقاد) وكان هولاء من اعيان طرابلس فوجه الامير الى هولاء الاعيان يريد الكتاب فوجه اليه ، راى الرحالة التيجانى كتاب (النقاد) بوصول الكتاب الى الامير والشكر له

طبعا لم نتدرج فى البحث على طريقة الترتيب والتبويب وسنتحدث عن ملامحه بعد كل هذا الكلام الطويل .

كان ابو اسحاق كريما طلق الوجه طلق اليد طلق اللسن ما ان يسمع بزائر او عالم او اديب يقدم مدينة طرابلس حتى يسرع اليه ويغدق عليه ويحسن وفادته وضيافته .

وكان له عناية بكبار القوم والوجهاء واصحاب المكانة المرموقة وهذا يدل على ثراء وثروة اذ لو كان معدما فقيرا لما استطاع ان يستضيف الاغنياء والكبراء والادباء والعلماء وكانت لابى اسحاق دار فى وسط مدينةطرابلس بمقربة من الجامع الاعظم (مسجد احمد باشا الان) وكان الاجدابى احول .

ولعل من الطريف ان نذكر هذا الحادث : حضر الاجدابى يوما بطرابلس مجلسا عند قاضيها محمد بن هانش الطرابلسى فحكم القاضى حكما رد عليه ابو اسحاق الاجدابى فقال القاضى .. اسكت يا احول فما استدعيت .. ولا استبقيت فأثرت هذه الكلمة فى نفس الاديب الفقيه الباحث ، وغضب غضبة العلم انها كلمة جارحة يا احول ، وذهب لفوره عاصرا ذهنه مستحضرا ذاكرته جامعا للشوارد والشواهد والنوادر وكتب رسالة عن (الحول) فيالها من غضبة اهدت للمكتبة الاسلامية بحثا طريفا ويذكرنى هذا بما صنعه احد ادباء مصر عندما اغضب لاحديداب به فكتب المصرى رسالة عن (الحدب) وتقوس الظهر ولكن رسالة الشيخ الطرابلسى عن الحول فاقت رسالة الاديب المصرى عن (الحدب) وكانت ولاية (ابن هانش) الذى اغضب الاجدابى عام ٧٤٤ هـ وذلك بعد ان فر منها القاضى محمد بن فاضل البكرى الافريقى وقد فر خوفا من اهل مدينة طرابلس وظل ابن (هانش) واليا على طرابلس الى عام ٧٧٧ هـ وكانت ولايته ٣٢ سنة

واهم شىء يسترعى انتباهنا ان الاجدابى بلغ ما بلغ من العلم والادب واقتبس منه المشارقة واستفاد منه المغاربة وبحث عن كتبه الملوك والامراء ومع هذا لم تكن له رحلة عن طرابلس ولا تكبد مشاق السفر والغربة كما رحل وسافر العلماء الاخرون ولم يخرج الاجدابى من طرابلس المدينة ابدا .

وعدم رحلته وسفره يدل على شيئين (١) كثرة العلم وازدهاره فى طرابلس

فى تلك الاونة (٢) علو همته وعظيم عصاميته حيث استطاع ان يكون شخصية علمية وهو لم يخرج من ابواب طرابلس وهذا عجيب يدعو للتساول وقد سئل فعلا .. يا ابا اسحاق انى لك هذا العلم ولم ترحل ؟ فقال ابو اسحاق ... اكتسبته من بابى (هوارة) (وزناته)..، هذان بابان من ابواب مدينة طرابلس نسبة الى من نزل بهما فى الزمن القديم .. ويريد الاجدابى انه اكتسب ما استفاده من العلم بلقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشارقة والمغاربة ...

وطبعا دفن الاجدابى فى طرابلس ووجدت فى احد المخطوطات مكتوبا (ودفن فيها قرب باب البحر) ثم وجدت التيجانى فى رحلته يقول عندما ذكر طرابلس (وزرت هنالك ايضا قبر الفقية الامام ابى اسحاق الاجدابى وهو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده)

وقد بحثت طويلا عنه وسالت الكثير ولكن ما استطعت العثور عليه ونرجو ان لا يضيع قبره كما ضاع فى القاهرة قبر المؤرخ ابن خلدون وقد قامت بعثة من المستشرقين الالمان منذ سنوات للبحث عن قبر ابن خلدون وكم من قبور عظماء ضاعت مثل عمرو ابن العاص وقبر (موزار) الموسيقى العظيم وارجو من علماء البلد وشبابها ان يعنوا بالبحث عن قبر العلامة اللغوى ابى اسحاق الاجدابى وعن رسائله ومؤلفاته فانها أهم .

عبد السلام بن عبد الغالب المصراتى

الفقيه الفاحص

عبد السلام بن عبد الغالب المصراتي

من رجال القرن السابع الهجرى ، له تاليف ودراسات وأحدث اثرا فى محيطه الذى عاش فيه وتدرج فى سلم التعليم حتى اصبح استاذا فى فنون عصره وعلوم زمنه وخاصة فى الفقه وفروعه والفلسفة الاسلامية والتصوف النظرى والعملى ..، ذلك هو ابو محمد عبد السلام بن عبد الغالب المصراتى وهو من اسرة ابن عبد الغالب التى لها اصول وفروع فى طرابلس فى بلدة مصراتة ...، وقد هاجر كثير من ابنائها الى تونس وبلاد المغرب ،.. فكانت آصرة ترابط وواسطة تصاهر حتى انصهر كثير من ابناء اسرة عبد الغالب فى تونس ...، وتصدروا ونبغوا فى مجالات الدرس والتحصيل وكم كان جميلا رائعا من هذا الطرابلسى ان يجلس فى مساجد تونس ومدارسها كما كان جميلا ان يجلس فى مساجد طرابلس ومدارسها اساتذة من تونس والمغرب تشابك محبوب وتنقلات كريمة ..، وقد كان عبد السلام هذا من الذين تتلمذوا على يد الاستاذ (ابى يوسف الدهمانى) وشيخ زمنه (ابى زكريا محمد البرقى) ودرس على الاخير فن القراءات السبع ، والحديث والفقه ، وقد الف فيما بعد فى كل هذه الفنون التى درسها على اساتذته الاجلاء وعلى يده تخرج كثير من الذين اصبحوا شيوخا اساتذة ومؤلفين مثل (ابو زيد عبد الرحمن الانصارى) وبجانب علمه فى الدراسة الشرعية فقد كان حسن الترتيل جيد التجويد

يعرف ضوابط القراءات ومختلف التلاوات ..،وفى التصوف الف رسائل تناقلها معاصروه ووجدوا فيها نبعا طاهرا ،.. وصفاء ظاهرا وحقائق واضحة ..، ولا تلمه ان الف فى (التصوف) فهو صوفى فقيه وهكذا علماء زمنه ولكل عصر رجال ولكل ميدان فرسان وابطال ...، اكثر تاليفه وبحوثه كانت فى الفقه المالكى ..، هذا العلم الذى كتب فيه آلاف المجلدات منذ اجيال واجيال ولا يزال فى عصرنا فى حاجة ماسة الى تشمير السواعد وتحريك الهمم فان الفقه هو روح الشريعة وعماد الدين ومحور العبادات والمعاملات وصلة العبد بربه وصلة الناس بعضهم ببعض لهذا الف عبد السلام ابن عبد الغالب كتابا جمع فيه خلاصة الفقه واسسه ودعائمه واوجز فيه واسماه (الوجيز)على طريقة السلف فى تسمية (المطول) « المختصر) (الوجز) المحيط) (الجامع) (والكامل) على طريقة (المغنى) (جمع الجوامع) وكلها تدل على التطويل او الاختصار او الاتساع والاقتضاب فآثر ان يكون تاليفه فى الفقه موجزا مختصرا لا يخل ولا يمل .. واخذ كتابه طريقه الى المكتبة الفقهية وتقبله الدارسون بقبول حسن واعتمدوا عليه ، واستندوا اليه ، حتى اننا نجد فى العصور المتاخرة (الشيخ خليل) فى شرحه على «ابن الحاجب» ينقل من (الوجيز) الذى الفه ابن عبد الغالب المصراتى ، وخليل عند فقهاء المالكية يعتمد بنقله ، ويعتمد على قوله ، ولم يخلو ابن عبد السلام وكتابه من نقد الناقدين وهجوم المهاجمين ...، شان كل من درس والف ، فان شيخا من شيوخ المالكية راى فى كتاب صاحبنا ضعفا ولم يعتمد عليه بل نقده وضعف كل من نقل عنه ذلك هو (ابن عرفة الورغمى) ومرجع راى ابن عرفة فى كتاب (الوجيز) ان عبد السلام المصراتى يحيل اراءه على ما كتبه الامام (سحنون) ثم يذهب ابن عرفة الورغمى الى كتاب سحنون فلا يجد ما اشار اليه المصراتى وهنا

يرمى بالكتاب ويتهم الكاتب بالاختلاق ..، والضعف فى النقل ، ويراه غير جدير بالاعتماد عليه..، والاقتباس منه ، وانصافا للحق ووضع كل شيء فى مكانه ، ومن اجل المقياس النقدى ..، نؤكد ان «ابن عرفه» قد تحامل على ابن عبد الغالب وكتابه حملة بالغة اولا - ان مؤلف الوجيز لم يحل القارىء على كتاب معين للامام «سحنون» فمن الجائز ان ابن عرفه لم يجد الرأى فى كتاب سحنون وقد يجده فى كتاب آخر له - ثانيا - من الجائز ان المسالة التى لم يجدها مسطرة فى كتاب سحنون تكون سقطت من الناسخين وكم جر اهمال الناسخين من مشاكل .

ثالثا - ان مسالة واحدة لا تضعف المؤلف ولا تدعو الى أهمال الكتاب دفعة واحدة وكثيرا ما يسهل اهمال النقل ومهما يكن من امر فان كتاب الوجيز قد استفاد منه كثير من المدرسين والمؤلفين فى الفقه وفلسفة التشريع وفى غير الفقه الف عبد السلام المصراتى كتابه (شرح اسماء الله الحسنى) اى انه بحث فى (الميتافيزقية) ومعنى كثير من الصفات والاسماء التى قد تبدو مكررة وبمعنى واحد ومن هذا يتطرق الى التوحيد والى مقدار استخدام العقل فى مثل هذه الشائكات ..، وطبعا كان اعتماده على النقل والمأثورات اكثر من اى شيء اخر ولكنه مجهود علمى يدل على مقدرة ساعدته على الخوض فى مسائل يحار العقل فيها ، وقد كانت اسماء الله مبحث دراسة لكثير من رجالات الفكر الاسلامى من معتزلة وظاهرية وباطنية ومتصوفة وفلاسفة وأشاعرة وفى كل عصر ولكل فريق مؤلفات فى هذا الناحية وخاصة الامام «ابى حامد الغزالى» فقد اتحفنا برسالة لها قيمة فى هذه الموضوع وان كانت رسالة عبد السلام المصراتى لا تصل الى درجة ما كتبه الغزالى الا انها تدل كما سبق على دراسة ومواصلة وحب للبحث

والتـاليـف ..، وكتـب بجـانـب هذا (الـزهر الانيـق) فى قصـة يـوسـف الصـديق ، تعـرض فيهـا لشرح هذه القصـة التـى هى من رائعـات الايات الكريمة قصـة النبى الذى تعتبـر قصتـه نموذجا انسانيا ساميا ..، قصـة الشـاب المضطهد والشاب السجين ،... قصة الشـاب الذى تعـرضـت له المرأة فى اوج جمالها ودلالها فخشى ربه ..، واثر العفة والفضيلة ..، وهنا يتطرق ابن عبد الغالب الى حديـث يشـوبه كـلام رقيـق وتعـابير حسنـه ويمـزج التفسيـر بالتصـوف والادب بالعلـم ولولا اطـلاعه على دقـائق التفـاسيـر لمـا تعـرض لتفسيـر هذه السورة والتعرض لتلك القصة ، التى تصور النبى فى جميع مراحل حياته ، وهكذا يكتب الشيخ الطـرابلسـى الذى هاجـر الى تونـس فى التـوحيـد ، والفقـه ، والتفسيـر، والتصوف والادب الاسلامـى وليـت الزمـان جاد بكل مؤلفـاته لنـرى منهـا صورة اكمل واوفى ، عمـر طـويـلا وتوفى بالقيـروان وقد جاوز السبـعيـن باشهـر قليلـة ، وآبـت روحـه الى ربهـا يوم الخميـس ٢٨ صفـر سنـة ٦٤٦ هـ وبعد صلاة الجمـعة سار به الموكـب الى المقـر الاخيـر وتنـازع طـلابه وعامة النـاس على حمـل جنازته فكل يريد ان يستـاثر بحملـه او يشـارك فى توديعـه ورقد بجـوار (ابى الحسن القـــابسـى)

وكان للاستـاذ اخ شارك فى العلـم والتصـرف «ابو العباس احمـد بن عبـد الغالـب»..، فيـه صلاح وتقـى وفيـه ظـرف ولطـافة .. ، وطالما ردد المقاطـع التـى تعجبـه امثـال

انـت غافـل وقلبـك ناسـى ذهب العمر والذنوب كما هى
لم تبـادر بتـوبـة منك حتـى صرت شيخـا وحبلك اليوم واهى

إبراهيم بن عبد الغالب المصراتي

حلقة من حلقات الاتصال الثقافي بين طرابلس والمغرب . . . شيخ استفاد منه اهل تونس والقيروان . عرف بالتواضع ، ومديد المعونة للفقراء وامتاز بطريقته المحببة في الوعظ والارشاد، وحفظ غريب اللغة ، وغريب الحديث، وحسن التاويل فكان له في اللغة العربية باع طويل واطلاع غزير ، شان علماء تلك الازمان يحفظون الغريب النادر ، والصعب الشارد مما يدل على قوة الحافظة وكثرة الاطلاع وغزارة المادة . . . ومن صفات الواعظ المتصل بالعامة والخاصة ان يكون اداة خير دالا عليه ، امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . سمح الجانب وقور السيرة

وكان ابراهيم بن عبد الغالب صاحب فصاحة وطلاقة وصوت مجلجل مدو . مما اهله لان يصبح خطيبا لمسجد القيروان والخطابة في القيروان لم تكن بالامر السهل فلا يقدر عليها ، ولا يرشح لها، ولا يقوم باعبائها الا العالم المتضلع ، والفقيه المقتدر والخطيب المصقل او كما يعبرون ، المصقع ،

فقد كانت مدينة القروان مزدحمة برجال الفقه والشريعة وفيها مدارس ومساجد ازدهرت بالحركة العلمية والثقافية وبرز فيها فطاحل من شيوخ الدين ... رحم الله الصحابي الجليل(عقبة ابن نافع)لقد اختط مدينة القروان فاهدى للعالم الاسلامي مدينة دفعت السهم وافرا في خدمة الحضارة والفكر وازدهار العمران.

درس ابن عبد الغالب المصراتى فى مدينة القيروان فاحسن فى درسه ووعظ فارشد فى وعظه وخطب فالهب العواطف بخطبه . . . وعلا شانه وذاع صيته واصبح فى القيروان مرموق الجانب مكرما محترما واطمان به الحال وهدا له البال .

ولكن ابراهيم بن عبد الغالب لا يستمر به الحال على وتيرة واحدة ، فهاهى ذى وشايات تدبر وشائعات تذاع ومكائد تصنع فقد تعرض لالسنة حداد تنقل عنه ما لا يعجب ، هاهى ذى السنة اهل القيروان تلمز وتغمز ولعل مرجع هذا الى مبلغ الصدارة العلمية التى وصل اليها بجده وكفاءته ... والى المركز الادبى الذى تبواه بمقدرته وجدارته ، فحسد على ذلك . وكل ذى نعمة محسود ... لقى الاستاذ الخطيب فى طريقه اشواكا تلقى ، وقتادا يرمى ، وما اكثر ما يكيد اهل العلم بعضهم لبعض .... وتنافس اهل الفكر قد يودى الى المكر والدس احيانا ، والحسد يدفع الى توليد الشائعات ويصنع الاقاويل ، تعرض ابراهيم بن عبد الغالب المصراتى لسهام الرائشين والسنة الحاسدين ولما ادرك ما يدبر له وما يحكون له وما يشيعون عنه غضب غضبة العلماء وثار ثورة الكرماء ... وحزم امره وكره ان يبقى فى (القيروان) بعد ان اخلص لرسالته وادى واجبه فترك البلد وذهب مغاضبا ذهاب يونس ابن متى وتلمسه اصحابه ومريدوه فما عادوا ويجدون الدرس النافع ، والوعظ الشافى والخطابة المفيدة ، واسفوا لفقده لقد كان فى القيروان هاديا لطلاب العلم ولعامة الناس فقد تاب على يده كثير من عصاة خرجوا عن الطريق السوى وزلقوا عن الصراط المستقيم . . .

وادركته الوفود خارج البلد واسكت بزمام راحلته املين العودة اليهم ولكنه خرج خروج الاديب العالم (عبد الوهاب المالكى) من بغداد وان

كان ذلك لم يجد من اهل بغداد رغيفا غير ان ابراهيم المصراتى وجد من اهل القيروان الرغيف والوظيف ولكنه وجد معه الكيد والمكر من الخصوم فآثر ان يبتعد بنفسه عما يدبر له ويحاك . . . ورأى انه سيجد فى اى بلد اسلامى يحل به اهلا وصحابا وطلابا، ما دام رائده العلم وغايته الخير والهداية ، وقدم الشيخ الى تونس العاصمة وحط بها رحله اتخذها دارا وبدا فى الدرس والوعظ والخطابة واكرمه اهل البلد وانصتوا اليه وتجمعوا حوله واخذ يصلح ما بين الخصوم ويرشد التائه . وندم اهل القيروان على خروج هذا المصلح المرشد وتمنوا ان يعود اليهم ولكنه آثر تونس على القيروان ...

وامتد به العمر حتى غدا علما من اعلام القرن السابع الهجرى . . . وكان ابراهيم بن عبد الغالب المصراتى لا يرحم نفسه من السهر والاجهاد ومواصلة الاجتهاد . على كبر فى السن وعلل فى الجسد ومن كثرة اجهاده لنفسه والعكوف على التحصيل ومواصلة الدراسة والخطابة اصيب بامراض واعراض كان اشدها واعنفها (المبلغم) واحس منه بضيق واحتباس فى حلقه ... فعطل كلامه ، وثقل لسانه ، واقبل الاطباء يتفننون فى علاجه . ولكن المرض يشتد وبهجة الصوت تذهب رويدا رويدا والفصاحة تغيض عنه وما عاد يقدر على اعتلاء المنبر ، ولا الجلوس للدرس ولا يستطيع الخروج للعامة ... واقبل طبيب حاذق مهر الطب فنصح ابراهيم بن عبد الغالب ان علاجه سيكون ميسورا سهلا فى مناخ (القيروان) فهنالك اجواء تصلح له وهناك فى القيروان برؤه وشفاؤه ونصح الطبيب الشيخ ان بقاءه فى تونس يزيد صحته تفاقما، وشفاءه تباطؤا ولكن ابراهيم ابن عبدالغالب تذكر مالقيه من بعض الوشاة الحاسدين فى القيروان...فهو يابى العودة اليها،وامتنع عن الذهاب ولو من اجل العلاج ،... فهو حاد الطبع، غضوب لكرامته ، ثائر لعزته ...

ولكن طلابه والمعجبون به يلحون عليه ، ويحرضونه بكل وسيلة على الذهاب للقيروان من اجل الشفاء والعلاج وظل فى اصراره ...

وتطرق الخبر الى حاكم تونس ... فهاله الامر اذ للشيخ ابراهيم بن عبد الغالب مكانة وهو اثير لديه وبه معجب وله مقدر ... فامر الحاكم بان يتوجه ابراهيم بن عبد الغالب (الى القيروان) وان امتنع يرغم على الذهاب فان الناس على مختلف طبقاتهم يودون سماع خطابته والاستنارة بدراسته ... وصحته ليست وقفا عليه وحده بل اصبحت شيئا تهتم به البلاد كلها ... وازاء هذا رضخ اخيرا ... وذهب مع طلاب خلصاء ورجال اوفياء يصحبون ركب الاستاذ الخطيب العالم ...

وعند باب مدينة القيروان كانت هناك وفود اهل البلد تنتظر مقدم ابراهيم ابن عبد الغالب المصراتى ودخل البلد دخول الفاتحين فى موكب مهول وجمع غفير ... وانكمش الخصوم وتلاشى الحساد وتبخر كيدهم عند ما شاهدوا هذا الرجل وقد اقبلت اليه... وتقاطرت عليه..، جماهير البلد تحتفى به وتستبشر برجوعه وان كان مريضا فقد كان العطف اكثر والحب اوفى واكبر...

وظل فى القيروان مدة علاجه فى عناية واحاطة ... وشفى من مرضه وانطلق اللسان ... وتهدر الصوت المجلجل وعاد الى المنبر والدرس من جديد واستمعت القيروان الى فصاحة ممتلئة بالعلم وارشاد ممزوج بالفضل... وبعد شفائه عاد الى تونس العاصمة ... الى حلقاته وطلابه الى مجالسة الكبراء يفيدهم والى العامة يعظهم حتى استاثرت به رحمة الله فى شهر رمضان من العشر الاواخر ... فى الرابع والعشرين عام ٧٠٤ هـ - الموافق ١٣٠٤م ودفن بباب تونس فى موكب دل على محبة الناس له ، واعجابهم به ... فقد اخلص لعلمه فاخلص الناس له .

الحطاب

الحطاب شخصية تعتز بها طرابلس فى ميدان العلم والبحث واللغة ، وكم فى طرابلس الاسلامية من اعلام وشخصيات خدموا الثقافة الاسلامية وبحثوا الابحاث المفيدة وقدموا نتاج اقلامهم ثروة طيبة الى المكتبة الاسلامية الشيخ محمد الحطاب من اعلام القرن العاشر الهجرى ينحدر من اصل اندلسى ... اتخذ اباؤه طرابلس موطنا وبلدا وكان والده من شيوخ المسلمين اشتهر بالصلاح وعرف بالتقوى فاتخذ لابنه احب الاسماء - محمد - وكان مولده فى أمسيات رمضان وأهل طرابلس يحتفلون ويستعدون للسحور فى الثامن عشر من الشهر عام ٩٠٢ هـ ١٤٩٦م ونشا محمد بن محمد الحطاب فى بيت علم وبيئة فضل وقوم لهم من التصوف نصيب وافر ... وحفظ كتاب الله وتلقى الفقه على والده الحطاب وعلى اعلام زمانه ونشا محمد شغوفا بالعلم مقبلا عليه نهما ويطفئ بالاطلاع ظماه الذى لا ينطفئ .. وكان شعلة لا يهدأ ولا يمل من الاطلاع والحفظ والبحث وبجانب هذا كله كان الحطاب رجل فكر واستنباط واستقصاء ... يشغل فكره ويبحث بعقله ويميل الى البراهين والادلة ولا يكتفى كالشيوخ الغفل بالنقل والرواية والحفظ والسماع وفى

كل علم للشيخ الحطاب باع - وعلى كل شاطئ له شراع ... والعلوم الاسلامية كالسلسلة مترابطة متلاحقة متلاصقة متداعية فلا يمكن ان يكون هناك فقيه جاهل بالحديث او محدث جاهل باللغة او لغوى يجهل البلاغة وهكذا ... غير ان درجة التفاوت تختلف بين الاتقان والاطلاع العام ومن هنا تظهر الشخصية العلمية ويتكون النبوغ والتفوق .. وقد كان الشيخ الحطاب الطرابلسى من تلك الشخصيات الفذة التى لم تكتف بالاطلاع المجرد والثقافة العامة بل كان متفوقا نابغا ذا طابع خاص وشخصية لها ميزاتها .

ونجده يؤلف فيكثر التاليف ويبحث فيطيل البحث ولكنه لا يؤلف فى الفقه فقط ولا يقف عند مسائل التصوف فحسب بل نراه يبحث فى النحو ومشاكله. والاصول واستنباطه، والفلك وابراجه والحديث ورجاله واللغةوشواردها.. واصولها وشواهدها . وهكذا كان الحطاب بحق عالما علامة بحرا فهامه بلغة الواقع والحقيقة لا بلغة المتاخرين ولهجة أهل المناقب المبالغين - فقد كان علامة طرابلس نقادة بحاثه وسما يدل على روح البحث والتقصى انه كان ينظر فى كثير من المسائل الدينية فلا يجد فيها نصا ولا يدور حولها كلام من الفقهاء فيقف الحطاب امام هذه المسائل وقفة المتامل الناظر ثم يجمعها فى كتاب ظريف .. لم يسبق اليه الحطاب - واذا كان باحثو الفلسفة يعتمدون كل الاعتماد على كتاب ارسطو وباحثو اللغة العربية يعتمدون على كتاب سيبويه وباحثو التصوف يعتمدون على كتاب الابريز . . . . . فان باحثى الفقه المالكى فى العصور المتاخرة يعتمدون كل الاعتماد على كتاب الشيخ خليل . فهو مرجعهم وعمدتهم يعتمدون عليه ويأخذون مسائله قضية مسلمة ويحفظونه ويشرحونه وينظمونه ويختصرونه وكان اكثر الناس عناية به ابناء المغرب وخاصة اهل طرابلس . . . ولكن الشيخ الحطاب

عندما يقرأ خليل قراءة درس وتمعن وفحص فيجده قد قصر فى بعض المسائل وغلط وخلط فى بعض النقط. فيحرك الحطاب قامه ويتناول قراطيسه ويستحضر مسائل الفقه ثم يكتب رسالة يستدرك فيها على خليل ويستدرك على شراح خليل وشراح «ابن عرفه» «وابن الحاجب» الاصولى المعروف واستدراك العلامة الطرابلسى يدل على عقلية ناضجة لا تقلد ولا تكرر كما يصنع كثير ممن قرأ «خليل» وتعبد بكلام خليل ويراه عمدة الفقه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والحطاب المدقق والنحوى الباحث يتصفح كتب اللغة فيجد كثيرا من اصحاب المعاجم والقواميس يفسر اللفظ بلفظ اخر مرادف له فيكون هذا التفسير وهذا الشرح غير مفيد ولا مبين فمثلا الجوهرى فى صحاحه احيانا يفسر اللفظة بمعنى ويدلك على معنى هو بعينه المعنى الاول . . الايغال هو التعمق والتعمق هو الايغال - فالحطاب يلاحظ هذا ويؤلف فى اواخر أيامه رسالة لطيفة من الالفاظ العربية التى فسرها صاحب الصحاح بالترادف وايضا الفيروزبادى صاحب القاموس لا يسلم من ملاحظات الحطاب وقلم الحطاب فيتتبعه بروح الناقد ويتصفح القاموس بروح الباحث المدقق ويلاحظ عليه كما لاحظ على الجوهرى فى صحاحه ثم يخرج لنا هذه الملاحظات وتلك التعليقات كتابا كله فوائد وطرائف ولا يكتفى الحطاب بهذا ولا يسكت عن الفيروز بادى بل يتتبعه مرة اخرى بادق وأعمق ويلاحظ تلك الاغلاط التى وقع فيها وكم فى القاموس من اغلاط وهذا البحث الدقيق الذى كتبه علامة طرابلس يذكرنا بما كتبه علامة مصر المرحوم «أحمد تيمور» وما كتبه صاحب «الجاسوس على القاموس» مفخرة لبنان احمد الشدياق غير ان علامة طرابلس سبق المصرى واللبنانى فى بحثه ونقده بما يزيد على ثلاثة قرون.

ويكتب رسالة فى الالتزامات ... وهو أن الرجل قد يلزم نفسه معروفا.. وهذا بحث دقيق يحتاج اليه أهل الافتاء من رجال الفقه المالكى وقد ادرج هذا البحث الشيخ «عليش» فى فتاويه المشهورة وايضا لم يسبق الحطاب بهذا البحث ولا يكتفى بالعلوم النظرية وبعلوم الحفظ والنقل بل يشارك فى علوم الفلك وهذا علم خطير قد ضرب فيه علماء الاسلام بسهم صائب وما زالت نظريات المسلمين فى الفلك مبحث دراسة عند علماء أوروبا .

والحطاب ينظر فى الفلك ويمدرس ويؤلف بحثا قيما فى كيفية اخراج مواقيت الصلاة بلا آلة كالساعة والمزولة والاصطرلاب .. وهذا بحث غريب وطريف فى آن واحد لم يسبق اليه الحطاب ايضا وهكذا كان سباقا فى البحث وغريبا فى التاليف والجدير بالملاحظة ونحن نتكلم عن علامة طرابلس انه كان يستعمل عقله ويقيس بالمنطق ويستعمل أصول الفقه . ذلك العلم الجليل الذى صعب على علماء وفقهاء اليوم فاهملوه وتركوه ودرسوا الامور السهلة التى يعرفها الاطفال والبنات والنساء مثل نواقض الوضوء وموجبات الغسل وترك هؤلاء الكسالى اصول الفقه وفلسفة الفقه والاستنباط والقياس والشيخ احمد بابا التنبكتى يقول فى كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» عن الحطاب «كان يقيس المنصوص على غيره» ويذهب الحطاب للحج ويظهر هناك علمه وفضله فيتولى رئاسة المذهب المالكى بالحجاز ورئاسة المذهب مركز يدل على مكانته فى العلم وطول باعه فى البحث وشهرته الفائقة وكان الشيخ الحطاب الطرابلسى اخر ائمة المالكية بالحجاز طبعا لان المذهب الحنفى ثم الحنبلى انتشرا فى تلك البقاع ومرجع هذا الى الاتراك الذين نشروا المذهب فى الشام ومصر والعراق والحجاز وبقى المغاربة والشمال الافريقى محافظين على مذهب الامام مالك لهذا نجد اكثر المجتهدين والكاتبين والشراح والمؤلفين فى مذهب مالك

من ابناء تونس والجزائر ومراكش وطرابلس الغرب .. لقد شاركت طرابلس في حفظ مذهب مالك بن آنس ودرس علماؤها في الازهر ومساجد الشام بل نرى من ابناء طرابلس من يتولى رئاسة المذهب المالكي في الحجاز وكان الحطاب لا يقل في ارائه مكانة في الفقه وفلسفة الفقه عن اعلام المذهب مثل «سحنون» وابن عرفة وابن عبد السلام وخليل .

كتب في اللغة والفقه والاصول والتصوف الاسلامي ولا شك ان التصوف هو اقرب الفنون الى الفقه لهذا نجد الحطاب يدرسه ويتطلع على فنونه ورسائله ويجمع بين رسالتي عبد الرحمن السيوطي وابن حجر في «تفريج القلوب» وكتاب الغزالي «الاحياء» مرجع المراجع عند المتصوفة ورجال الاخلاق ونجد الحطاب يشرحه ويعنى به ... ومصطلح الحديث هو المعيار والميزان لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ونجد الحطاب يصول قلمه ويجول في ميدانه ويبين بعض الاحاديث ويفرد لها رسائل وكان الحطاب احيانا لا يشرح الكتاب كله بل يتخير موضوعا منه وينتحي ناحية ويدرسه ويعلق عليه كما أخذ باب الحج من «خليل» واخذ باب السفر من «الاحياء» وحرر بحثا مستقلا ...وفي النحو يختصر اعراب خالد الازهري لا لفية ابن مالك ويعلق على «التوضيح» ويعلق على قطر ابن هشام.

وهل يترك الحطاب التفسير بدون ان يكتب فيه ؟ كلا رغم مرضه وكبر سنه واستلقائه على فراش المرض ما زال يحبر ويسطر ويكتب في التفسير ويعلق على «البيضاوي» ثم يشرع في تفسير القرآن كله ولكن لا يتمه بل يصل فيه الى سورة الاعراف وفي فن القراءات والتجويد يشارك برسالة تدل على احاطه واضطلاع وفي فلسفة الفقه شرح كتاب امام الحرمين «قرة العين» وعاد الشيخ الحطاب الى طرابلس بعد ان مكث في مصر طالبا وعالما وفي الحجاز رئيسا للمذهب وظل يكتب ويدرس ويبحث ،

وفى ليلة التاسع من ربيع الثانى عام ٩٥٤ هـ - ١٥٤٧م كان الشيخ يسلم روحه وما تجاوز الثانية والخمسين من عمره وبجانبه اوراق ومحابر واقلام وتفسير لم يتم وخرجت طرابلس تودع علامتها الخالد محمد الحطاب واما ابحاثه ورسائله فعلى العلماء والشباب ان يبحثوا عنها .

أحمد البهلول

صلاتك ربى والسلام على النبى على المصطفى المختار خير البرية

طالما رددت هذا اللحن الجميل مع والدى واختى فى صباى على شاطىء الاسكندرية وفى وسط القاهرة ونرى الشموع تضاء ويطلق البخور ونردد الاناشيد ثم يعلو صوت القراء ويمتزج ونردد معهم فى لهجة حلوة موسيقية لها ايقاع جميل فى النفس، وتاخذ بمجامع الحس وبعد فصل من القصائد تكرر النغمة ونردد البيت

صلاتك ربى والسلام على النبى، على المصطفى المختار خير البرية،

او نقرأ بيتا اخر حسب القافية

صلاتك ربى والسلام على الذى يصول على الاعداء بالفتح والنصر

نردد تلك النغمات ونتلوها تيك القصائد فى موسم كريم ايام ميلاد محمد الرسول صلوات الله عليه

ومجموعة القصائد الحلوة هى ديوان للشيخ الصوفى الشاعر احمد البهلول الطرابلسى فقد كان البهلول من الشيوخ الذين تفخر بهم طرابلس ومن اعيان القرن الثانى عشر للهجرة

وكانت وفاة البهول فى مدينة طرابلس يوم السبت ثانى رجب سنة ١١١٣ هـ ١٧٠١ م. ويذكرون فى نسبه انه ابن حسين بن احمد بن محمد بن على بن

حمد بن قائد بن احمد بن سيد الناس..، ونشأ البهلول طالبا للعلم باحثا عنه حتى اذا ترعرع عوده ونضج فكره واشتد ساعده اخذ راحلته «ومزوده» وملاه «بالزميتة» التى اشتهرت بها طرابلس وحفنات من التمر الفزانى وذهب الى الشرق الى مصر الى الجامع الازهر الى رواق المغاربة ذلك الرواق الذى كان له كبير الفضل على كثير من اعلام الفقه والشريعة والتصوف امثال الشيخ زروق والشيخ الحطاب، وكل من جد بعزم فى طلب العلم وحفظ المتون وقرأ الشروح وتعمق فى الحواشى عل طريقة القدامى ومنهج السلف ، وتتلمذ على كبار علماء مصر امثال الشيخ احمد البشبيشى الكبير والشيخ محمد الخرشى الشهير.

والعلامة عبد الباقى الزرقانى والشيخ الشرنبلالى وغير هؤلاء من اولئك الاعلام الذين حافظوا عل لغة القرآن وسنة سيدنا محمد رسول الله .

وذهب حاجا الى بيت الله ومن هنا انطبعت احاسيسه بالطابع الدينى واثرت فيه تلك المعالم المقدسة .

كان الشيخ الطرابلسى فصيحا حلو البيان لسنا منطيقا يحب المناظرة ويقبل على المجادلة ذا نفس طويل فى المناقشة وله ميل الى البلاغة والبحث عن المعانى الطريفة والاخيلة الظريفة، والاستعارات والمجازات، كان مغطورا عل الادب وحب الشعر ولكنه مع هذا كان متصوفا زاهدا فهو من اصحاب الشخصيات المزدجة التى تعددت ميولها وكثرت مواهبها وانصهرت عواطفها .

يخفق قلبه بالحب هذا الاكسير الخطير ولكنه حب عذرى ثم تطهر الحب فاصبح حبا علويا حبا سماويا حب محمد بن عبد الله .. وياله من حب مقدس واكبر به من عشق استولى على قلب احمد البهلول فجعله يترنم ويتغنى ويتالم ولكنه الم الحب الذى فاض شعرا وشعورا، واصبح خبره فى العالم منشورا مشهورا ومن اجل ذلك وتلك الاستغراقات العلوية والنفحات السماويه اطلق عليه الطرابلسيون

لقب «بهلول»، عندما مدحه بقصيدة مطولة منها .

يافاضلا فضله بين الورى شهرا

وعاقلا وهو بالبهلول قد شهرا

ويلاحظ هنا ان اهل طرابلس يستعملون اسماء الاضداد فالبهلول فى اللغة هو الشجاع الصنديد ولكنهم يطلقونه عل المعتوه و ـ السرحان ـ والابله .

كما ان كلمة ـ الباسل ـ فى اللغة الشجاع ولكنهم بطلقونها على الرجل غير المستساغ ـ دمه ثقيل ـ كما ان البياض يطلقونه على الفحم الاسود ـ وارحمه ـ على الطريقة الطرابلسية اى أضربه بلا رحمه ولا هوادة حفظنى الله من الرحمة الطرابلسية ...، وأعود الى الشيخ البهلول الذى ملأ جوانبه حب محمد كما ملأت جوانب كثير من رجالات التصوف ابن العربى وابن الفارض وابى العباس المرسى وياقوت والاباصيرى وابن عطاء الله السكندرى والشيخ البغدادى .

وعلى ذكر هذا الاخير أقول والحديث ذو شجون وافنان وفنون ان كثيرا من الناس فى هذا البلد يظن ان كتاب المدائح للبغدادى هو لاحمد البهلول فيطلقون على ـ سر باب الوصول فى مدح الرسول ـ البغدادى ... مع ان هذا خطأ محض وغلط متداول .

فالبغدادى صاحب كتاب القصائد الوتريه فى مدح خير البرية كان فى القرن السابع وتوفى سنة ٦٢٢ هـ. وما ابعد هذا من ذاك وما ابعد طرابلس عن بغداد .

والبهلول له تخميسة العياضية فى مدح خير البرية والتخميس فن من فنون الشعر العربى وضرب من انماطه تظهر فيه البلاغة وروعة التصوير ودقة التعبير والتلاعب بالالفاظ والعواطف وسرعة الخواطر وحلاوة البديهة وسعة اللغة وقوة الذاكرة مالم يكن فى التخميس التكلف والتقعر والتنميق فان التكلف فى كل

شيء يضر وخاصة في عالم الادب ودنيا الشعر.

والبردة طالما خمسها الناس وغيرها من مجامع الشعر الاسلامي والبهلول له رسالة في الادب على طريقة القدامى في القصة سماها - المقامة الوترية - وقد كانت المقامات في كثير من الفترات فناله مكانة ومكان من يوم ان وضعها بديع الزمان الهمذاني وابدع فيها الحريري الى ان قضى عليها بالتكلف الثقيل.

وأختصر البهلول - العزية - ولكنه أختصرها نظما وجعلها سهلة الحفظ ظاهرة المعنى قوية المبنى وفي التوحيد ينظم البهلول سبعين بيتا ويسمي قصيدته - درة القصائد - وكانت بحق درة يقدمها الشيخ الطرابلسي الى رفوف الكتبة الاسلامية ويلاحظ ان شيخنا كان حنفي المذهب ومذهب ابي حنيفة له اتباع قلائل في طرابلس، وطبعا الف في مذهب النعمان منظومة اطلق عليها - المعينة - تشبه الى حد كبير منظومة ابن عاشر في المذهب المالكي مذهب الغالبية العظمى في طرابلس وعلى ذكر هذا والحديث دوما عندي متشعب متفرع يظهر لي ان البهلول هذا ينحدر من سلالة العلامة احمد البهلول الانباري الذي ولي قضاء بغداد عشرين عاما وكان من اعيان القرن الرابع الهجري وقد تكلم عن الانباري ابو بكر الخطيب فقال «كان عظيم القدر تام المروءة يذهب بمذهب اهل العراق في القياس وابي حنيفة».

ومنذ عامين اعطاني احد الناس مقطوعة في التصوف وزعم انها لاحمد البهلول وهكذا كتب عليها وطبعت على انها لصاحبنا البهلول وهي بلهجة طرابلسية فيها حكم ومواعظ.

نا مالي قياس
أيش عليا مني
اقلق من رزقي ليش
والخالق يرزقني

قـالـوا لى بعـض النـاس

أتعـقـــل يابهـلـــــول

واتـــرك عنك الوســواس

واعلـم مـــا انـت تقـول

وابنـــى الحيـط على الاسـاس

ان رباطك محلول الـخ الخ

ولكنى بعد بحث وفحص ايقنت انها ليست لاحمد البهلول صاحب الديوان المشهور - سر باب الوصول فى مدح الرسول - لان صاحب الحكم والمواعظ يسمى يحيى الشرفى البهلول ولم اجد هذا الاسم. فى سلسلة سيدى احمد البهلول .

ولكن فهمت ان المنظومة تدل على ان صاحبنا متصوف طرابلسى وما اكثر بها ليل طرابلس ويشبه كلامه كلام ابن عروس

وفى طرابلس أوجد البهلول حركة علمية ونشاطا ادبيا بدروسه التى يلقيها فى مساجد طرابلس ولم تكن فارغة مثل هذه الايام التى نسى فيها علماؤنا رسالة العلم ورسالة الدين .

فقد درس البهلول الشفا للقاضى عياض وهذا من اهم المراجع فى شمائل رسولنا محمد صلوات الله عليه ونبع من منابع سيرته .

ودرس صحيح البخارى وكان يحفظه مشافهة وناهيك برجل يحفظ البخارى ويدرس الشمائل ويقرض الشعر ويدرس التفسير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدى واجب العلم فى الذود عن الحق ومحاربة الاباطيل ومحاربة الجهل .

وليس ما أقوله نوعا من البسط فى الترجمة والاطناب بل اليك ما يدل على هذا من القصيدة التى مدحه بها احد تلامذته .

يا عالما بتقارير «الشفاء» شفا

امراض قلب الذى فى درسه حضرا

وصح لما روى عنه مشافهة

صحيح متن « البخارى » وارتوى دررا الخ

وعندما كان حفيده مهاجرا فى مصر طالبا فى الازهر حركه الشوق وهزه الحنين الى بلاده طرابلس فنظم قصائد وصلتنا منها قصيدة مشهورة حظناها ونحن تلاميذ صغار بالمهجرواشار فى آخرها الى جده البهلول .

طرابلس الغرا ترالى عودة

اليك وهل يدنو الذى كان قد ذهب

سقى الجانب الغربى منك سحابة

ولا زال فيك من رياح الصبا يهب الخ

أريد ان أتحدث عن البهلول الشاعر الطرابلسى كثيرا واشبع فيه الكلام والبحث ولكن وويلى من لكن يصعب على هذا لقلة المراجع وعدم وجود المصادر وليس لدى الان من نتائج فكره سوى الديوان الذى طبع فى استانبول وفى القاهرة بمطبعة الخشاب متوسطة وطبعة محمد صبيح رديئة شأن كل الكتب التى قام بطبعها هذا الرجل احسن الله اليه فطبعته كلها اغاليط وطبع ثلاث طبعات او أربع هذا الديوان المبارك الذى يقرأه ابناء طرابلس فى هذه الايام المباركة فكنت احفظه مع أختى الصغيرة رحمها الله ولا شك ان ديوان الشاعر هو أعظم مرجع له فيه يظهر شعوره وفيه تحس احاسيسه كما ان نفسية الكاتب تظهر من خلال سطوره وادراكات الفنان من تموجات نغماته والحانه والرسام من الوانه ولوحاته والعالم من ابحاثه ودراساته كذلك شيخنا احمد البهلول قلت مراجعه وتعذرت مصادره نسيه قوم وجهله اقوام وقرأ ولا تعجل فان العجلة هنا تفسد الادراك ،،،

عساكم تجودوا أو ترقوا لحالتى
وما كان بعدى عنكم من ارادتى
اكابد احزانى وفرط صبابتى
ولم ترحموا ذلى وطول بكائى

الليل والنجوم وحرقة الفؤاد المكلوم ودموع العين والذل والاسار والشوق والانتظار يصوره البهلول

نزحت دموعى من بكاى عليكم
ولم تنظروا حالى وذلى لديكم
واسر فؤادى بالهوى فى يديكم
اراعى نجوم الليل شوقا اليكم
وذاك لرغبتى فى الهوى وشقائى

والبهلول يكثر من ذكر المنعرجات ومسقط اللوى والبرق وحادى السرى وغير ذلك من الاخيلة والامكنة والظلال والرسوم التى وردت فى الشعر العربى القديم حتى اصبحت معالم على الحب والشوق واسمع معى الى الصوفى العاشق يناجى حادى البيد حادى القافله وهى صرخة حب صادق.

سالتك بالرحمن ياحادى السرى
أعد لاحبابى حديثى وما جرى
اراعى نجوم الليل فيكم مفكرا
بروق الحمى لاحت لعينى وقد سرى
ولله كم من ليلة قد سهرتها
ونيرانهم ليلا بعينى نظرتها
بدت عندما جس الظلام رأيتها
لموع سيوف جردت لحروب

وديوان البهلول مرتب على حسب حروف المعجم وفيه مولد الرسول ومعجزاته وشمائله وكل هذا باسلوب سهل

وشعر رقيق لايتذوقه الا ذو عاطفة ووجدان ، وقد درست شعر البهلول وفى فترة من حياتى همت به ولاحظت من هنا ملاحظة هو ان الشيخ الصوفى كان محبا وقد اذاقه الغرام الوانا من السقام ويظهر ان محبوبة الشيخ قد كانت مناط وحيه وينبوع شعره ومطرقة فجرت بيانه ولست ادرى اهى من مصر القاهرة ام من هنا فى طرابلس !؟ تلك التى هزت مشاعر الشيخ فاحبها ثم تغير حبه وتبدل وتطور واصبح حبه للنبى وشعره مدحا له بعد ان كان يتغزل فى محبوبته ومع الاسف ضاع شعره الغزلى الاول كما ضاعت محبوبته الاولى فى خضم الزمان العاتى لاغرابة فى هذه النقلة وذلك التطور فى الحب والغرام واستاذنا عمر بن الفارض سلطان العاشقين وامام المادحين قالوا ان غزله وغرامه كان لمحبوبة حسناء ثم انقلب زهدا وتصوفا الاهيات وقدسيات وايضا المتصوف محى الدين بن العربى احب فتاة فى مكة وأثرت فى طبعه والشاعر الشيخ البهلول ايضا والدليل على هذا قوله فى ديوانه وارجو أن تقرأ بدقة فالعجلة لاتثمر هنا تمكن فى الاحشاء كل التمكن وصافيته فى الود من كل ممكن ... ولكنه رغم هذا التمكن وذلك الصفاء والود والوفاء فالمحبوب غالى فى صده وتعالى فى دلاله فقال البهلول

ولما رأيت العمر فى الصد قد فنى تغزلت فى شعرى به غير اننى
رجعب الى مدح النبى بهمتى

ويظهر تاثر البهلول فى كثير من المواطن بشاعر الالاهيات والقدسيات عمر ابن الفارض على تباعد الزمان والمكان فقد كان ابن الفارض مصريا والبهلول طرابلسيا وكان ابن الفارض فى القرن السادس والبهلول فى القرن الثانى عشر أما الموازنه والمقارنة بين عمر بن الفارض واحمد البهلول فعندى لها بحث آخر ساقدمه فى فرصة اخرى أن شاء الله .

ابن غلبون

ايها الغطاريف الميامين ، احاطكم الله بسلامه ، شاكرا حضوركم هنا وتفضلكم بالاستماع الى ثم شاكرا لمدرسة طراباس دعوتها لى للمساهمة فى هذا الموسم الثقافى وليس ما اقدمه هنا محاضرة بالمعنى المعروف والمنهج المالوف انما هو اشبه مايكون بالمسامرة دون المحاضرة ثم ليس لدينا من المراجع ما يكفى لاعطاء ترجمة ضافية كافية وهى اشبه ما تكون بالمسامرة المرتجلة وعذرا فى هذا فهو طبيعى كما قال احد الزملاء مداعبا بالامس ... يظهر ان املك ولدتك ارتجالا .

ساتحدث فى هذه الامسية عن رجلين كان لهما اكبر الاثر فى حفظ تاريخ طرابلس وجمع اخبارها فى عصورها الاسلامية العربية .. وهما ابن غلبون والنائب الاول صاحب كتاب (التذكار فى تاريخ طرابلس الغرب) الاول شيخ وعالم ازهرى والثانى اديب ومثقف ومن وجهاء البلاد .

ابو عبد الله بن محمد بن خليل غلبون المصراتى ، وكم اخرجت مصراتة من علماء وادباء مثل ابن غالب المصراتى والشاعر ابن شتوان واخرين ولا تزالت اسرة ابن غلبون تمتد فروعها وغصونها فى مصراته وانحاء ليبيا وعلى شاطئ الاسكندرية،، كان عالما من علماء زمنه واستاذا صريحا فيه جرأة المؤمن وغضبة الحر الكريم وله فى ميادين الاصلاح الاجتماعى جولات موفقة وخطوات

مباركة .. وليس هذا ضربا من الاسلوب الانشائى بل سنبرهن عليه بذكر بعض الحقائق وسرد جملة من الوقائع .. واحب ابن غلبون التاريخ وخاصة تاريخ طرابلس حبا جما تملك عليه حواسه فاخذ يجمع ويضم ويبحث عن الجذاذات والقصاصات والمخطوطات ويفصل ويبوب ويلم اشتات الاخبار عن المعالم والاعلام وينقل ويراجع ويهمش ويعلق حتى كان من نتيجة هذا كتابه الذى يعد عمدة ومرجعا فى تاريخ هذا البلد فى عصوره الاسلامية العربية .. ويظهر لى ان ابن غلبون ينحدر من الاندلس فاننا نجد فى هذا اللقب صياغة اندلسية وعلامة التعظيم والتفخيم كانت عند اهل الاندلس (ون) تضاف الى آخر اللقب واخذها الاندلسيون عن لغة الاسبان ولهذا تجد كثيرا من القاب الادباء والشعراء والعلماء الاندلسين على هذه الصياغة وبذلك الشكل .

زيدون.... حمدون .... سرحون ... سحنون .... وايضا غلبون ولا نجده فى المشرق .. وهذا من خصائص اهل الاندلس .. وقد امتاز ابن غلبون بصراحة فى الرأى وجرأة فى الفكر وغضبه لله عندما يامر بالمعروف وينهى عن المنكر.. عاصر احمد القره مانلى موسس الاسرة القرمانلية وحاكم طرابلس فى زمنه وكان اثيرا عنده .. مقربا اليه .. يسمع الحاكم لرايه.... ويقبل استشارته ويكرم وفادته .. ويحسن منزلته ويغدق عليه من اكرامه .. وكان ايضا ابن غلبون سفيرا وشفيعا بين العلماء وطلاب العلم وبين (احمد القره مانلى) يعرض مطالبهم ويدفع المظالم عنهم وعندما تكاثرت الضرائب على اهل العلم كان وسيطا لاسقاطها عنهم وازالتها عن كاهلهم .. ومن ماثره المذكورة المشهورة .. ان الخمر كان يقطر فى بلدة مصراته ويستخرج من النخيل كما هى العادة فى كثير من انحاء البلاد وهى عادة تضر بالناس والزرع وغضب ابن

غلبون من تقطير الخمور وافساد العقول والنخيل فما اكتفى بالنهى الشفهى والامر اللفظى بل تلمس كيسه ودفع من جيبه ثمن ما استقطر من النخيل كى يمنع هذه العادة وامر برد المال الذى اخذه المقطرون ودفعه من خالص ماله ولم يكتف بهذا بل ركب فرسه وتوجه نحو الحاكم فى قصره بطرابلس وطلب منه اصدار امر وصياغة قانون بمنع تقطير الخمور من للنخل (اللاقبى) وكان يكره البدع ويحارب المستنكرات ويطرد عن الشريعة كل الشوائب والعوائب التى تشوه جوهر الشرع الحنيف.. وكان بينه وبين المبتدعة واهل الخرافات، جولات وصولات .. ومحاجات ومناظرات افحمهم والجمهم ومن مناظراته مادار بينه وبين الشيخ النعاس فى تاجوراء وقد سجل المناظرة فى كتابه ... تلقى ابن غلبون دراسته فى الجامع الازهر ودرس كما يقولون علوم العقل والنقل ومكث فى رحاب الازهر سنين طوالا وعاصر الشيخ عبد الرزاق البشيشى وابى يحيى السوسى وبعد ان اتم الدراسة الازهرية وصقلت ملكته وتغزرت مادته عاد متوجها الى بلده ومسقط راسة (مصراته) وكانت عودته كما اشار فى كتابه سنه ١١١٣هـ-١٧٠١م وفى مصراته كانت ولا تزالا توجد مدارس وزوايا دينية مثل مدرسة الشيخ الفقيه هدية المغرب لطرابلس احمد زروق صاحب المؤلفات المعتمدة فى مذهب مالك ومدرسة عبد الله المحجوب وكان الاساتذة والطلاب يفدون صوب البلاد نحو هذه المدارس الدينية كما ان علماء المغرب فى رحيلهم الى الحج وغيره عند ما يحط بهم الرحال فى البلد يدرسون ويتناقشون ويأخذون ويعطون وكانت حركة الدراسة العلمية لهاسوق رائج وعملة سائرة وكان لابن غلبون حلقة مثل اقذاذ ذلك العصر وطلاب معجبون وان كان اندلسيا كما يظهر لنا الا انه عربى قح كما اشار ابن خلدون عند الكلام على (آل سليم).. موطنهم مصراته ورئاستهم فى اولاد مرزوق فى المئة الثامنة لابن غلبون.

وكما الف فى التاريخ كتابه «التذكار» فقد الف فى الميراث والفرائض رسالة شرح بها(الرحبية) ولا تزال مخطوطة الى الان ولعل له رسائل اخرى مندثرة ضائعة .

ويمتاز ايضا بانه نقادة له صراحة ظاهرة فى نقده وحرية فى بسط فكره ويدلنا على هذا موقفه مع علماء من زملائه فعندما الف الشيخ على بن عبد الصادق كتابه فى (الفتاوى) سماه التذيل .. تصفح ابن غلبون الكتاب وعلق عليه بصراحة وقال (انه زعم انه ذيل به المعيار وجمع فيه الغث والسمين شيئا لم يسبق به) وكان يلوم صاحب (الفتاوى) على اعتماده فى مؤلفاته على اقوال العامة والنقل بدون تحر وكان دفاع على ابن عبد الصادق عن نفسه ازاء نقد ابن غلبون .. انه كان يريد حفظ مسائل العلم خوف الضياع وهو جواب لم يرض ابن غلبون الناقد العالم وفى احدى ليالى سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م كان متوجها الى طرابلس فنزل فى تاجوراء وفى مدرستها الدينية بعد العشاء اطبق عليه الشيخ عبد السلام بن عثمان التلجورى بمناقشات حادة ومجادلات عنيفة فقد كان ابن غلبون يستنكر بعض تصرفات التاجورى ويراها منافية للشريعة واصول الدين والكتاب والسنة وكانت مناورة مقصودة ومازقا دبره التاجورى وتخلص منه ابن غلبون بحكمة العالم واتزان المتدبر الحكيم ولكنه لم يستسلم بل دافع عن آرائه وفند آراء الغير...، هذه الحادثة تعطينا صورة من حياة ابن غلبون وما كان يلاقيه من تعنت وجدال عنيف من اهل زمنه ومع هذا ما كان يلين الا للحق ولا تكون الصداقة حائلا بينه وبين النقد الصريح والراى الحر كما صنع مع صديقه ابن عبد الصادق الذى نقد كتابه سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٥ م كما سبقت الاشارة اليه وشان العلماء يترنمون ببعض الشعر فله قصائد وصلت الينا منها ابيات مدح بها احمد القره مانلى وان كانت قصائده لاتصل الى درجة الشعر الجيد فما كان شاعرا اخاص للشعر وانما

كان ينظم احيانا على طريقة زمنه وباسلوب عصره ...

هذا ابن غلبون من عودته كرما

لدفع حادثة قدجاء يرجاكا

ابن غلبون قد اتى من بعيد

زائرا حسن ظن قد دعاه

وقد اعتمد ابن غلبون فى تاريخه على مصادر متنوعة

واعتمد ابن غلبون فى تاريخه على «البكرى» و «التيجانى» وابن «بطوطه» من الرحالين ونزهة المشتاق فى اختراق الافاق للادريسى الجغرافى و «النيسانى» فى مياومته ، وايضا ابن عبد الحكم وابن الاثير من المؤرخين وكتاب آخر اشار اليه فى ثنايا كتابه ودثر مع الايام ذلك هو تاريخ البهلول ابن حسين بن احمد واشار ابن غلبون الى انه نقل عن خط المؤلف وهذا اثر من الاثار الضائعة وكم من اثر ادبى ضاع فى هذا البلد الذى تكاثرت وتضافرت عليه الاحداث والحوادث ، وعلاوة على ما اشار اليه من المراجع فقد اعتمد ايضا على اخبار المشافهة والملاحظات العامة ومعلومات ووقائع وحوادث كانت تجرى فى عصره اثبتها وسطرها .. ونستطيع ان نوكد ان كتاب ابن غلبون اول كتاب يولف فى تاريخ طرابلس فى عصورها الاسلامية باللغة العربية اعنى سفرا خاصا مستقلا بهذا البلد اذا استثنينا كتاب البهلول الذى لم يكن على ما نرى كتابا خاصا بتاريخ طرابلس والذى لم يعثر عليه الى الان .

وقد تناول ابن غلبون فيه تاريخ طرابلس فى عصورها الاسلامية من اول الفتح الاسلامى من يوم ان ركز عمرو بن العاص هنا راية محمد بن عبد الله الى زمن احمد القره مانلى وحتى سنة ١١٥٠ هـ . - ١٧٣٧ م . وفى هذه السنة تقريبا انتهى المؤلف

من كتابه وطبعا تاريخه تناول التطورات والتقلبات والاحوال بصورة موجزة مختصرة ولكنه اختصار وايجاز يفيد ولا يخل دائما .. انه يا سادة اعطانا الخيوط والفتائل وعلى الشباب والمهتمين بتاريخ بلادهم ان يكملوا الثوب نسجا .. وقد كان فى تاريخه سهلا فى السرد واضحا فى العرض وقد تلمس فيه روح الدارس العالم، فهو يغربل ويصفى ويسبك والتاريخ كصناعة وفن يحتاج الى غربلة ومقارنة وسبك واذا خلا من الروح العلمية كان ضربا من النقل الجاف والسرد الممل.، ولكن هذا لا يمنع من ان نشير الى انه قد ينقل بعض الخرافات ويسطر بعض الاساطير مثل قصة دق الياقوت على الطعام وكون طرابلس خالية من «السكين» عندما غزاها الاسبان انها قصة التاجر الذى استضاف بعض البحارة الاسبان ثم كان سبب غزو البلاد..، خرافة نقلها ابن غلبون ثم اخذها منه فيما بعد النائب المورخ وصدقها كثيرون..، ومرجع هذه الخرافة الى المرحوم العياشى فى رحلته فمنها اخذها المورخون مع انها ظاهرة فى وضعها وقلما يخلو التاريخ من خرافات واساطير .

وقد ترجم «ابن غلبون» لعلماء بلاده وادبائها وبلغت الترجمات حوالى ٣٣ علما ولكنها مقتطفات واسطر مقتضبة معدودة تفيد الدارس ولكنها لا تشفى غلة الصادى وليته اطنب فى هذه الناحية الهامة التى فقدنا جوانب كثيرة منها ... وهذه الصفحات التى سطرها يراعه تدل على سعة اطلاع وغزارة مادة ولكنه احيانا يستطرد الى البحوث اللغوية والصرفية وفلسفة الالفاظ وقد يجنح به الاستطراد الى ذكر حوادث من التاريخ لا صلة لها بتاريخ طرابلس ومرجع هذا الى ان المولف كان شارحا لقصيدة سياتى ذكرها وشراح القصائد من طبعهم الاستطراد والافاضةفى شتى انواع الثقافة الاسلامية فهوشارح عالملغوى مورخ وصنع مثل ما صنع صاحب سرح العيون على رسالةابن زيدون شرح، وتاريخ ولغةوادب، واستطراد احيانا.

وقد ظل كتاب ابن غلبون حقبا من الزمن تائها مغمورا ومطمورا ورحل الى هنا وهناك وتناقلته ايدى عديدة بين شرقية وغربية حتى وصل به المقام والقى عصا التسيار .. ان صح هنا هذا التعبير - الى باريس فى احد مخازنها ، وكان المرحوم العلامة احمد تيمور ، شغوفا بالنوادر والمخطوطات الاسلامية وشاهد هذا الكتاب الغريب فى مخزن باريس فاخذ صورة فوتوغرافية له سنة ١٣٤٤ هـ. وكان مكتوبا بخط مغربى ونقل الصورة الى مكتبته بالقاهرة .. حتى طبعت سنة ١٣٤٩ هـ. فى القاهرة ... ولولا نسخة باريس لما طبع هذا الكتاب ولضاع هذا الاثر .. وسبحان الله .. بضاعتنا ردت الينا .. وعاد الغريب الى اهله .. وكم من ضائع فى مخازن اوروبا وغيرها .. ولان ابن غلبون كان فى عصره ازدهار للبحرية الطرابلسية وكان للبلاد اسطول وطنى فانه يختم كتابه بفصل عن ادارة الحكم وما يلزم للحاكم . ثم بفصل عن الجهاد والرباط والمحافظة على الثغور والشواطىء وهذان الفصلان لا صلة لهما بالتاريخ او على الاقل بتاريخ البلاد فهما فصلان سرد فيهما احاديث وايات واداب الشريعة فى هذا الميدان ولكن لهما كل صلة بالشعور الوطنى والدفاع المقدس ولم يطبع هذان الفصلان وخرج كتاب ابن غلبون مقصوص الذيل وكان بودنا ان يطبع كما هو «طبق الاصل» وهذا ما يجب ازاء المخطوطات وكل اثر علمى قديم يجب ان يخرج للناس كما وضعه المؤلف وكما حبره صاحبه .

الف ابن غلبون كتابه «التذكار ... فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار» وبناه على قصيدة وجعله شرحا لها .. فما قصة القصيدة ؟ ومن ناظمها ؟ انه الشاعر الاديب «احمد بن عبد الدائم الانصارى» ومع الاسف لم نعثر على ترجمة وافية له وهو من ابناء طرابلس وقد كان غيورا على بلده وقد كان سبب انشاء القصيدة ان «العبدرى» مر بطرابلس واجتمع مع قاضى البلد محمد بن عبد السيد

واستمع الى بعض دروسه وشان علماء ذلك الزمن كانوا ينتهزون مثل هذه الفرص من الرحلات والزيارات والمقابلات فيتناقشون ويتباحثون .. ولم يكن هناك من عوامل حديثة تشغلهم وتلهيهم فلا صحافة ولا اذاعة ولا اخبار سياسية يتلهون بها .. بل كل همهم كان منصرفا للنقاش والجدال والنقل والاخذ والسرد والاجازة هذه عوامل كانت تؤثر فى الحركة الفكرية وتعطينا صورة عن حياة العلماء فى ذلك الزمن .. حب للعلم واستغراق فى مواده .. وغوص على الغريب والنادر .. ووجد العبدرى فرصة يتناقش فيها مع قاضى طرابلس محمد بن عبد السيد ولكن النقاش صاحبه حدة وشدة ولم يوافق العبدرى على اراء قاضى طرابلس بل بلغ جو النقاش حد التوتر بين الاثنين وغضب العبدرى ووصف القاضى بانه «ضيق الخلق .. قصير النظر .. صاحب شكاسة .. ولا رواية له .. بل لم يكتف العبدرى بهذا سامحه الله .. فوصف طرابلس الغرب باقبح النعوت .. والاوصاف .. وذمها وشنع عليها ونقص من قدرها .. فانبرى له الشاعر الاديب عبد الدائم الانصارى ، بقصيدة طويلة تبلغ ٢٩ بيتا ذكر فيها محاسن طرابلس وفضائلها وبعضا من ادبائها وعلمائها ومنزلتها فى التاريخ الاسلامى .. وكان فى شعره دفاع حار يفيض من قلب مواطن غيور ومن ابياتها

ارى زمنا قد جاء يقتنص المها
بلا جارح والاسد فى فلواتها
رأى القيض مبيضا بمزبلة الحما
فقال كفانى انه من صفاتها
طرابلس لا تقبل الذم انها
لها حسنات جاوزت سيئاتها

ويمضى ابن عبد الدائم معددا مآثر قومه وساردا فضائل بلاده مدافعا فى حرارة واخلاص.

اذا أمهـــــا مـــن قدنا تـــه بـــلاده
واوحشتـــه ذو امرهـــا فى حماتهـــا
تطامـــن عـــن نفـــس ومـــال وعشـرة
ويضحـــى بعـــز مائـــوى بجهاتهـــا
بهـــا فضـــلاء مـــا الفضيـــل يفوقهـــم
فـوارس انجـاد وهـــم مـــن حماتهـــا

وكان الشاعـر معاصـرا لاحمد باشا القره مانلى وقد أثنى عليه ومدحه فى آخر القصيدة. وهناك مسالة جديرة بالتساؤل او البحث.. هل العبـدرى الذى ذم طرابلس ورد عليه ابن عبد الدائم هو العبدرى الرحالة المغربى ؟.. هذا مـا يذهب اليه كثيرواشار اليه طابع كتاب ابن غلبون مع ان هذا خطأ وهى غلطة تاريخية فان العبدرى المغربى كانت رحلته سنة ٦٨٨ هـ. بينما كان العبدرى الذى ناقش عبد السيد القاضى والذى رد عليه الشاعر متاخرا جدا عن التاريخ ثم أن الشاعر يرد على معاصر ويوجه الخطاب الى موجود فى زمنـه وكان سنة ١١٤٠ هـ. ومـا حواليهـا وقد يقول قائل يجوز ان يكون الشاعر الطرابلسى رد على العبـدرى بعد قـرون وهذا جائز فى لغة الادب واسلوب الشعـر ولكن ماذا تقولون فى دليل اخر يوكد ان العبدرى المردود عليه ليس هـو العبدرى الرحالة المغربى ؟؟ بدليل ان عبد الدائم يوجه الخطاب الى رجل شرقى جاء من الشرق لا العـبدرى المشهور وهو مغربى واسمعه يقول

فجاءتـك يـــا شرقـــى تسعـى فراعهـــا
فكـن منصفـا ثم أجـــن مـــن ثمراتهـــا

فيستخلص من هذا ان العبدرى الذى تصدى له الشاعر غير العبدرى المغربى ومـا أكثر العبادرة فى ثنايا التواريخ والكتب..

وايضا ابن عبد الدائم فى أبيات اخرى يستنجد من الفرنسيين ولم يكن هذا فى عصر العبدرى المغربى .

ايها الغطاريف الميامين.. من الملاحظ المستغرب ان النائب المؤرخ لم يشر من بعيد ولا من قريب لا بالتلميح ولا بتصريح الى كتاب أبن غلبون مع أنه بلا شك معتد به عمدة ومصدر محترم منه أخذ واقتبس.. لماذا كان هذا الاهمال وذلك الاغفال.. أاغفاله كان عفوا ام اهمال مقصود متعمد؟. وهنا تتكاثر الاحتمالات لعل النائب كان فى نفسه شئ نحو ابن غلبون مع أنه ليس معاصرا له بل ان أبن غليون متقدم وما أكثر حسد العلماء وتنافس الادباء ولو على بعد الاجيال والسنين.. وقد قالوا مثلا فيه من الصحة نصيب ومن الواقع سهم كبير.. «صاحب صنعتك عدوك» وما أكثر حزازات اهل الفكر وطيهم لما يجب ان ينشر.. ونشرهم احيانا لما يجب ان يطوى. وايضا لعله اشار فى كتابه «شيم البارق» الى ترجمة ابن غلبون.... ولعله لم يقرأ الكتاب وهذا احتمال بعيد غريب لان أثر الاعتماد على ابن غلبون واضح فى كتابة النائب.. ثم ان مكتبة النائب كانت زاخرة بالمخطوطات عامرة بالنوادر وخاصة فيما يتعلق بفن التاريخ وخاصة ايضا فيما له صلة بتاريخ طرابلس الغرب لعل الرقابة مدت نصلها فاستاصلت طرفا فيه ترجمة لابن غلبون ؟ ومن المعلوم ان الرقابة صنعت غير جميل وجزت غير قليل من كتاب النائب..؟ ولعل الايام تكشف عن سر هذا الصمت وتزيح الستار عن هذا السبب مع ان النائب عندما تكلم عن برقة واجدابية أشار الى «عبد الله بن غلبون» وروى خبرا منقولاعنه وهذه الرواية او الخبر اثبتهابن غلبون فى كتابه مما يدل على اطلاع النائب عليه ما السبب؟ الحق ان النائب قد غمط حق ابن غلبون عندما لم ينقل لنا ترجمة عن حياته مع أنه ترجم لمن هم اقل منه مقاما وادنى منزلة ومعرفة وهنا.. أتساءل.. ولا أجيب..واشك ولا اجزم ...

فضل ابن غلبون كثير فى تاريخه ومن فضائله اثباته قصيدة ابن عبد الدائم فلولا نقلها وشرحها والاهتمام بها لضاعت كما ضاع شعر ابى اسحاق الودانى الشاعر الطرابلسى الذى عاش عمره بين طرابلس وصقلية والقائل :

مـــن يشتـرى منـى النهـار بليلـه
لا فـرق بيـن نجومهـا وصحـابى

ابن غلبون والنائب

موجز المحاضرة التى القيت فى ختام موسم المحاضرات

بقاعة مدرسة طرابلس الثانوية مساء الاربعاء

٢٠ ابريل ١٩٥٥م

النائب

أيها الغطاريف الميامين. وايضا ليس لدينا ما نقدمه عن النائب ترجمة مستكملة ودراسة مستقصاة، فليس لدينا ما يكفى من الوقت وايضا من المراجع ما يعطينا الصورة الكاملة عن هذه الشخصية الطرابلسية فقد كاد يندثر مع المندثرين ويطويه الزمن مع المغمورين ولم يبق لدينا ما يشير اليه.. ويدلنا عليه. سوى شيئين. المكتبة القيمة. والكتاب الذى أرخ به طرابلس الغرب.. المسمى بالمنهل العذب.. ومكتبة أحمد النائب كانت من أكبر المكاتب فى شمال افريقيه وكانت تضاهى مكتبة الاحمدين.. أحمد تيمور.. وأحمد زكى شيخ العروبة فى مصر، ومكتبة الكتانى فى مراكش، فيها كل ثمين قيم.. ومرجع مفيد ومصادر طيبة.. ومخطوطات نادرة.. ورقاع شرقيه وغربيه وأندلسيه ولكنها مع الاسف .. لعبت بها حوادث الزمان فبعثرت وبيعت بعد وفاته فى المزاد العلنى «بالهيل والهيلمان» بالكوم والاقة وضاعت كنوز اندلسيه وتراث مغربى ومؤلفات طرابلسية وقصائد لشعراء مواطنين وامهات من الكتب.. وما بقى منها الان الا النزر اليسير ولكنه مع ضآلته وقلته يدل على قيمة المكتبة وبالتالى على عقلية صاحبها ويعطينا جانبا من حياة النائب. وتحتل المكتبة او البقية اليسيره من المكتبة ركنا فى مكتبة الاوقاف الطرابلسية

ونرجو من صديقنا الشاعر أحمد قنابه الاهتمام بها ونفض الغبار عن رفوفها وترتيبها ترتيبا لائقا. وتذكرنا هذه المكتبة الصامتة بمكاتب مهملة مبعثرة كمكتبة جامع الشيخ بالاسكندرية ومكتبة رواق المغاربة بالازهر.

ايها الغطاريف الميامن.. شرع احمد النائب فى جمع تاريخه بطرابلس وهو شاب شغوف بالادب. نهمة فى الاطلاع. وكتب بعضا منه فى استامبول وطبعه برخصة من نظارة المعارف التركية فى مطبعة جمال افندى منذ ما يزيد عن ٥٧ سنة ورجع الى مراجع كثيرة ومصادر عديدة، ويدلنا الكتاب على أنه كان مولعا بتاريخ بلاده طرابلس، يبحث عن المخطوطات وينقب عن النادرات. ويعكف على دراسة الرحلات وكتب الجغرافيا واخبار الغزوات والفتوحات.. ياخذ من هنا خبرا.. ويقتطع من هنا قطعة.. ومن هناك حديثا.. ثم يضم ذلك ويجمعه ليعطينا صورة عن تاريخ طرابلس الغرب. ويكون من هاتيك القطرات المختلفة منهلا عذبا.. وطبعا كان أكثر اعتماده على الرحلات وهى خير مرجع ومعين للمؤرخ لانها صور من المشاهدات واحاديث من الواقع. والرحالون دائما مرجع خصب وان كان كثير منهم يشطح ويبالغ واحيانا يهرف ويسرف ويسف، مثل التيجانى والعياشى فى بعض الاخبار والحكايات.. ومن اكثر الاعتمادات كانت رحلة التيجانى سنة ٧٠٦هـ. وهى اوفى مرجع عن طرابلس فى عصرها ذاك.

...واحسن المراجع التى اعتمد عليها النائب فى تاريخه رحلة التيجانى ومكث فى طرابلس ما يقرب من عامين ولم يوافقه التوفيق للحج وكأنه المعنى بقول أبى بكر ابن بلال.

رسى فرسى فى سيره ولوانه
خلى من الاوزار سار ولم يرس
سعى سعى طماح لأبعد غاية
فكانت له دار المقام طرابلس

وهى اوفى المراجع عن طرابلس المسلمة وعلمائها واثارها وما زالت مخطوطة نادرة وقد بلغنى انها طبعت فى تونس طبعة علمية بمناسبة ذكرى تاريخية ثم صادرتها السلطات هناك والعياشى قد طبعت رحلته فى الجزائر بخط مغربى . واخذ أيضا عن «العبدرى» وطبعا يقصد العبدرى الرحالة المغربى الذى لم يذم طرابلس ، ويلاحظ هنا ان النائب لم يشر ايضا الى ذم العبدرى الشرقى لاهل طرابلس وهذا يؤكد لنا ان العبدرى الذى ذم طرابلس ورد عليه ابن عبد الدائم غير العبدرى الرحالة المغربى الذى اعتمد عليه النائب فى تاريخه .. واعتمد ايضا على «العياشى» وخاصة فى أخبار المتصوفة والمتدروشة ، ورحلة «البكرى» ثم الرحلة «الظافرية» للشيخ ظافر المدنى ولا زالت رحلته اسفارا عدة مخطوطة فى «استامبول» ومن المراجع التى يشير اليها كتاب «معالم الايمان» فى اخبار تونس والقيروان لابى يزيد الدباغ وقد طبع فى تونس ، وايضا «خلاصة الاثر» والاستقصا فى اخبار المغرب الاقصى .. والدارس لكتاب النائب يدهشه كثرة اطلاعه فى هذه المادة وغزارة معلوماته فى معرفة القبائل وهذا فن جليل كانت له عند العرب مكانة وعلماء نسابون ومؤلفات وكان له ذاتية وخاصية ورغم اعتماد فن «الانساب» على التاريخ الا انه ذا طابع وخصائص يقوم بها مستقلا كفن وعلم والفت فيه الرسائل الطوال والبحوث العميقة والمعاجم المطنبة المدعمة وقد برهن النائب على دراسة مستفيضة للانساب والقبائل عند كلامه على دخول العرب من بنى «هلال وسليم» أرض افريقية فذكر أنساب هؤلاء من عهد «اسماعيل» وعهد ربيعة ومضر .. وذكر بطون «عوف» «ذياب» وزعب حتى وصل بنا الى «الاصابعة» و «النوائل» و «المحاميد و «الجوارى» و «السوالم» واولاد هؤلاء وأولئك وأطال واطنب وتشعب واكثر .. مما يدل على عمق معرفته بانساب قطر طرابلس وما فيه من بطون وافخاذ وقبائل

وعشائر وقد استطاع ان يرجع كلا الى اصله وكل غصن الى منبته ... وعندما اراد النائب طبع كتابه وتقديمه للناس ذهب الى استاذه الشيخ «فالح الظاهرى» لينظر فيه ويقدم له بمقدمة ويعلق عليه .. وكان هذا الشيخ الجليل من ابناء الحجاز وقد أقام بطرابلس وبرقة مدة فى زمن شبابه وعرف اخبار البلاد الليبية واحوالها وأتصل برجالها واصبح للشيخ «فالح الظاهرى» تلامذة واصدقاء كما حدث هو عن نفسه بهذه العبارة اللطيفة «من جبل نفوسه.. الى اسكندرية المحروسة» . وقد رحل هذا الشيخ الى طرابلس من الاراضى المقدسة سنة ١٢٧١هـ ١٨٥٤م مع السيد السنوسى الكبير رضى الله عنه .. وقد تم التعارف مع السيد السنوسى الكبير فى المدينة المنورة سنة ١٢٦٨هـ ١٨٥١م فاعجب به السيد واخذه معه الى ليبيا وكان من حسنات الامام السنوسى .. وكان استاذا لكثير من شباب البلاد ومنهم صاحبنا احمد النائب واطلع على كتابه «المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب» وعلق عليه .. وهمش له .. واصلحه .. ويظهر من تعليقاته وتهميشاته انه كان فى «الاستانة» منذ تقديم الكتاب للطبع سنة ١٣١٧هـ ١٨٩٩م. ويظهر ان الشيخ وجد فى كتاب تلميذه اختلالا فى التركيب واعتلالا فى اللغة .. وتموجا فى الاسلوب واضطرابا فى التعبير حتى ليكاد أن ينزل الى العامية وكان الكتاب فى صورته الاولى يؤذى مسامع سيبويه ويضعضع أضلع الاصمعى ونفوطيه ، فاصلحه الشيخ وادخله فى بوتقة النحو والصرف وقد شهد بهذا المؤلف فى تقديم كتابه وأنت اذا طالعت كتاب النائب تلاحظ حبه للعثمانيين ودفاعه عنهم الى درجة التملق مع انه كان فى مجالسه الخاصة وفى ندواته الادبية وفى (صالونه) ينتقد السلطنة العثمانية وسلاطين ذلك الزمن انتقادا مرابل حدث معاصروه انه كان فى الاستانة يظهر الامتعاض والانتقاد ومن سلاطة لسانه عين فى مجلس بلدية اسطامبول براتب قدره ٢٥ جنيها ذهبا كما عين بعض المغضوب عليهم مثل قدارة من طرابلس وبشالة من فزان..

ايها الغطاريف الميامين .. يعطينا النائب فى كتابه صورا من مراحل التاريخ التى مرت بها هذه البلاد فى العصور الاسلامية حتى ولاية (أحمد راسم) ولكن بصورة موجزة مقتطفة ، وايضا يعطينا صورة خاطفة عن الشعراء الذين اشتاقوا الى طرابلس الغرب عند هجرتهم واثبت قصيدة لاديب ازهرى طرابلسى .. احمد بن حسين البهلول صور فيها مدينة طرابلس تصويرا شيقا وافرغ شوقه ببلاغة وبيان مبدع بالنسبة لاساليب ذلك العصر .. ولولا اثباته لهذه القصيدة وتلك القطعة الادبية لضاعت كما ضاع مع الاسف تراث كثير وشعر غير قليل وأدب فياض وأثر تائه وقصيدة حفيد (البهلول) تبلغ ٢٣ بيتا وأولها

طرابلس الغرا ترا لى عودة اليك

وهل يدنو الذى كان قد ذهب ؟

ومع ان النائب اثبت هذه القصيدة الا انه لم يثبت القصيدة الرائعة التى شرحها (ابن غلبون) كما انه لم يترجم لاحمد بن عبد الدائم الانصارى .. اهمل شعره وترجمته مع انه من سلالته ويعتبر الشاعر من اجداد المؤرخ بل أنه نقل عنه خبرا فى ترجمته سعيد الهبرى ص (٢٥٧) وهناك كتاب اخر الفه النائب (شيم البارق فى ديم المهارق) ولا تهولكم تضاريس الحروف وتلاطم السجعات فهكذا كان اسلوب عصره الذى عاش فيه .. ونقول ان (شيم البارق) من ادب الخواطر وفيه تراجم عديدة وقد ضاع الكتاب فى خضم الايام والنائب فى تراجمه يبدأ بالوفاة فيقول فى سنة كذا توفى فلان وهذه طريقة الاقدمين ومن هذا المنهج كان وفيات الاعيان لابن خلكان .. ولا غرابة فى هذا لان الشخصية والعلم عندما تبرز للوجود يولد فردا عاديا والعباقرة وأهل العلم والفن غالبا يكونون من أهل الغمور .. لا يسال عنهم فى بدء حياتهم ولا يعنى بهم فى أول وجودهم .. ولكن بعد ذلك يشار اليهم ويهتم باخبارهم

وحياتهم الخاصة والعامة فالنائب اذا لا يلام فى استهلال الترجمة بالوفاة .. لان المنهل العذب كان على نمط التواريخ ومناهج القدامى ..لا على منهج التراجم ودراسة الشخصيات باسلوب العصر الحديث والفن المدروس. ويقع الكتاب فى ٣٩٥ صفحة.. وله جزء ثان ولكنه لم ير النور ولم يدفع الى المطبعة وكان سطورا او اوراقا ضاعت وبحثنا طويلا فلم نعثر له على اثر او بقية ... وكانت ابنة النائب فى سورية وسالها بعض الفضلاء عن بقية تراث والدها فلم يفز بطائل او جواب كاف ... والجزء الثانى المفقود مكمل لعصور واطوار طرابلس حتى سنى الاحتلال البائد البغيض .. وقد كتب النائب فى جزئه الاول الذى بين ايدينا عن الحكام والولاة وحركات التمرد والحركات الاستقلالية وترجم لما يقرب من ٧٠ عالما وأديبا وشاعرا وصوفيا ومتدروشا وقائدا وفاضلا وترجم للامام محمد بن على السنوسى الكبير ترجمة وافية لعلها الترجمة الاولى التى كتبت عنه .

بعد هذا العرض الموجز السريع ، والصورة التى حاولنا ابراز ملامحها نجد جانبا هاما نستطيع ان نجول فيه جولة قصيرة حتى نبرز شيئا من ملامح قد تخفى على بعض الناس ، هناك مقارنات ومفارقات بين ابن غلبون والنائب هناك اوجه تشابه وأوجه تفارق ، ان صح هذا التعبير وسلمت هذه العبارة

▩ ابن غلبون والنائب.. كلاهما ينحدر من اصل اندلسى ..وكلاهما من عائلة كان لها فضل وتراث فى المجتمع الذى عاشت فيه .. وان كانت عائلة ابن غلبون ما زالت سلالتها وأحفادها هنا وهناك وعائلة النائب تكاد أن تنقرض علما وأعلاما اسماء واشخاصا .. وكم من عائلات كريمات وأصول كرائم انقرضت سنة الحياة وموج الزمان

▩ كلاهما متاثر بالسجع فى عنوان كتابه فابن غلبون يسمى شرحه على القصيدة « التذكار » .. فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار .. والنائب .. يطلق

على كتابه لقبا فيه عذوبة « المنهل العذب ، فى تاريخ طرابلس الغرب » .

▩ ومما هو جدير بالملاحظة على الكتابين ان كلاهما لم يطبع كما هو كامل الصفحات وان كان ابن غلبون كتابه خرج الى الناس مطبوعا كاملا من ناحية التاريخ واخبار البلاد فقد حذف الطابع كما اشرنا فصولا او خاتمة الكتاب تتعلق بالرباط والثغور والجهاد والاداب السلطانية وما يلزم لادارة الحكم وحذف هذه الخاتمة لم يجن على الكتاب من جهة التاريخ والحوادث ولكنه طبع غير كامل السطور وموجود فى النسخة الخطية .. ومن امانة الطابع انه اشار الى حذفه .. اما النائب فهو اسوأ حظا فى كتابه فقد استاصلت الرقابة منه ثلاثة ارباع الكتاب وضاع المحذوف كما ضاع الجزء الثانى ... وخلاصة المقارنة ان الكتابين لم يخرجا لنا كما سطرهما المؤلفان .

▩ كلاهما مقصر فى عدم ترجمة الشاعر احمد عبد الدائم الانصارى وابن غلبون اكثر تقصيرا لانه اعتمد فى كتابه على قصيدته .

وهل كان سبب التاليف الا شرح هذه القصيدة ؟ .. واهمل ترجمة الشاعر بل حتى والاشارة اليه .

والنائب مقصر جدا فى عدم ترجمة ابن غلبون بل حتى الاشارة اليه

▩ هناك قرابة بين الانصارى الشاعر والنائب فمؤلف «الارشاد» لمعرفة الاجداد حفيد الشاعر وكان ايضا جدا للنائب المؤرخ

▩ الف ابن غلبون مؤلفات ضاعت وان كانت من فن آخر وأيضا النائب لم يطبع غير كتابه هذا

▩ ترجم ابن غلبون لاخيه واخر من أسرته وترجم النائب لعدد من أجداده واصول اسرته كما سبقت اليه الاشارة

▩ كان النائب شديد الميل فى الظاهر لادارة عصره وحكام زمنه وكان ابن غلبون

شديد الميل والتحيز لاحمد باشا القرمانلى بصورة واضحة فى الكتاب وكان من المقربين اليه

▩ كـلاهما وقع فى خطأ عندما صدقا بعض الاساطير والاباطيل المختلقة وخاصة قصة «السكين والدلاع» التى وقعت لبحارة او تجار أسبان مع تاجر طرابلسى والقصة اسطورة مشهورة وقد تورط فيها مؤرخون عرب ذكرها النائب فى صفحة ١٨٥ وابن غلبون فى صفحة ٩٢ - تظهر الامانة فى النقل فى ثنايا الكتابين امانة وان كان ينقصها أحيانا تصفية وتلوين وتشجيب .

▩ وان كان ابن غلبون اكثر من النائب دقة وخبرة وحسن عرض واتساق سوق وتظهر فى كتابة ابن غلبون مادة أكثر واسلوب ادق وأعمق وأبن غلبون كان عالما من علماء زمنه أما النائب فهو اديب مثقف على طراز عهده

▩ كان لابن غلبون مجمع علمى أوندوة علمية فيها علماء وادباء وكان لاحمد ندوة أدبية او« صالون يجتمع فيه الوجهاء والادباء ويتناولون أحاديث الحياة والمجتمع انقرضت مثل هذه الندوات فى العصر الحديث .

▩ كلاهما دفعه حب وطنه لتسجيل الادوار التى مرت بها البلاد ولـولا هـذان الكتابان كانت الفترة الاسلامية العربية تكتنفهما المجاهل والغموض فى تاريخ هذا البلد لولا النائب وابن غلبون كانت تلك الفترة قاعا يبابا يتحير امامها المتعرض لتاريخ هذا البلد ولولاهما لكثر الخيال والتخمين

▩ وكـما ان اللغوين والنحاة عالة على كتاب سيبويه ومتاخرى الفقهاء عـالة على كتاب خليل .. فان مؤرخى طرابلس فى عصورها الاسلامية وخاصة مـاقبـل الاحتلال البائد هم عالة على كتاب ابن غلبون وكتاب النائب كلهـم يستنـدون وينهلون يغترفون ومهما تطاول بهم الادعاء ولو بلغت ادعاءاتهم عنـان السمـاء فان مرجع المراجع فى تاريخ طرابلس فى الحقبة الاسلامية العربية كتابان التذكـار والمنهل .. مؤلفان .. ابن غلبون والنائب ولكن من المؤرخين من يودى حـق

الامانة العلمية فيشير ومنهم من يسرق ومنهم من ينقل من غير دقة وعلى كل حال . . كلهم اجمعون اكتعون اصبعون عالة على هذين الكتابين . .

أيها الغطاريف الميامين

وقبل ان أغادر مكانى أحب أن أقدم أقتراحا الى نظارة المعارف ووزارة المعارف والى المهتمين بالشوون العلمية الفكرية حبذا لو أطلق اسم ابن غلبون والنائب على بعض المدارس تخليدا لذكرهما واعترافا بفضلهما واشادة بمجهودهما الادبى.. لما ذا لم نطلق على بعض المدارس هذه الاسماء الخالدة فى التاريخ الادبى لهذا البلد هناك فى كل بلاد العالم يطلقون اسماء العلماء والادباء وأهل الفكر على الميادين والشوارع والمدارس والمؤسسات والمنظمات تخليدا للفكر وتقديرا للادب والوطن ،، وانى شاكر لكم فى البدء والختام على انصاتكم وشاكر ادارة المدرسة على تهيئتها هذه الفرصة وسلام عليكم ورحمة الله أيها الغطاريف الميامين .

على بن عبد الصادق

المؤلف الباحث والفقيه المصلح

علي بن عبد الصادق

من علماء طرابلس فى القرن الثانى عشر الهجرى ، .. من اساتذة العهد (القرمانللى) . . درس فى مدينة طراباس ولم تكن له رحلة للخارج . برع فى الفقة وكتب فيه عدة مولفات ، . . وشرح بعض الرسائل والمنظومات . وكان يكره البدع والمستنكرات .

ووقعت بينه وبين المبتدعة مصاولات وحروب اثارها عليهم عندما راهم يسترزقون بالدين . . . ويدخلون فى الشرع عادات وتقاليد وطقوسا ما انزل الله بها من سلطان ، . . وانبرى لهم مفندا الخرافات مبينا حقيقة الشرع كما ارادها الله وكما نصت عليه كتب السنة الصحيحة ، . . فكان اهل البدع يكرهون مجلسه وكانوا يؤلبون عليه العامة ولكنه صمد لهم . وسار فى طريقه متحرر الفكرمطمئن الخاطر لا يرى منكرا الا بدله ولا بدعة الا انكرها ، . . ولا خرافة تلصق بالدين الا ثار عليها . وبين الحق من الباطل . والصواب من الخطأ .

وتصوركم يعانى فى عصر ارتزق الناس فيه كثيرا باسم الدين وفى ازمنة انتشر فيها كثير من الاقاويل والاباطيل .

ينحدر هذا الشيخ من عرب كرام وهو من قبيلة (العبائدية) من سلالة (بنى سليم) . . . كان جده الاكبر استوطن فزان . واناخت عشيرته (بالخضراء)

من ارض فزان هناك ثم انتقلت الاسرة الى ساحل طرابلس . . . ومنها تفرعت فروع واندمجت فى هذه البقعة بالاختلاط والمصاهرة ، . . ومنهم توجد الى الان عائلات فى طرابلس المدينة والساحـل وكان من اخواله اولاد «بن حمودة» ، وان اردت الاسم واللقب كاملا ... ابو الحسن على بن الصادق بن حموده بن احمد ابن عبد الصادق العبادى . ويطلقون عليه (الجبالى)

ولهذه التسمية قصة يذكرها معاصرون لوالده فقد زعموا ان جدة عبد الصادق كانت عسرة الولادة . لا تنجب بسهولة . ولا يعيش لها الاولاد فذهب زوجها الى الشيخ «احمد زروق» يعرض عليه هذه الحالة الشاذة . ويخاف ان يذهب نسله . ولا يخلف ذرية من بعده ... فطمأنه احمد زروق ودعـا له وان زوجته ستلد له (جبلا) . . كانت هذه مجرد دعوة واطمئنانا لخاطر الرجل الخائف المضطرب وكان ان انجب ولدا - . . . وتذكـر الرجـل شكـواه وخـوفه فاطلق على ولـده (الجبالى) ولا تزال هذه النسبة فى ولد عبد الصادق بالساحل وطـرابلس الى الان

وقصدنا من سرد القصة هو تحقيـق هـذه الكلـمة وذلك اللقب وتلك النسبة لا غيره . . . اما صحة القصة وعدم صحتها وما يتصل بها فهذا ليس من شأننا هنا . .

اغرم بالفقه والتوحيد يكتب مجلداتـه فى عصـر لـم تنتشر فيـه الطباعة ، . . . فكان يقضى سواد الليل فى التحبير والتسطير والنقـل والمقارنـة بيـن الاصـول والامهات .. . وكان خطه غيـر رديء ولا كثيـر التعاريج والتعاويج . . . وقـد استطعت قراءة خطه بسهولة ، . . . ولا تزال بعض مخطوطاته فى مكاتب طرابلس وعند بعض الافاضل وعلى الرغم من انه خصم لدود لاهل البدع والمداحيـن ومن يدخلون الخرافات فى مجالس الذكر الا انـه كان صوفيـا صادق التصـوف . زاهدا صادق التعفف ، . . . يدرس التصوف فى اصوله ويسير على منهاج الكتاب المقدس والسنة الصحيحة . . . وله مقالات فى (كلام القوم) . وهـذه عبارة يقصـد بها

المتقدمون الصوفية والاصطلاحات والاشعار التى لها طابع خاص واتجاه مميز بدون ان يكون للبدع والمنكرات دخل فى جوهر الدين ، وحقيقة الشرع الشريف . . . وقد نظم على بن عبد الصادق فى عيوب النفس منظومة حفظها طلاب عصره ، وردددها المتذوقون للفن الصوفى ، ثم شرحها الناظم بنفسه شرحين . صغيرا وكبيرا ، . . ولولا انها رسالة اوجدت فى وقته صدى ولقيت اعجابا لما انبرى لشرح منظومته مرتين ، ونظم ايضا اصول الطريقة المنسوبة للزروق وقد اطلق على ملزومته (هداية العبيد الى طريق المبتغى الحميد) . ثم ايضا انبرى لشرحها . وتفصيل محتوياتها - ويلاحظ من هذا انه بجانب الدراسة الفقهية والتدريس كان مولعا بالنظم وشرح المنظومات . ولا اقول الشعر فان من المماحلة اطلاق الشعر على المنظومات العلمية والاصطلاحات المعروفة ، والا عددنا الفية ابن مالك من طراز الشعر . . . وعلى بن عبد الصادق يشرح ويعلق على منظومة (عبد الغنى الوليدى الفاسى) التى كانت تدور حول موضوع ما يجب عينا وما يجب كفاية على المكلف ، ولعله قصد بالنظم تبسيط المعانى وسهولة الحفظ فقد كان اولئك القوم يحفظون كل الاصطلاحات والحقائق عن طريق النظم .

ويؤلف رجل مواطن منظومة فى التوحيد فيسارع على عبد الصادق الى نظمها واعنى بها رسالة - محمد الصالح الاوجلى . . . ، هذه منظومات فى الفقه والتصوف والتوحيد . . .

ولعل من الغريب المستطرف ان اشير الى منظومة لا تخطر بالبال . وليست من ميدان العلماء الفقهاء فى ذلك الاوان . .

هل تصدق ان عبد الصادق يدرس الاقتصاد . . . يدرس الثروة . . . يدرس كيفية المحافظة على تنمية الاموال ؟ ، . لا تعجب فانهم وهبوا كل اوقاتهم للدراسة وان كانت باساليب زمنهم ومقتضى احوالهم . . . الفقيه المدرس فى الجامع

ينظم رسالة لطيفة فى اسباب الغنى . وتنمية الثروة... اى فى فن الاقتصاد..، وهذه من طرائف رسائله ... اما مجهوده الاكبر فقد صرفه الى الفقه المالكى. كما اشرنا فيه شرح واختصر ، ونظم وكتب ، وحقق . . . شرح (الصغرى) للسنوسى . شرحا كبيرا وشرحا صغيرا ، ولعل على عبد الصادق يقصد بهذا الا يحرم الطلاب المبتدئين فقدم رسالة مختصرة ، ولكبار الدارسين قدم رسالة مطنبه

وشرح ايضا المنظومة المشهورة للفقيه عبد الواحد بن عاشر وهى فى الفقه تحفظ وتروى وبها يستشهد مثل الفيةابن مالك عند النحاة.. واختصر وشرح(الرسالة) لابى زيد القيروانى وقد لقيت كتب ابى زيد مجالا واقبالا فى المغرب وليبيا ومصر ولا تزال تدرس كتب ابى زيد القيروانى فى الازهر بمصر وجامع الزيتونه فى تونس وجامع القرويين فى مراكش وفى مساجد ليبيا . . . . وفى التوحيد الف رسائل ومال الى اختصار والنظم كعادته ، . . . وقد اشرنا الى ثورته على اهل البدع والمرتزقة باسم الدين فانبرى لهم فى مجالسه وحلقاتهم ومجتمعاتهم وخطب ضدهم واوضح فى دروسه خطر هولاء المبتدعة على الشريعة ولم يكتف بالدرس والخطابة ، والنصح والارشاد - بل لجأ الى ما هو اكثر فائدة ، واعم نفعا . الى التاليف والرد عليهم فى رسالة تظل باقية بعده مشيرة الى مجهوده وجهاده فى ميدان الاصلاح الاجتماعى والدينى .

كتب على بن عبد الصادق رسالة فند فيها البدع والهراءات اطلق عليها (تحفة المريد فى الرد على فقراء الزمان) دلت على غيرة من اجل الدين - وفقراء الزمان..، يقصد بهم الذين يلبسون الخرق ويرتدون المرقعات ويتركون العمل والاكتساب ويشطحون بشطحات تخالف الكتاب والسنة . . ويأتون من المنكر اصنافا والوانا وهؤلاء منهم فى كل زمن وكل بلد طوائف وطوائف . . .

بلغت مؤلفات على بن عبد الصادق اكثر من عشرين مؤلفا كلها مخطوطات

واكثرها فى هذا الميدان الذى ظل يكافح فيه طيلة عمره . . . ولا تخلو مؤلفاته من نقل ضعيف او رأى نقله مسرعا . . . ، - وقد لفت نظره الى هذا . ونقده عالم معاصر له المؤرخ (ابن غلبون المصراتى) فقد كلمه فى هذا ونقده فى بعض كتبه التى جمع فيها عبد الصادق بعض الاقاويل والاراء ما كان احراه لو تثبت قليلا وغربل وقابل وتمعن واليك عبارة ابن غلبون فى هذا الصدد عند الاشارة الى هذه الشطحة العلمية (يميل لجمع المسائل دون تحرير) فاجاب ابن عبد الصادق بان قصده من هذا (حفظ الدين ونقل اقاويل العلماء) . . ، فما كان من ابن غلبون الناقد المعاصر له الا ان دعا له واثنى عليه ومن عبارته (فالله يتقبل عمله ، ويحسن ثوابه) .

لم اعثر على تاريخ ميلاده فلم يكن الاوائل يعنون كثيرا بحفظ تاريخ الميلاد . . . وفى يوم الاثنين بعد الظهر ٢٢ ربيع الاول سنة ١١٣٨ هـ الموافق ١٧٢٥ م انتقل الى دار الاخرة وخرجت طرابلس لتوديع عالم فاضل وغيور مصلح.

احمد عبد الدائم الانصارى

الاديب ، الشاعر ، المجرب

أحمد بن عبد الدائم الأنصاري

نتعرض هنا لاديب مغمور، وشاعر رقيق الشعور، ضاع تراثه وغمرته امواج الحادثات، فلم نعثر من أثره وشعره الا على النزر اليسير من ابيات موجزة وكلمات مقتضبة، ثم قصيدة مشهورة مشروحة مطبوعة .. وماعدا تلك التتف وهاتيك القصيدة لانجد الظلال الكافية لرسم الصورة ذات الاضواء والزوايا..، والقصيدة هى أهم ركزة نرتكز عليها .. ورب قصيدة او أبيات تبعث موات الشاعر ورب وريقات وكلمات تبعث الانفاس فى الاجداث المندثرة ... تلك القصيدة التى مدح بها طرابلس موطن أبائه واجداده قد حفظت اسمه من الضياع ولكنها لم تحفظ الرسم كاملا .. وقد عارض بها رجلا ذم طرابلس وذكر مثالبها وأبرز قبائحها..، وكانت بسبب مشادة عنيفة بين ذلك الرجل الرحالة «العبدرى» وبين قاض طرابلس «ابن عبد السيد» اثارت حفظية الضيف الراحل فشنع وقبح.، مما جعل الشاعر أحمد بن عبد الدائم الانصارى ينبرى له مدافعا عن وطنه ذائدا عن بلاده مسجلا الاثار ومعددا المآثر مبينا الفضل والمحاسن.، وقد حفظ ابناء طرابلس الغرب قصيدة الاديب الانصارى ولهجوا بها ورأوا فيها حدثا يذكر وحديثا ينشر وشعرا يحفظ..، وقد وجد فيها العالم المؤرخ «ابن غلبون» شيئا يستحق

الشرح والتعليق والاضافة فجعلها ركزة البيت فى كتابه المعتمد المشهور «التذكار» وقد قرأت القصيدة مرارا وأنا طالب فى الجامع الازهر فوجدت فيها احساس المواطن الغيور والدفاع الصادق

وفى القصيدة شاعرية بالنسبة لذلك العصر شاعرية جديرة بالنقد والحفظ لانها غدت مادة من مواد التاريخ ولبنة فى صرح التطور الفكرى الذى مر على طرابلس الغرب ..، فالقصيدة التى نظمها احمد بن عبد الدائم الانصارى تعد من التراث الادبى النادر، ولو أن الايام جادت لنا بامثال تلك المقاطع لوجدنا ملامح من شعراء ذلك الجيل.، ولكن الايام فى حكمها قاسية وفى تضييعها لتراث الفكر ذات تصرفات مؤلمة غريبة .. ولندع الحديث عن القصيدة الى أسطر مقبلة ولنحاول الكشف والتنقيب عن الشاعر نفسه وحياته التى قضاها فى بلده طرابلس الغرب ..

ولقد سألت كثيرا وبحثت طويلا عن ترجمة الناظم فلم أجد شيئا يشفى الغليل ويرضى القلم الجائع او كما يعبر الاقدمون ، يطفى غلة الصادى...، وكان يطلق عليه « أديب » ومن هذا الاطلاق نفهم انه كان من من الذين يعنون بالدراسة الشعرية حفظا ورواية وبناء ثم يعنون بالثقافة اللغوية والاخبارية كما هى صفة الادباء فى ذلك العصر وماقبله من عصور فقد كان من شرط الاديب ان يكون كثير الحفظ غزير الرواية جيد النقل..، حسن الاستشهاد لطيف الاشارة.، لطيف العبارة بجانب الانطباع على اللياقة والظرف والذكاء واللمعية..، كانت هذه صفات منطبقة على شاعرنا أحمد بن عبد الدئم الانصارى فقد شهد له معاصروه بهذه الخلال وتلك الصفات من حسن خلق ونبل معاملة فى المجتمع الذى كان يعيش فيه فلم يكن حقودا ساخطا ولا جموحا مشاكسا ولامعربدا لاهيا.، مع جودة فى الحفظ وضبط فى

النقل .. ومع كل هذه الصفات فقد كان يمتاز بالعكوف على «دراسة الحكمة» أو علوم الكيمياء والطبيعة والمحسات فهو لايكتفى بقراءة الشعر وحفظه وطرائف اللغة ونوادر الاخبار بل هو يفحص ويجرب و«يحاول» وليس فن «الحكمة» هنامقصودا به حكمة القول وحكمة اللفظ بل هى ضرب من الصناعة والتجارب والعمل التجريبى ولو وجد أحمد بن عبد الدائم فى عصرنا هذا لكان رجلا «عمليا» عاكفا فى مصنعه وبين الاته التجريبية التى يقيس بها ويستنبط ويستخرج كما يصنع العلماء العمليون فى عصر الكهرباء والذرة .. والعكوف على دراسة «الحكمة» تجد له فى التراث الاسلامى مؤلفات مخطوطة وتجد فى هذا المجال جهابذة من فطاحل العلم والفلسفة والادب .. وناهيك (بمسكويه) الفيلسوف الذى أهلكه البحث فى استخرج الذهب من معادن امختلفة حتى كاد يقضى عليه البحث عن الذهب وقلب المعادن ويدفعه لى موكب الفلاكة والمفلوكين .. وكان أبن عبد الدائم يبحث فى الخلائط والمواد وطبائع الاشياء وخصائص المعادن وطبقات الارض ودراسة «الجيلوجيا» ويصل من هذه المحاولات والتجارب الى أشياء مفيدة ولكنه لم يستطع أن يجد من يستفيد منها وكان هذا يغيظه ويحرقه حرقة العالم الغريب فى محيطه ويأسف لهذا ويقول أحمد بن عبد الدائم عن نفسه ومبينا المجتمع الذى كان يعيش فيه واعراض الناس عن تجاربه «لى معرفة بسبعين حكمة وعمرى الان ما ينيف عن الخمسين سنة ولم يسالنى أحدمن أهالى طرابلس عن واحدة منها»...، لك الله يايها العالم الذى أحرق انفاسه واضاع عمره فى البحث عن طبائع الاشياء والتأمل فى محراب الطبيعة حتى توصل الى فوائد لم يقدر لها الظهور ولم يساله الناس عنها..، لقد كان احمد بن عبد الدائم الانصارى يشتغل بنفسه ويبحث بدافع من حسه راغبا تائقا للعلم من أجل العلم والبحث

من اجل البحث .. ثم يذكرلنا احمد بن عبدالدئم حكمة اوفوائد من التى استطاع ان يتوصل اليها ويستنبطها وايضا يستفيد منها عمليا .. أخراج الماء من الارض حتى يتصاعد الى فوق بغير عناء وكثير مشقة..، وقد لاتعنى ايها القارئ بهذه الفائدة كثيرا لانك تجد بجانبك الماء حلوا مستساغا فى صنابيره ولكن لو رجعت قليلا الى عصر «بن عبد الدائم» ونظرت مشقة الحصول على الماء وطريقة نقله ووسائل حفره لوجدت كل ذلك شيئا صعبا وخاصة فى ارض مثل ارض طرابلس قد يكون الحصول على الماء فيها يتطلب كل الجهد والمحاولة وكان بن عبد الدائم بصنيعه واستنباطاته يستطيع اخراج الماء بلامضاخات ولاآلات ضخمة ولاشك انه توصل الى هذا بعد كد فكر واجهاد نظر وتجارب تفشل حينا وتصل الى مرتبة النجاح اخيرا

واستخراج الماء من الارض يدلنا على مدى توجيه فكره وسداد بحثه فهو لايستعمل «حكمته» ودراسته فى غير طائل وفى استخراج الذهب الابريز كما يصنع الباحثون عن الحكمة فى عصور مضت . . ولنترك هذا الجانب العلمى ونلاحظ ان أحمد ابن عبد الدائم كان صاحب خط جيد جميل رغم ان أهل الشمال الافريقى اشتهروا بخطوطهم الرديئة وحروفهم الملتوية وتخاطيطهم المنعرجة المتسرعة .. الا اننا نجد فى أدباء طراباس الغرب من حسن خطه وتجود تخطيطه مثل العالم اللغوى (ابى اسحاق الاجدابى) كما اشرنا فى ترجمته وايضا الشاعر احمد بن عبد الدائم كان حسن الخط جيد التسطير حتى انهم زعموا انه (اخترع) طريقة فى الخط الجيد انفرد بها .. هكذا زعموا وان كان هذا الحكم لايمكن ان نقبله بدون تحفظ لاننا أولا وقبل كل شئ لم نعثر على رقعة من خطه او أسطر من تخاطيطه وقد يكون مرجع رأى معاصريه فى خطه انه لم يكن معروفا فى اوساطهم وبلدهم لانه مثل خطوط المشارقة فاعتقدوا أنه اخترع طريقة جديدة واستنبط وهو المشهور بينهم

بالاستنباط والتجديد..، وعلى كلا الحالين سواء كان(مخترعا) لخط جديد او (مقلدا) خطوط المشارقة فانه بشهادة معاصريه كان حسن الخط أنيق الحرف صاحب جودة واتقان..،وهذا بلا شك يدل على ذوق سليم وتنظيم وعناية.، ومن استعراضنا لحياته ندرك انه كان شاعرا ينظم وخطاطا يجود وباحثا يجرب ومستنبطا لبعض الفوائد وليس هذا فقط بل كان شيخا عالما يشارك فى البحث العلمى الفقهى كما يشارك فى البحث (التجريبى) المادى .. ويتعرض لاجوبة السائلين فى شؤون دينهم فقد كان فى عصره يوجد فى طرابلس علماء اجلاء يدرسون الفقه الاسلامى ودقائق التشريع وكانت هناك نهضة او بوادر نهضة وان كانت محدودة الثقافة مندثرة المعالم الا انها حركة ونشاط فكرى وتدل على ذلك المدارس الدينية وأسماء الاعلام والفقهاء الذين تناثروافى تاريخ طرابلس الغرب ثم قد تجد الخبر او الحادثة الصغيرة منزويا فى بعض المخطوطات الا انه يدل على اشياء كثيرة ويشير الى حقائق عدة ومن هذا القبيل سؤال أبناء (جزيرة جربة) لعلماء طرابلس فقد أرسل أهل «جربة» يسألون علماء طرابلس عن مسائل شرعية وأحوال دينية ومن الظواهر الجديرة بالملاحظة ان اهل (جربة) لم يسالوا علماء تونس وعندهم جامع الزيتونة يموج بالعلم والعلماء وهم أقرب الى تونس علاقة وموطنا وايضا لم يسالوا علماء مصر وعندهم منارة الاسلام وقبلة الشريعة .. الجامع الازهر .. انما اختاروا لسؤالهم علماء طرابلس الغرب وهذا يدل على ازدهار الحركة العلمية الفقهية فى طرابلس من ناحية ويدل أيضا على مشاركة أحمد ابن عبد الدائم الانصارى فى تلك الحركة فقد ساهم واشترك فى الجواب الشرعى فى أبيات نظمها وارسلها بصورة جواب الى أهل (جربة) وأن عز علينا منال هذه الابيات الا أن صداها بقى مشيرا الى مدى مساهمته العلمية وكانت أجوبة عبد الدائم وفتواه موجودة فى المتناول الى عهد ليس بالبعيد وأيضا جوابه بالشعر يدلنا على انه كان له مقطوعات اخرى وليس من المعقول

انه اكتفى فى حياته الطويلة بنظم (قصيدة) واحدة التى سنتعرض لها بعد قليل وايضا هو متأثر رغم محاولته التجديد بمدارس الاقدمين فى معالجة المسائل الشرعية عن طريق المقطوعات والاراجيز .. وكان الشاعر من سلالة (الاشراف) ومن (الانصار) يدلنا على هذا لقبه (الانصارى) وتوجد من سلالة الانصار عائلات واسر فى طرابلس انحدرت من الجزيرة العربية ومنهم من عاد من الاندلس بعد غروب شمسه وأختفاء نجمه وتلاشى مجده وتبعثر آثاره واعلامه . ومن (الانصار) فى هذا البلد اخلاط وانساب ويوجد ولى يزار يدعى (سيدى الانصارى) وهل كان للشاعر رحلة للحج ؟ او مصر او تونس والجزائر ؟ كاكثر علماء واعلام طرابلس؟ ام ليس له رحلة ولم يغادر بلده مثل اللغوى (الاجدابى)؟ الجواب على هذا ضرب من التخمين ونوع من الاحتمال وفروعه لا يفيد كثيرا فى صناعة التراجم وصياغتها.، وان كان كل هذا مناط تساؤل ونكتفى هنا بوضع علامات الاستفهام .

كما هو غيور اشد الغيرة متاثر اعنف التاثر من الذى هجا طرابلس فانبرى له مدافعا فقد هز شعوره ايضا أن يرى اسطولا يهدد الشاطى وأسطولا اجنبيا فى شعاره وشعوره وكان اسطولا «فرنسيا» واظهر تاثره فى ابيات نظمها وأرسلها الى سلطان(القسطنطينية) فهو يكره اشد الكره ان تذم بلاده كما يكره اشد الكره ان يغزو اسطول اجنبى شاطئا من شواطى المسلمين ويقال ان هجوم الاسطول كان سنة ١١٤٠هـ. ١٧٢٧م. ومن هذا نفهم عصر الشاعر وأنه كان معاصرا (لاحمد القرمانلى باشا) ولكن يثبت التاريخ ان (فرنسا) لم تغزو طرابلس باسطولها فكيف يستنجد أحمد ابن عبد الدائم من هذا الاسطول ؟ وكيف يستغيث بالقسطنطينية؟ وكانت طرابلس الغرب فى وقته حرة لا تخضع لاسطول فرنسا .. بل لها اسطول بحرى ؟ ويظهر انه كانت هناك مجرد (محاولة) من اسطول فرنسا والمحاولات فى التاريخ وفى الحوادث كثيرة ويظهر ايضا ان الاسطول المذكور هاجم شاطئا من شواطى المسلمين

وقلعة كانت تابعة للقسطنطينية فانبرى الشاعر غيورا مدافعا مستنجدا وبلاد الاسلام كلها واحدة .. ، قد يكون هذا اقرب الى الواقع المقبول اما أن الابيات نظمت من أجل شاطئ طرابلس فهو أمر يستبعده التاريخ وهذا هو الرأى الذى يمكن الاعتمادعليه اذا اسندنا ألابيات الى احمدبن عبد الدائم أما اذا أصررنا على انها دفاعا عن شاطئ طرابلس فيجعلنا نشك فى نسبة الابيات اليه ويجعلنا نتطلب تخريجا اخر لها والابيات لم نعثر عليها كلها وانما الموجود منها يخاطب سلطان القسطنطينية ·

يا واحدا ما فى البسيطة مثله

ملك الملوك بتاجه المتكلل

فاسمع لقصة من أتاك بحرقة

خذ ثاره من كل خصم مبطل

او ما يغظيك حال قلعتك التى

فازت بفتحك فى الزمان الاول

يا سيدى فانظر لحالة ضعفنا

من شيمة الاخيار الا تبتلى

أنا لنرجو منك الثار ... الخ

وهذا يفهم منه ان الشاعر كان مهتما بشئون البلاد الاسلامية ولم يكن يعيش فى غار او فى تلاعب الفاظ ويقضى ادبه فى التلاعب بالاحاجى والالغاز كما يصنع شعراء كثيرون فى عصره .

...ولكن الشاعر فى الشطرة الاخيرة التى سقناها لم يكن منصفا فى قوله ..من شيمة الاخيار الاتبتلى ... بل عكس هذا هو الواقع والحادث ... بل من شيمة الاخيار وشيمة الفضلاء .. افرادا وشعوبا الابتلاء والامتحان والاختبار .. ولعل الشطرة كانت على غير ما وصلتنا ولعلها كانت .. من شيمة

الاخيار ان تبتلى لان الابتلاء محك الرجال .. ومن العزائم .. ومن ابياتها التى وصلت النا

فى يوم عيد المسلمين ونحرهم

مترقبين بفرحة للمدخل

عام اربعين مضت لهجرة احمد

من بعد مائة والف كمل

من هنا نعرف الفترة التى كان يعيش فيها الشاعر الاديب كما سبقت الاشارة اليه. ١١٤٠هـ ١٧٢٧م ومنها نفهم ايضا ان هجوم ذلك الاسطول على ذلك الشاطىء كان يوم عيد الاضحى وأيضا لم يكن على شاطىء طرابلس كما ظن كثير من فضلاء الباحثين والذين حاولوا الكشف عن شخصية احمد بن عبد الدائم الانصارى ومنذ وقت غير بعيد كانت نسخة من كتيب صغير يطلق عليه (الاجداد) وقد دبجه قلم الشيخ عبد الكريم عبد الرحمن الانصارى ويقال انه فرغ من كتابه فى ٢٤محرم١٢١٢هـ - ١٧٩٧م وكان موجودا عند المرحوم مدير الاوقاف اسماعيل كمالى .. ولكن لم اجده ولم اعثر عليه وقد ضاع من جملة الاثار القيمة الضائعة .. ويهمنا من هذا كله ان كتاب الاجداد اشار فيه مؤلفه الى سلسلة اجداده ومن جملتهم صاحبنا الشاعر احمد بن عبد الدائم الانصارى وكان الجد الاول من ناحية الام لصاحب كتاب الاجداد وعندما اراد الاديب الاستاذ احمد الفقى حسن ان يكتب شيئا عن الانصارى لم يجد معتمدا ولامستندا سوى هذا الكتيب المفقود فنقل اسطرا مقتضبة وليته حفظ لنا هذا الكتاب كما حفظ بعض الاثار والاشعار مشكورا ماجورا .. وقد سالته كثيرا فلم اجد منه ما يفيد عن هذه الشخصية سوا ما نقله من اسطر ضئيلة لاتعطى الضوء الكافى ..

ومع ان ابن غلبون شرح قصيدته الا انه اهمل ترجمته كما سبق ان اشرت فى محاضرتى بمدرسة طرابلس الثانوية وايضا لايكون كثير الغرابة بجانب اهمال (النائب) له مع أنه من اجداده فقد كان جده محمد بن عبد الكريم مؤلف (الاجداد) او الارشاد من سلالة احمد بن عبد الدائم من ناحية الام كما ذكرنا .. اهمله ترجمة ودراسة وان أشار الى احمد بن عبد الدائم الانصارى اشارة خاطفة عابرة ونقل خبرا عنه وان كان النقل بالطبع ليس معناه المشافهة فى صفحة ٣٥٧ - عندما تعرض لترجمة الشيخ سعيد المبرى . «اخبر الشيخ احمد بن عبد الدائم الانصارى قال حدثنى الشيخ محمد بن سعيد عن سبب قدومه طرابلس» الخ وكان هذا الحديث الذى نقله الانصارى قبل سنة ١٠٩٣ هـ اى أن صاحبنا كان موجودا فى القرن الحادى عشر من اواخره وتشير الابيات التى يستنجد فيها بالقسطنطينية الى انه كان موجودا سنة ١١٤٠ هـ اى فى زمن احمد باشا القرمانلى وبين ١٠٩٤ وسنة ١١٤٠ حوالى ٤٧ عاما فكيف تقارن وتخرج الصواب من الروايتين مع ان النائب فى روايته صادق صدق القصيدة التى شرحت وحفظت ؟؟ ليس لنا مخرج صائب سوى ان احمد بن عبد الدائم الانصارى قد عمر طويلا كما حدث هو نفسه عند تحسره على ضياع حكمه وتجاربه بدون استعمال او تقدير وظل موجودا قبل سنة ١٠٩٣ هـ حتى عصر احمد القرمانلى وقصيدته سنة ١١٤٠ هـ ومن هنا ايضا ندرك ان الشاعر قد نظم قصيدته التى عارض بها ، (العبدرى) وهو فى سن طاعنة ومرحلة من العمر متقدمة .. اما وجوده فى زمن احمد باشا فمن غير نزاع ولا احتمال لانه مدحه فى آخر القصيدة .. ومهما يكن من امر فهو مظلوم من طرف المؤرخين جميعا مروا عليه مرا سريعا ولم ياخذ حقه وكم من الادباء المفكرين يظلمون ويهضمون احياء وأمواتا ..

والقصيدة تبلغ ٢٩ ..، بيتا بدأها بقوله ...

ارى زمنا قد جاء يقتنص المها

بلا جارح والاسد فى فلواتها

رأى القيض مبيضا بمزبلة الحمى

فقال كفانى انه من صفاتها

اتى اهله يهوى وبشر انه

بربقة من ظبيانها ومهاتها

وبعد ان وصف العبدرى من غير أن يذكر لقبه ولا اسمه ..، دافع عن بلده طرابلس وأخذ يسرد محاسنها ويعدد فضائلها ..، ومن الجدير بالملاحظة هنا ان عبدرى الانصارى غير العبدرى الرحالة لاسباب ذكرتها فيما سبق واضيف اليها سبباآخر اكثر ايضاحا وذلك ان الرحالة المغربى قد اثنى على طرابلس فى ثنايا رحلته وهذا اكبر دليل يخطئ الذين زعموا انه العبدرى المغربى وذكر الانصارى حماية طرابلس لمن لجأ اليها وحالتها البحرية وسفنها ومرساها المزدهر وعسكرها ثم عرج على الاولياء واصحاب التصوف الصافى مثل اتباع (اويس) و(الجنيد) وأهل الفضل الانجاد الاجواد ثم يبرهن على فضلها * قد اختارها الزروق دارا وموطنا *

كذا ابن سعيد مقتد بهداتها * اما الزروق فهو اشهر من ان يعرف وابن سعيد الهبرى كان معاصرا للشاعر ثم عرج بعد المتصوفة على العلماء وعدم وجود الغش فى البلاد وعدم الاقسام والايمان فى البيع والشراء كما هى عادة اهل السوق فى البلاد الاخرى ثم اشار الى انهم فى وقت الصلاة يتسارعون سراعا ويتركون الاسواق ثم خاطب صاحبه آمرا له ان يتمهل فى الذم ولايتعجل فالاسلام كان يباهى بغزوات طرابلس ثم

عرج على مدح حاكم البلدة فى زمنه واشاد بكرمه وعطفه على الاغراب وبعدها يدعو على صاحبه دعاء ما كان احراه ان يتعفف عنه لولا شطحات الشعراء فهو يريد ان يسلبه نور العلم .. ويطلب منه ان يتوب وينتصح ولا يصح ان يهجو (ام الثغور) الحنونة - كفاها مديحا عدكم هفواتها وهذه الشطرة اشارة لقول المتنبى ..، كفى المرء نبلا ان تعد معايبه،.. ويذكر انها «رباط» وهذا يشير الى عصرها البحرى ويختم مثل شعراء السلف .

فجاء تلك ياشرقى تسعى فراعها

وكن منصفا ثم اجن من ثمراتها

وصل وسلم يا الهى على الذى

نهى عن حظوظ النفس مع شهواتها

هذا ملخص موجز واستعراض مقتضب لقصيدة احمد بن عبد الدائم الانصارى ولا أريد أن اطيل بنقلها فهى موجودة فى المتناول وهى الاثر الوحيد الذى بقى مشيرا الى الشاعر الاديب المجرب احسن الله اليه كما احسن فى حياته واحسن فيما عمل من اثر وآثار .

محمد بن العربي

الشاعر المغمور

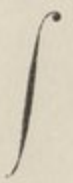

محمد بن العربي

أديب شاعر ، تألب عليه الخصوم ، وكاد له الوشاة ، وتالم من زملائه وقاسى الوانا من عذاب النفس عند ما تأخر به حظه ، ولم يعل نجمه وكان عزيز النفس ، عازفا عن اساليب التملق ، ولكنه ما سلم من اصحابه فشكى وبكى ، وأرسل قصائده يستجير ويستنجد بحاكم وقته ، وسيد بلده ، ولهذا مدح ورجا عسى ان يفرج عن كربته ، وينجده من وقعته ولكن مدائحه كانت اقل اجادة من غزله ومن شعر الحب والصبابة ، لان مدائحه كانت للحاجة والضرورة اما غزله ووصف الجمال فقد كان فيه فائقا بارعا لانه يصدر من نفس تقدر الجمال وتصبو ، الى ربات الحجال ، هذا الاديب ولد بطرابلس ودرس فى مصر وتتلمذ على شيوخ الازهر فى القرن الثانى عشر الهجرى ومكث فى وادى النيل وقتا غير قصير حتى اخذ من علوم عصره ما شحذ ملكته وقوى قريحته، وعاد الى بلده طرابلس حوالى سنة ١١٣٠هـ - ١٧١٧م أدبه اكثر من علمه، وشعره اكثر من درسه. له رقة فى الطبع ، ومتانة فى الخلق وحساسية مرهفة وهذه بضاعة يتألم صاحبها عندما تصدمه العقبات وتتألب عليه الازمات وكادت آماله التى بناها تنهار لولا ان استنجد بـ« احمد القره مانلى » بقصيدة سنعرضها ، فعطف عليه ، وجبر خاطره وقربه اليه ، واعطاه مسكنا فى مدرسة « محمد باشا » ورتب له مرتبا يدفع عنه

غائلة الحاجة فتنفس الاديب الشاعر والشيخ المدرس ، واقام بالمسجد للدراسة والافادة واقبل عليه طلابه فوجدوا علما غير جامد ، وادبا غير متكلف ومن الذين اعجبوا به واثنوا عليه واوصوا به حاكم نابلس « احمد القره مانللى » ابن غلبون العالم المؤرخ وقد ذكر فى ترجمته انه « الفقيه الاديب العالم الشريف » وهذه شهادة من عالم فاضل ومؤرخ معاصر .. فهو عربى هاشمى واسمه بالكامل أبو عبد الله محمد بن العربى بن محمد بن حموده الصغير الهاشمى..، وشعره كما اشرنا قسمان شعر الشكوى والمدائح وهو اقل لمعانا ، وشعر الغزل والحب وتظهر فيه الشاعرية على حقيقتها بل فى اوجها ، وطبعا ، بالنسبة لعصرها . فلا تزنها بميزان العصر الحديث فيختل فى يدك الميزان..، فعندما بلغت ثورته حدها وكادت ان تدفعه الى التشاوم وما اقرب النفوس العزيزة المرهفةالى التشاؤم. فهى سريعة الغضب والانفعال الاهل ترى العين الالى قبل ودعوا ؟

وهل سيل اجفانى التأرق والهجع

وهل تبلغا نفسى الامانى برهة ... وهل يسرج الاحلاك من ليلنا شمع
او الموت ادنى من لبانة قاصد ... يسامره جنح الدجى الشعر والدمع؟
بلى ان دهرى والع بتبدد ... الى الله اشكو من زمان به ولع
نمالى وللافراح من بعد جيرة ... تقضى بهم رشدى واعوزنى الجمع

ثم يشتم الحياة ويمل تصاريفها ويتساوى عنده كل شىء . . . .

لقد سئمت نفسى الحياة وطولها ... تساوى لدى القبر والسوق والربع
ولا سيما فى منبر الجهل هذه ... فكل سليم الذوق ضاق به الذرع
فلولا الامير المترضى لم يكن بها ... سجيس الليالى فى خواطرنا وقع

وهذه من غضبات الشعراء فقد وصف بلده بانها منبر الجهل والشعراء اذا غضبوا كانت ثورتهم حادة وغدا سبهم فظيعا، وقالوا مااعجبهم ويقصد بالامير هنا

صاحبه «احمد القره مانلى» الذى عينه مدرسا واعطاه مسكنا وراتبا ومسح بعطفه ظلال التشاوم والغضب ..، ويظهر انه قالها على كبر السن وتقدم فى العمر بعد ما رأى عدم التقدير من اهل بلده ..،ومن قطع مدائحه - الشعرية التى تنعكس عليها اخيلة القدماء وتظهر فيها تشبيهاتهم عروج على الطلل، وخلع النعال، صادحات الورق، وليل نابغى، واحزان يعقوب الخ . . ونكتفى بابيات من هذه القطعة التى تبلغ ٢٢ بيتا اوردها ابن غلبون . . .

لك الخير عرج بى على طلل الربع ... محط المنى مغنى الكمى المقنع
وكن خالعا نعليك بين مرابع ... مقدسة تبلغ مناك وترفع
هناك المنى والعز حيث تقطعت ... تمائمه والمجد منك بمسمع
به صادحات الورق تصدح فى الضحى ... تنادى هديلا بين ارواح اجرع
يحاكينى اذا شط عنى وليتهم ... وقد خلفوا جمر الغضابين اضلعى
وبت بليل نابغى كاننى ... ظبية شرك فرخها وسط بلقع
واحزان يعقوب تسربلت درعها ... وحيك فراش من سلالة ادمعى
وزهر رياض مائس بين جدول ... به الماء منساب الى كل معرع
يحاكى جناورد ندى بوجنة ... فباء بفضح فى صدور ومشرع
فماذا عليهم لو اباحوا اجتناءه ... لقلة صب مدمن السهد مصرع

ومن هذا يستطرد الى مدح صاحبه الحاكم مبتدئا بالغزل او الشكوى شان الشعراء ثم يستهدفون غرضهم وقد اشار صديقنا الهادى عرفة الى ان كلمة طلل فى مطلع القصيدة قد هبطت بها..، انها ثورةنفسية وساعة قلق ومنطبعةفىمخيلته اخيلة القدماء من الاطلال والمرابع الخ ولنترك هذا اللون من اشعار محمد بن العربى ونأتى الى القسم الاخر الذى ابدع فيه واجاد ..، شعره الغزلى ووصف الصبابة وهذه القصائد نادرة يتعذر الحصول عليها فقد عثرنا عليها فى مخطوطة تشمل

الوانا من الموشحات والازجال والاغانى تسمى «ترويح الارواح» وهذا الديوان لم نعثر على اسم جامعة ولا تاريخه بيد اننا وجدنا على غلافه انه كان ملكا للشيخ محمد الوحيشى وايضا للسيد بن محمد عمر بن زين الدين فى القرن الثالث عشر الهجرى سنة ١٢٤٤هـ ١٨٢٨م وبعدها لانعلم شيئا عن جامع ديوان «ترويح الارواح» ويكفيه قيمة المقطوعات الشعرية التى سجلها للشاعر الطرابلسى محمد بن العربى والياك لـونـا منـهـا .

امـا وميسمك المفتر عـن بـرد ... ومـا بثغـرك من خمـر ومن شهـد
وما بطرفك من كحل ومن كحل ... وما بقـدك مـن ميـل ومن ميـد
لقد حللت محل النور من بصرى ... لابل حللت محل الروح من جسدى
ياراقد الليل خلوا من اليم هوى ... ليهنـك النـوم انى دائـم السهـد
سقا الحيا عذبات الرند من اضم ... حيث الظـباء حمتها اعيـن الاسـد
قد كان لى كبد بالشوق آهلة ... واليوم اصبحت ذا شوق بلا كبد
فهل درى من رعيت النجم بعدهم ... انى تعـلمت فيهـم صنعـة الرصـد

ومحمد بن العربى يتغزل فى محبوبته ويصور الخد والنظر والعذاب والحزن ويقسم ببديع الجمال ولا يخشى السلو والاعراض الخ

ياقـوت خـدك للقلـوب مفـرح ... اى الـجـوانـح نحـوه لاتـجنح ؟
قالوا العذار غدا لحسنك كاتـما ... هيهـات وجهـك بالـجمال مصرح
نظرى اليك كما يقال عبـادة ... اذ كـنـت لـمـا اراك اسـبـح
ولان غدوت بعذب ريقك باخلا ... فانـا الـذى بدمى ودمعى اسـمح
انى لاحـزن حيـن تعـرض نائيا ... عنـى واطـرب اذ اراك وافـرح
قسمـا ، وحـقك يابـديع جمالـه ... ان التـصـبر عـنـك شـىء يقبـح
يهتـز مـن مـرح الشـبيبة قلـ ... ـصا انـت غصـن البان اذ يـترنح

واذا بدا القمر المنير ووجهه ... لم ادرايهما وحقك اسلح
لاتخش سلواى عليك فانني ... عن رتبة العشاق لا اتزحزح
باب التسلي عن جمالك مغلق ... حكم الغرام بانه لايفتح

فهو عاشق ثابت المبدأ متثبت لايتزحزح ولا يتسلى ولا يتخلى ، عنيد فى غرامه متحرق الكبد دائم السهد وهذا حكم الغرام ، ولولا ان صاحبة الشاعر غير معرضة وصاحبة دلال وتجن لما الهب فى تصويره وعاند فى حبه فالعناد يقابله العناد والاعراض من المحبوب يزيد العاشق ولعا واحتراقا واسمع هذه القطعة السينية وفيها صورة طيبة من العاشق والمعشوق .

وحياة وجهك ياحياة الانفس ... لاحلت عنك اسأت لى او لم تسى
فلئن جفوت فان طيفك واصل ... او غبت عن عينى فذكرت مؤنسى
اسطيل ليلى منذ طال صدوده ... من لى بصبح جبينك المتنفس
ما ضر ذا الوجه الجميل لو انه ... برضاه يلبسنى جميل الملبس
لله عصر شبيبة قضيته ... حلف المسرة من ظباء كنس
ترنو باحداق الى فواترا ... ارأيت قط حديقة من نرجس؟
وبمهجتى رشا اتانى زائرا ... متبخترا فى حلة من سندس
كذب المنجم فى الذى هو قائل ... انا من رأى بدر الدجى فى الاطلس

ويظهر انه نظم هذه القطعة فى سن متقدمة ويتذكر عصر الشبيبة والظباء الكنس .. ولم يكتف الشاعر بوجه واحد .. ومتى شبع الشعراء من الجمال .؟ يموتون وهم جوعى وعطشى جمال

دب العذار بعارضيه وانني ... لاحب ديباج الخدود مقندس
ارايت خطا لا انتهاء لحسنه ... فلقد تحير فيه كل مهندس
ياموحشا طرفى ويعلم انني ... ابدا بغير هواه لم استانس

خداك من ورد وريقك قهوة

فاذا سخوت بهما تكمل مجلسى

ويلاحظ هنا اصطلاح المهندسين والمنجمين مما يدل على سعة ثقافة الشاعر ومعرفته باصطلاحات العلوم المختلفة مع انه شيخ مدرس فى مسجد ... بل ان الشاعر محمد العربى عثرنا له على قصيدة قسم فيها الجمال وجعل لكل قسم اعدادا واحصاءات جعل لطعم الحب اعدادا ولصفات المحبوب اعدادا والخد واللحظ والثغر قسمه اعدادا ، وهذه الاعداد كلها خماسية لكل شئ خمسة اعداد بل انه يعلم منه خمسا واورثه المحبوب خمسا ويطلب من ربة الجمال خمسا ويخالف فيه خمسا وهذه تقاسيم عجيبة سار فيها الشاعر على منهاج ما اظن احدا من الشعراء قبله قسم هذه القسمة وعدد ذلك العدد.. ومن هنا يظهر غرامه باصطلاحات فنون الحساب والشعراء السابقون يدمجون الاصطلاحات العلمية ولكنهم يفسدون الشعر بها اما محمد العربى ففى تقاسيمه الحسابية يجعل فى كل بيت خمسة اشياء فيضطر الى حذف حرف العطف ويضطر الى تخفيف الكلمة احيانا ولكنها قصيدة لاتخلو من طرافة ولمحات شاعرية واليك القطعة بقضها وقضيضها

حوى الحب خمسا ، تكهته لما ... سنا ، رونقا ، لولا جمعتنى به ، لما

وقد حاز خمسا رقة ولطافة ... وحسنا ، واحسانا ، وثغرا تبسما

حوى خده خمسا ، بياضا وحمرة ... وخالا ، ونارا ، ياخليلى ثم ما

حوى لحظة خمسا ، فترا وفتنة ... وغزلا وسحرا ثم سهما لقد رما

حوى ثغره خمسا سلافا وسكرا ... ومسكا وشهدا ثم درا منظما

لقد فاق خمسا غصن بان جآذرا ... وشمس اذا لاحت وبدرا وانجما

تعشقت خمسا عجبه ودلاله ... ولفظا حلا والقد اذ ماس والفما

واعشق خمسا فيه ، مبسما ولفتة ودعجا وسحرا ثغم صدغا منمنما
وقد حاز خمسا عزة ولطافة وملكا ، وحظا وافرا وتحكما
تعلم خمسا قسوة غضبا، قلى جفا ، وهجرا ثم الا واقتسما
واورثني خمسا سهادا وحسرة ووجدا وسقما زائدا وتألما
ساطلب منه خمسا ، طاعة رضا ودادا ، وعطفا ثم وصلا مسلما
اخالف خمسا فيه اهلي واهله رقيبا وعذالا . كذلك لوما

وينهى قصيدته بالتوسل وبالتشفع برسول الله ومدح سيدنا محمد كعادة شعراء عصره والعصور المتقدمة

وحسن خلاصي بالذي حاز خمسة هدى،وتقى ، جودا ، ندى ، وتكرما
وقد عمه خمسا، رضا،سؤددا،علا كمالا ، مقاما في الانام لقد سما

ولم نعثر للشاعر الاديب على شيء سوى هذه المقطوعات التي سقناها اليك وعرضناها عليك وتفاصيل حياته ايضا كان من المعتذر النادر ونكتفي بهذا العرض البسيط آملين ان يجد غيرنا ما لم نصل اليه

كامل بن مصطفى

صاحب الفتاوى

كامل بن مصطفى

في بيت متواضع من بيوت الزاوية الغربية ولرجل له شيء من علوم الدين وله كثير من الفضل والتدين ولد الصبي فكان زينة للبيت واملا للاب وفرحة للام وكان ذلك عام ١٢٤٤ هـ ١٨٢٨ م. وقال الوالد وهو يداعب ابنه ويحدث زوجه عن مستقبل الوليد .. لن اجعله تاجرا يجوب الافاق ويحمل الاقمشة والعطور . ولن اجعله مزارعا يبذر البذور ولن اجعله صانعا يحيك الثياب ولانجارا يصنع الابواب .. وقالت الام ... اذا ماذا تريده ان يكون ؟ قال الوالد .. اريد أن أرى ابني عالما فقيها ورجلا كاملا فاضلا يحفظ كتاب الله . ويحافظ على سنة رسول الله . اريد ولدي يحفظ مذهب الامام ابي حنيفة هذا المذهب ليس له في طرابلس علماء أفذاذ وكاد ان ينقرض من طرابلس .

وفرحت الام بهذه الامنية الغالية والخطة التي رسمها الاب الحنون لابنه الوحيد ... وصار الشيخ الصغير موضع العناية والرعاية واصبح في البلدة الصغيرة قبلة الانظار محترما مبجلا والفطنة والنبوغ يحتمان على الناس الاحترام حتى في زمن الطفولة وايام الصبا .

وحفظ الشيخ الصغير كتاب الله بالزاوية الغربية على شيخ من شيوخها

واتمه اجادة وحفظا وتجويدا ولم يتم السادسة عشرة ، ثم رحل الى طرابلس ليدرس فى مدارسها ويجلس فى حلقات مساجدها يدرس النحو وتوابعه والفقه وملاحقه والحديث وفروعه .. لقد كان كامل بن مصطفى تلميذا نشيطا يتوقد ذكاء ، وتلمع اللمعة من عينيه ، ينطلق كالطائر من فنن الى فنن ، من مدرسة احمد باشا ، الى مدرسة عثمان باشا ومسجد الناقة ومسجد المغاربة ومكث بين المدارس والمساجد ثلاثة اعوام يلتقط الشوارد ويشارك فى تفهم المسائل ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، جلس الاب مرة ثانية يحدث الام عن مستقبل الشيخ محمد كامل وقد رأى اجتهاد ولده وطموحه وشغفه بالعلم وتذكر الوالد عهده الذى قطعه على نفسه واهله المعقود وعقد المؤتمر العائلى من الجد والوالد والعم والام ... وبسط الوالد امنيته وقال : أريد ارساله الى الجامع الازهر ليتوسع ادراكه ويزداد علمه ويدرس مذهب ابى حنيفة ويعود الى طرابلس عالما مجتهدا ويكون استاذا فاضلا وانفض المؤتمر العائلى بزغردة من الام وقامت لتقبل الشيخ الصغير وتودعه وتهىء له ما يلزم فى هذه الرحلة الطويلة ، والسفرة البعيدة وودع الفتى الشيخ جده وعمه ، وسمع كثيرا من الوصايا وعديدا من النصائح خلاصتها ، انه هبة العلم ووقف على الدرس .

وذهب محمد كامل بن مصطفى الى مصر . ودخل الازهر عام ١٢٦٣هـ ١٨٤٦م وكان عمره اذ ذاك تسعة عشر عاما وفى مصر اصبح كامل بن مصطفى مثالا للطالب الجد الذى رسم هدفه ووضع برنامجه وادرك المهمة الملقاة على عاتقه ، وامعن كل الامعان فى دراسة فقه ابى حنيفة النعمان وآراء ابى يوسف وكم أوصاه والده ان يتبحر فى مذهب الاحناف ولكنه بجانب هذا يدرس الفقه المالكى دراسة مستوفاة وخاصة ان آراء مالك

وأتباعة منتشرة فى بلاده وبلاد المغرب قاطبة يدرس فقه مالك وابى حنيفة، وينظر فى فقه الشافعى وغيره لان فقه الاسلام متصل بعضه ببعض ومترابطة حلقاته ومتفقة مذاهبه فى الاصول تتلاقى عند هدف واحد وتسقى من ماء واحد وكلهم كما صور البوصيرى ... وكلهم من رسول الله ملتمس ..، غرفا من البحر او رشفا من الديم ..، قرأ الشيخ محمد كامل بن مصطفى: اقرب المسالك للشيخ الدردير ، وشرح الدردير على كتاب خليل - وحواشى الشيخ الدسوقى ومرجعه والخرشى ومجموع الشيخ الامير ،ولاشك ان كتاب خليل عند متاخرى الفقهاء مثل «العين» للفراهيدى «وكتاب» سيبويه وبعد ان أستوعب الشيخ الفطن هذه الكتب المالكية ذهب لكتب ابى حنيفه فقرأمتدرجا مراقى الفلاح وحواشيه للشيخ احمد الطحطاوى، وتحفة الملوك والسلاطين، ثم شرح العين ، وكتاب الكنز ، وقرأ شرح الدر المختار على متن تنوير الابصار بحواشى الشيخ الطحطاوى ايضا ، كان الشيخ يحفظ ويدرس ويعلق ويستنبط ويخزن ويستوعب ودوما يذكر وصية والده وهمسات امه ، وحاجة وطنه ، ثم رغبته الملحة فى أن يصبح فى طرابلس عالما دارسا ومرجعا فاستاذا لفقه ابى حنيفة النعمان الامام الاعظم ... سبع سنوات متواليات قضاها كامل بن مصطفى يدرس فى الجامع الازهر يواصل ليله بنهاره وصبحه بمسائه فى الغوص على دقائق التفسير والفقه وعلوم الشريعة السمحاء لايخرج من حلقات الدراسة ولايترك مباحثه الا مساء الخميس عندما يذهب للتنزه والتريض على شاطئ النيل عند الجزيرة فى مكان حديقة الاندلس الان ..، يجلس مع رفاقه من شتى الاقطار الاسلامية تحت الاشجار ويتفكهون ويتبسطون وكل يذكر طرائف عن بلاده فكانت جلسة الخميس عند شاطئ النيل بجانب التريض والتنزه فيها علم وادب وتفكه وقد اعطانا

كامل بن مصطفى فى كتابه «الفتاوى» صورة من نزهته عند شاطئ النيل فقد اشار الى جدال ثار بينه وبين قسيس فى مسئلة ، اجابه مصطفى مستنبطا بالعقل مما يدل على حدة فطنته وشحذ ملكته ، ومن طرائف ما يذكر ان كامل طلب من والده طاقية طرابلسية زهيدة الثمن ... انها شىء هين..، ولكن الوالد فى طرابلس يرسل الى الشيخ الذى يدرس عليه كامل يساله هل ولدى كامل مجتهد؟ ومثابر على دروسه ؟ فكان الجواب شهادة طيبة ثم ارسل الوالد طاقية طرابلسية فاخرة. وعاد الفتى الشيخ عالما مدققا لم ينسه شاطىء النيل طرابلس ولم تاخذه معالم القاهرة لتنسيه صحراء ليبيا عاد الى بلده ليحمل رسالة العلم ونشر تعاليم الكتاب المقدس ولكن المؤتر العائلى لم يعقد كاملا لاستقباله فقد مات جده وعمه وامه واستقبله ابوه بكل ترحاب فقد حقق الابن رغباته عاد عالما ممتلئا حيوية ونشاطا وحبا للبحث والتدريس وجلس للافادة فى المساجد والمدارس وهو شاب لم يتجاوز السادسة والعشرين يسال فيجيب ويدرس فيفيد .. ويقول فيسمع الناس قوله ، ودرس فى مدرسة عثمان باشا» ومدرسة احمد باشا ومصطفى كورجى وكانت هناك المدرسة «الرشدية» التى ماكانت تضارعها فى البلاد مدرسة فى حسن النظام واختيار الاساتذة واعداد الطلاب كانت المدرسة الرشدية عند « باب البحر » هى المدرسة النظامية الوحيدة التى أسسها الاتراك وليس سواها اوجدوا لنا مدرسة تفيد وتنفع الا المدارس العسكرية. وهذا هو طابع العصر العثمانى واثره فى كل البلاد العربية ، وفى المدرسة «الرشدية» أصبح كامل بن مصطفى مدرسا للغة العربية يقوم من الالسن معوجها ، وفى المساجد واعظا يهدى النفوس الى طريقها ، وعلى يديه وبفضل توجيهه العلمى تخرج للبلاد تلامذة نجباء واساتذة فضلاء افادوا البلاد وخدموا لغة الضاد

نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن البوصيرى والشيخ الازمرلى ولم تكن احاطة الشيخ كامل قاصرة على الفقه واللغة بل أنه لذو اضطلاع واسع ودراية كبيرة بفن التفسير، وهذا الفن يتطلب سعة اطلاع وغزارة مادة وأسلحة عديدة من فنون الشريعة والمنطق وكان له غرام بتفسير «البيضاوى» درسه مرارا فى مسجد «عثمان باشا» كما انه درس صحيح «البخارى» وكتاب الشفا للقاضى عياض درس هذا مرات فى جامع «مصطفى كورجى» ووزع الشيخ حياته بين وعظ وتدريس او اطلاع واعتكاف ،وتامل وادراك... هذا بجانب عضويته فى ادراة الولاية وولى الافتاء عام ١٣١١ هـ ١٨٩٣م وبقى مفتيا لطرابلس الى ان عادت النفس المطمئنة الى ربها راضية مرضية سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م والشيخ كامل بن مصطفى لم يكن مثل كثير من علماء هذا الزمن يذهبون من غير اثر ويودعون من غير تركة بل ذهب كامل بن مصطفى وبقى اثره وخلف تركته «الفتاوى الكاملية» وتعليق على تفسير البيضاوى..، يحتوى كتاب الفتاوى الكاملية على الفين ونيف من الاسئلة التى وجهها اليه ابناء طرابلس واجوبتها وهذا فى مختلف انواع العبادات والمعاملات والاعتقادات والاحوال الاجتماعية.

واسلوبه سهل، وعبارته واضحة، لا لبس فيها ولا غموض بها ولا أبهام يحوطها كما هى العادة فى اساليب الفقهاء واهل الافتاء، والفتاوى الكاملية فقه مبسط وحبذا لو اعيد نشره ففيه فوائد وعوائد ولكن كلمتى هذه فى بقاع وهمسة من مذياع واسطر ورقاع، وقد بدأ الشيخ كامل بن مصطفى فى جمع فتاويه وضمها فى سنة ١٣٠٨ ١٨٩٠م ومعنى هذا أنه كان يفتى الناس ويجاوب على الاسئلة التى توجه اليه قبل ان يصبح مفتيا رسميا وقبل ان ينصب فالعالم لايتقيد بمنصب ولايبخل بعلمه، وعندما

أخذ يضم الفتاوى ويعدها للطبع حذف كثيرا من الاسئلة ، واختصر بعضها وهذب بعض الاجوبة كما ضم الى فتاويه بعض الاسئلة التى وجهت اليه وهو طالب فى مصر وهو مدرس فى طرابلس وهو زائر فى تونس وهو حاج فى الاراض المقدسة ، اذا ليست الفتاوى الاموسوعة فقهية ، ودائرة معارف دينية جمعت كثيرا مما يخطر على البال ويأخذ بالبلبال وكان الشيخ الاستاذ فى فتاويه صاحب رأى واستنباط وتعقل فاذا لم يجد فى المراجع جوابا أو تطرق اليه الشك لم يفت بما لايعلم بل اسرع يسأل علماء مصر وابناء الازهر وعلماء الزيتونه بتونس ويلاحظ المطالع للفتاوى انه راسل صديقه وزميله مفتى الديار المصرية العباسى المهدى وصديقه احمد بن الخوجه مفتى تونس... خمسة اعوام ظل كتاب الفتاوى معدا للطبع وللنشر حتى ساعده على طبعه الحاج محمد الحلو وهذا الرجل كان يتولى فى مصر وظيفة المعتمد السلطانى من طرف دولة المغرب الاقصى فى الديار المصرية. وساعده على طبع الفتاوى ايضا التاجر بطرابلس السيد احمد بن غلبون فقد كان للمغاربة وخاصة فى المغرب الاقصى غرام بالفقه وتشجيع على حفظه و نشره وطبعه فقد طبع السلطان مولاى عبد الحفيظ كثيرا من مراجع الفقه المالكى «الفتاوى الكاملية فى الحوادث الطرابلسية» مجلد ضخم يقع فى ٣٠٨ من القطع الكبير طبع سنة ١٣١٣هـ الموافق ١٨٩٥م اى قبل موته بعامين وقرظه نثرا محمد النائب ولم ينس الدعاء للسلطان عبد الحميد الثانى ولست ادرى ما العلاقة بين السلطان والفتاوى وما المناسبة !؟ الا التملق للسلطان من نائبه الشرعى فى طرابلس كما قرظه بثلاثة عشر بيتا من الشعر «المعكز» شاب ليبى سالم المبروك الورشفانى من طلبة رواق المغاربة وقصيدته على هذه الشاكلة

أدر من حديث الفضل كاسا على سمعى

وسربى وراء السرب ربعا الى ربع

رحل الشيخ الى مصر وتونس وتركيا والحجاز وفى تونس شاهد دخول الفرنسيين تونس وكان من اصدقائه هناك الشيخ صالح التبرسقى وقد بلغ الثمانين ولكنه ما احتاج الى ترجمان وكثيرا ما جلس مع علامة تونس يتناقشان ويتفلسفان فى هذه الحالة التى وصل اليها المسلمون وكيف اصبحوا فى ديارهم اذلة..، وكانت رحلة كامل بن مصطفى الى تونس سنة ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨١م وكان الشيخ صالح التبرسقى يستعمل العقل ويقيس بالمنطق وكثيرا ما سامره كامل بن مصطفى ويروى عنه عديدا من الذكريات حدث كامل : أجتمعت بالتبرسقى فى بيته فاستقبلنى عند باب داره فلما رآنى قبل عينى وعانقنى وانشد

تحيا بكم كل ارض تنزلون بها وانتم فى عيون الناس اقمار

ولما دخلنا البيت بزاويةمنه أمر بفتح كوة لزيادة الضوء فدخلت الشمس وقال الخادم: أخاف ان تصيب الشمس الشيخ كامل فاجاب الشيخ التبرسقى على البديهة لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر.. فما الطف هذا بعد الاستشهاد وانتم فى اعين الناس أقمار..، وفى تركيا يتعرف بعلامة زمانه وفيلسوف اللغة والبيان احمد فارس الشدياق ويتعرف به على الجسر ثم تكون مجادلات لغوية ومعرفة وصداقة بشيخ طرابلس

وفى الحجاز يؤدى فريضة الحج عام ١٢٩٥ هـ ١٨٧٧م وايضا يظهر هناك علمه ويفتى ويوافق الشيخ كامل الشيخ عليش المالكى والشيخ دحلان الشافعى ويوضع اسمه مع أعلام الفقه والتشريع والشيخ كامل له مطالعات ودارسات فى التصوف واعلامه والفلسفة فيسال عن أقوال تنسب للشيخ الاكبر محى الدين بن عربى فيظهر مادسه عليه الزنادقة ويستدل بما فى الفتوحات المكية وبما

يذكره عبد الوهاب الشعرانى فى اليواقيت ومن لطائف كامل بن مصطفى انه لايحب السهر ولايخرج من المنزل ليلا ولكن لاحظ الناس مداومته للسهر اخيرا والسهر عند الحاكم التركى وسئل الشيخ فقال لذلك سر .. ويا له من سر.. لقد ترك الحاكم عادته وحطم كاسه واستحيى من مضايقة الاستاذ له .. وهذه طريقة حسنة فى الوعظ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وصدق الله فى خطابه لرسوله .. لوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ..، ولا حظت وأنا ابحث عن حياة الشيخ وآثاره انه ليس له شيء من الشعر الا ابياتا نظمها على طريقه الفقهاء عند ما كان فى الازهر يحضر درس الشنشورى .

أن رمت مامن أمور الدين قد شهرا بين الخلائق فاحفظ خير اشعارى
فصحة العقد مع صدق بمقصدنا وزدوفاء بعهد الخالق البارى
كذا اجتناب لحد وهو يختمها فاطلب ثوابا لنا يايها القارى

وليس لنا مانعتب به على الشيخ كامل بن مصطفى سوى عدم دراسته لبعض المذاهب الاسلامية وتحامله على احد المذاهب الاسلامية فقد درس فقه مالك وأبى حنيفة ولكن يظهر لى أنه لم يدرس احد المذاهب دراسة منهجية وافية ولهذا كان منه بعض التحامل ويرقد المرحوم كامل بن مصطفى بين المنيذر والبهلول وقد وجدت منقوشا على قبره هذه الابيات :

الا أيها الانسان انك كادح فتجرى ولاتدرى وانت على شفا
ايا عقلاء المؤمنين تاملوا تروا هذه الدنيا بلاقع صفصفا
توالى نزولا بارتحال مسرمد فمن حلها يوما ترحل واختفى
وادخلها الفتى وسار مؤرخا ففى جنة الفردوس حل ابن مصطفى

رحمه الله لقد اعطى للعلم حقه وللافتاء حقه وكان كاملا اسما ومعنى.

مصطفى بن ذكري

هناك شعر ولكنه تائه فى خضم النسيان ، وهناك شعراء ينظمون ويبدعون ويسترسلون ويحسنون وأيضا يقولون مالا يفعلون، هناك شعر وشعراء ولكنه مع الاسف تراث ضائع وادب غير شائع ..، مهمل غير مسطور وتائه مجهول مغمور . هناك شعر فيه ادب الحماس وصور من الاحساس شعر فيه ادب عاطفى وادب دينى ولكنه على ...، « قد الحال » والبلاغة هى مقتضى الحال وهل يوجد الادب الرفيع فجاة ؟ وهل يخلق الشعراء العماليق طفرة؟ لابد من تطور ولابد من صعود السلم درجة درجة وشعراء وادباء وعلماء هذه البلد بالنسبة لحالها واحوالها وظروفها قد ابدعوا واحسنوا وما على الجيل الناشئ واشبال العهد الجديد الا ان يرفعوا الرأس ويشمروا عن الساعد ويطمحوا الى القمة ويخلقوا فى ليبيا نهضة علمية ادبية جديرة بشعب يتوثب وأمة تتحرك وحياة جديدة وآفاق واسعة لا تظلموا العصر الماضى فان المشاعل كانت تعاكسها الرياح من كل جانب لا تظلموا الشعر والادب والفن فان الرقاب كانت مخنوقة والعواطف كانت مكبوتة والادب لا يتحرك الا عند الحرية ولا يعيش ويبهر الا فى اجواء طليقة ..، اذا راعينا هذا فاننا نعجب بادب هذا حاله وشعرهذه مقتضياته ثم لا تحكموا ولا تتسرعوا قبل ان تفتشوا وتبحثوا وكل مشمر يجد وليس كل المكسال كالمجد .

وحديثى هنا موجز قصير، وسهل غير عسير،انه مقتطفات ولحظات وقصيد وابيات انه شاعر ليبى جدير بالقراءة والبحث شاعر منسى فى قومه مهمل فى بنى جنسه عالم أديب رقيق الحاشية عذب الاسلوب حلو التصوير سالت عن حياته باوسع فلم أجد جوابا ولم ازل حجابا فذهبت الى الديوان فوجدت فيه صورا من البيان، وكفى بشعر الشاعر دلالة عليه، وطريقا موصلا اليه وشاعرنا الرقيق هو الشيخ العالم مصطفى بن السيد محمد بن ابرهيم بن زكرى من اسرة طيبة المنبت شريفة الاصل لها باع فى الفضل وذراع .

وعلمت ان الشاعر ابن زكرى لم يكن ازهريا ولكنى عجبت من هذه الظاهرة عندما وجدته ، ينظم فى النحو منظومة يعارض بها ابن معطى وابن مالك فهو ازهرى وان لم يذهب الى الازهر.، وقد اكتسب مصطفى بن زكرى من الاسكندرية رقة الشعر ودقة الاحساس كما اكتسب من طرابلس صفاء البال وصفاء الحال لقد. كان ابن زكرى عظيما، حيث انه كان شاعرا لا يتكسب بالشعر ترفع به عن التزلف والتملق فكان شعره طاهرا من ادناس المادة بعيدا عن دنيا الطمع ، يميس فى رياض من حسن الوجوه وحسن القلوب..، وكان حسنا يدل على حسن ونبيلا يدل على نبل العاطفة وصفاء القريحة انه فى غايته وفى عفته وترفعه عن بيع الشعر اطهر من احمد المتنبى الذى قالوا عنه لو كان هناك دانق فى أست ... لبحث عنه وقالوا انه فتش عن الدانق باظافره فى الحصير ويرسل القصيدة الاف الاميال ليرسل له الامراء ثمنها ، شعر مصطفى بن زكرى فيه رقة وبه وجدان مذاب وكبد حرى ومهجة ملتاعة ونفس فياضة ..، ديوان صغير يدل على حب كامن وشاعرية قوية كامنة كمون النار قوية قوة الاعصار سهل سهولة المياه المنسابة تحت أضواء الاقمار المنيرة فى الليالى الهادئة .

كان ابن زكرى اندلسيا فى مواضيعه عباسيا فى اساليبه رائعا بديعا لا يتكلف

ولا يتقعر يرسل الابيات حلوة قصيرة.، لكنها كالسهام فيها اصابة الهدف وحدة المرمى، ديوان ابن زكرى يقع فى ٤٨ صفحة من القطع الصغير وطبع طبعة رديئة على ورق اصفر وعلى صغر حجمه وقلة صفحاته كان به ستة وخمسون غلطة نحوية ولغوية واملائية وليس كل الثمانى والاربعين من الادب وروائع التصوير والشعر الرائق بل ان الديوان الحقيقى لايتجاوز ٣٣ صفحة ثم ما بقى منظومة فى النحو من الرجز سماها «الكافية فى نظم القواعد الشافية ، ابتدأها مقلدا ابن مالك فى الفيته الشهيرة

أول مايقول ابن زكرى ... لله حمدى دائما وشكرى
ثم الصلاة والسلام ماجنى ... فكر من التصريف يانع الجنا
على النبى المصطفى والال ... وصحبه مصادر الكمال

وتقع المنظومة فى ٢٣١ بيت لاأقول من الشعر بل من الاصطلاحات النحوية والقواعد الصرفية ، وهذا يدل على ان الشيخ ابن زكرى كان عالما فى النحو دارسا لقواعده مطلعا على اصطلاحاته وضوابطه وهذا يعطينا صورة من الثقافة العربية واسلوبا من اساليب العلماء فى العصور المتقدمة الذى أثر حتى فى هذا العصر وطبع الديوان بعد جمعه بعام فى مصر فى المطبعة العثمانية بحارة سوق الزلط فى اواخر ربيع الاول سنة ١٣١٠ هـ. ١٨٩٤ م . ويظهر تواضع ابن زكرى فى المقدمة الوجيزة التى قدم بها ديوانه وهى مقاثرة بالسجع شان اسلوب هاتيك الايام وبارك الله فى هذه الشاعرية التى ابرزت صورا من الحب وصورا من الاحاسيس والعواطف فى قالب عربى سليم وبيان واضح وشعر يقرأ ويسمع ويصح ان يعتز به الادب العربى فى ليبيا يكون نموذجا ودليلا لمن ينكر ان فى البلاد شعرا وأدبا.. ، يا سبحان الله كل على قدر حاله ولايكلف الله نفسا الا وسعها .. ، وكل له مقتضيات ومؤثرات ولكل عصر ادب وبيان.. ،شعر ابن

زكرى لا يصك الاذان بل يطربها ولا يؤذيها انه يغذى النفوس نبغ فى الشعر وهو صغير فى عصر «العثمانيين»او عصر قلماك بوزلكعزلتو.، حضر تلو وتعالىمعى نلقى على مقدمة الديوان نظرة فاحصة « هذا ما سمح به فكرى من طرائف الابيات الغزلية ولطائف النكات الادبية ، ولا يغرك ما ادعيه ولست من اربابه وذويه ، فغاية مرامى ومرمى سهامى ، ان أرد من فم الادب رضابه ، وارتشف من راحه حبابه ، واقرع باب معانيه ، وأسوم شباب اغانيه ، واتضلع من حكم آياته واستجلى مخدرات نكاته».. وهنا يظهر تواضع العلماء وينهج فىمقدمتة نهج الاقدمين ولكنه لا يقبر نفسه بسور المذلة والقصور كما يفعلون . فيقول « ولا أدعى مجاراة فرسانه بغروري ولكن اتعاثر فى ذيل قصوري »

ويرينا ابن زكرى كيف ان شعره كان هنا وهناك مبعثرا فاخذ العدة لجمعه وضمه «ولما تفقدت شواردها وتقفيت اوابدها صادفت جل الابيات فى جب الخمول مقبورا وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» .

ويرينا ابن زكرى حرصه على تراثه الشعرى وقيمته ومحافظته عليه «وحذرا من ضياعها ودثور رقاعها طفقت اجوس مفاوز افكارى ، واطارد شوارد او طارى الى ان ظفرت ببعضها وقمت بقضاء فرضها فركضت جواد اقدامى وفوقت سنان اقلامى ، وثنيت عنان البيان الى ميدان الطروس » .

وهناك يترك تواضع العلماء ويصيبه غرور الشعراء أو قل اعتزاز الادباء ويرى ان للشعر قيمة ومقاما وأن شعره غال عال فيقول بالحرف «وادرت من بديع المعانى الذ الكؤوس » ويظهر لنا ابن زكرى انه ذواقة حساس موسيقى له اذن مرهفة وهذا شئ يدل عليه انه فى ديوانه الصغير لم ينهج طريقة القدامى فيرتبه على حسب حروف الهجاء لا بل انه يتبع طريقة موسيقية ويسير على الاوتار يتبع اذنه ولايتبع الحروف الهجائية فى الترتيب هذا ذواقة بليغ وشاعر بديع .

«واعتبرت فى الترتيب البحور دون الحروف وان كان غير المالوف لكيلا تذهب عند القراءة طلاوة الاتصال بوحشة تبيان الاوزان والانتقال»

وبعد هذا يظهر اسلوب ادب المتصوفة والدعاء وملاحقه و مقدمة الديوان ترى فيها اربعة نقاط .

١ ـ تواضع العلماء

٢ ـ غرور أو اعتزاز الشعراء

٣ ـ الاسلوب التصوفى

٤ ـ ثم حساسية الذوق وموسيقية الايقاع فى الترتيب حسب الاوزان .

وكان الشيخ العلامة عبد الله المغراوى من رجالات مصراتة ازهريا بل من معمرى الازهر وكان فى العلم والادب لايعجبه العجب مر الانتقاد صعب القياد شان العلماء الذين سمعوا طويلا واعتكفوا كثيرا ولكنه فرح بديوان الشاب الشاعر مصطفى بن زكرى وهلل له واثنى عليه فى حلقات العلم وندوات الادب وقرظه باربعة ابيات مؤرخا له على طريقة المتقدمين أو قل ان اردت الانصاف المتاخرين واليك باقات من ابن زكرى:

واليك صورة من الشعر الرقيق فيه خفة البهاء زهير المصرى ص ٣٢

هـــواك قـــوت فـــؤادى وفـى يـــديـــلك قيـــادى

فـارحـــم بفضلك وجـــدى وحـــرقتـــى وسهـــــادى

أذبت قلبـــى فهـــب لـــى قـلبـــا لحفـــظ ودادى

انـــا الغـــريـــب المعنـــى فـى شيعتـــى وبـــلادى

امـــوت فيـــك اشتيـــاقـــا أن طـــال عمـــر البعـــاد

وفيـــك داريـــت قـــومـــا هـــم طبـــاع الجمـــاد

لـــولاك مـــا كنـــت ادرى بـــانهـــم فـــى العبـــاد

قـــالـــوا لقـد ذبت وجـــدا فقلـــت ذاك مـــــــــرادى
قـالـــوا قضيـــت زمـــانـــا فـــى غيـــلك المتمـــــــادى
اســـرفـــت جـــــدا فمـــاذا أعـــددت يـــــــوم المعـــاد
وعـــدتـــى حســـن ظنـــى فـــى قـــولـــه يـــا عبـــادى
وكيـــــف يقنـــط عبـــد وافـــاه مـــن غيـــر زاد

ويشاهد الشاعر مصطفى ابن زكرى وجها جميلا يسجد لرب الجمال فيملأ هذا (المنظر) جوانب نفسه ويأخذ بمجامع حسه ويهيم به ولكنه لا يستطيع ان يملأ ناظريه ولا أن يظهر ما يدور بين جنبيه فيطرق الشاعر اطراقة الحائر ، ويذهب الى الاوراق ، ليبثها سرائر الاشواق فى ثلاثة ابيات ويصور معانى ينسجها غيره من الشعراء فى معلقة طويلة .

يـــا فتنـــة النســاك رفقـا بمـن حبـك لـم يتـــرك لـه رمقـا
منعـــت ان امـــلأ طـــرفى مـــن حســـنـك واستمـــلاتـه أرقـــا
اتمنـــع المسكيـــن عبدك ان يمـــلأ مـن اوصـافـك الورقـا؟

وحسنا ما فعل ابن زكرى فلو ملأ ناظريه وملأ طرفه من حسنه فقط لما وصل الينا شئ من لوعته وتراثه وحرقة انفاسه وطبعا ملؤ الورق خير لنا الف مرة من ملء ناظريه وافراغ ما بين جنبيه ،

واذا كان الشاعر مسلم بن الوليد لقب نفسه صريع الغوانى فان مصطفى بن زكرى اطلق على نفسه لقب صريع الغرام ولكنه لم يجد مسارح بغداد وقصور بغداد وجسور بغداد ولياليها الساحرات. والا لكان لنا من ابن زكرى وليد آخر وصريع جديد وسل هل اتى عن صريع الغرام

انا ذلك العبد فـامـتى يـرقـى وجـد للمشـوق بـانس لقـاك

وأسمع هذه الشاعرية وفيها موطن دراسة ومحط يستحق الالتفاف .

تعجب قومى من بديع تغزلى
وقالوا لقد زفت اليك البدائع

وما بفتى يستخرج الدر بدعة وفى نسخ الوجه الجميل يطالع

وجعل الشاعر الطرابلسى للحب محكمة وجعل له قانونا ودستورا وجعله معرضا صور فيه الوان الجمال فقانون الغرام .

حسنت قوانين الامور وانما قانونه يسبى العقول بلا وتر
فترى بدستور الغرام اسيرنا لايفتدى وقتيلنا دمه هدر

ثم يذكر الشاعر الترغيب فيه وفائدة الغرام الذى يصقل النفوس ويهذب الطباع ويسمو بالمدارك .

يستخرج الدر الفريد من النهى ويهذب الاخلاق فى زمن الصغر
ويعطر الارواح من نفحاته ويخلد الذكر الجميل المفتخر

ولكن هل حقا يكون الغرام دائما هكذا ؟ يستخرج الدر الفريد ويهذب الاخلاق ويعطر الارواح ؟؟ سرعان مايدرك ابن زكرى خطر الغرام ويسرع ليسجل فى محكمته التحذير منه والابتعاد عنه .

واحذر لحاظ الغيد ان لم تستطع صبرا وكن من سودهن على حذر
واسلم بنفسك انني لك ناصح وسل الخبير بها ودع الخبر

لعيون السود يحذر منها شاعرنا ويظهر أنه اكوى بتلك اللحاظ والحب فى طبعه طاهر ولكنه يدنس بما وراء المظاهر بما وراء النظر وما بعد اللقا خطر

ودع النفوس تميس فى روض المنى طمعا ولا تجنى الثمار من الشجر
فالحب اصدقه لدى العشاق ما عزت مطالبه وعز المصطبر

ويظهر اثر الادب الصوفى وتخيلات الشعر الدينى ان صحت هذه التسمية يظهر هذا فى شاعرنا

ساسعف قلبى فى الهوى بعذابه واترك ذكرى خالدا بذهابه
وامنع لحظى ان يفوز من الكرى بطيف خيال يقتضى سد بابه
فسربى رعاك الله يا داعى الهوى الى منتهى وادى الاسى وسرابه
وعرج على حى الغرام وحيه وسله متى نحظى بوصل ترابه
وروح فؤادى من شمائل مبعدى
براح يهيم الصب قبل شرابه

الا تلاحظ معى سيدى القارئ ان فى هذه الابيات تاثرا بالشاعر الصوفى أحمد البهلول ؟ نعم فيه من ادب التصوف وادب الترفع والتعفف ادب فيه رسوم محاطة بهالة من التقديس صور فنية فى أطار من الدين وشعر فى قوالب من التصوف ويصور الشاعر جنة الامانى ومحراب النظر .

وجنا الجنتين من وجنتيه يانع غير أنه غير دان
جنة تجنى الامانى ولا تجنى بغير الجفون تلك الامان
هذه الجنة المحاسن لو التى لديها لما قدمته اليدان
هذه كعبة للطائف لكن طوافى بهما من الايمان
الامان الامان من سود الحا ظ تقود النهى بغير عنان
ترى انها سكارى وساظنك بالسهم فى يد السكران

وبعد ان تقرأ هذه الابيات احب ان تلاحظ معى اولا الالحاظ السود هى التى بلورت شاعرية شاعرنا وكم عاكسته العيون السود ياساتر ياحفيظ

ولاحظ معى أيضا ان التصوير فى البيت الاخير بلغ القمة وما ظنك بالسهم فى يد السكران وايضا ياساتر ياحفيظ. اللهم احفظنا من عيون سود وسهام فى يد سكران

ويخدم الشاعر وطنه ويصور عواطفه ولو لم يضع الديوان لاثبت شيئا من ذلك، ويمدح السلطان عبد الحميد ولكنى آخذ عليه قوله فى اول القصيدة

قمر تجلى فى سماء كماله ...، اذ لا يليق مدح الملوك والسلاطين بهذا الوصف قمر بل ان الشعراء عفا الله عنهم بالغوافى هذه الاوصاف ووصفوا سيد الرجال وعميد الابطال محمد رسول الله بالجمال وانه قمر وبدر وغصن بان ومليح القد ونسوا اوصاف النبوة ومعالم البطولة والشجاعة والرجولة وسطوع الفكر وعمق الشخصية وهذه من مزالق أسيادنا الشعراء

ومدح شاعرنا السيد المهدى السنوسى وقال فى ختام مدحته هذه

منالى وقد فرطت الا نسبتى لكم وارجو ان افوز بها غدا

وهذا فى المعنى لا فى التصوير طبعا يصور معنى شوقى الذى ذاب شعورا فى فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى بمدحك بيد ان لى أنتسابا

وشوقى منتسب الى الرسول لان اسمه أحمد يشاركه فى الاسم وابن زكرى يقصد بنسبته انه شريف له نسب يجمع مع السيد السنوسى وقد اعتز الشاعر بهذا الانتساب الكريم

---

* تجد فى كتاب لمحات ادبيه عن ليبيا» للمؤلف فصلا عن شاعرية ابن زكرى

مصادر ومراجع

كتاب	المؤلف	طبع
التذكار	ابن غلبون	القاهرة
المنهل العذب	النائب	اسطامبول
الديباج المذهب	ابن فرحون	القاهرة
العبر	ابن خلدون	القاهرة
معالم الايمان	الدباغ	تونس
المغرب	البكري	ليدن
معجم الادباء	ياقوت	القاهرة
معجم البلدان	ياقوت	القاهرة
لسان العرب	ابن منظور	القاهرة
كشف الظنون	حاجي خليفة	اسطامبول
دائرة المعارف	البستاني	لبنان
رحلة ابن بطوطة		القاهرة
رحلة ابن جبير		القاهرة
تاريخ الذهبي		القاهرة
نباتات ابن البيطار		القاهرة
تاريخ ابن شهبة		

كفاية المتحفظ	الاجدابى	لبنان
بغية الوعاة فى طبقات النحاة	السيوطى	القاهرة
أساس البلاغة	الزمخشرى	القاهرة
نزهة المشتاق	الادريسى	ليدن
ديوان	مصطفى بن ذكرى	القاهرة
ديوان	احمد البهلول	
اللواء الطرابلسى	مجموعة جريدة	عثمان القيزاني طرابلس الغرب
الفتاوى الكامليه	كامل بن مصطفى	القاهرة

مخطوطات

رحلة التيجانى

رحلة العياشى

جلاء الكرب للحشائشي

ترويح الارواح

كناش الزروق

تعليق على تفسير البيضاوى

منظومة فى التوحيد للبهلول

وثائق واوراق متناثرة ومخطوطات متنوعة من هنا وهناك

الفهرس

تقديم ونقد بقلم الاستاذ فريد ابوحديد	ا
الاهداء	٥
مقدمة	٧
مدينة طرابلس كما يصفها الرحالون العرب	١٣
ابو الحسن بن المنمر	١٩
أبو يحيى بن مطروح	٣١
الودانى وابياته اليتيمة	٤٣
ابن معمر الهوارى	٥٧
محمد بن ابى الدنيا	٦٥
ابوفارس عبد العزيز بن عبيد	٧٣
ابو اسحاق الاجدابى	٦١
عبد السلام عبد الغالب المصراتي	١٠١
ابراهيم عبد الغالب المصراتي	١٠٥
الخطاب	١٠٩
احمد البهلول	١١٥
ابن غلبون	١٢٣
النائب	١٣٥
على عبد الصادق	١٤٥
احمد بن عبد الدائم الانصارى	١٥١
محمد بن العربى	١٦٣
كامل بن مصطفى	١٧١
مصطفى بن ذكري	١٧٩

مدرسة الجغبوب

واثرها الفكرى والاجتماعى

بقلم على مصطفى المصراتى

دراسة منهجية فى النهضة الاصلاحية والفكرية التي قام بها الامام العظيم والمصلح الكبير محمد بن على السنوسى .. ، مدرسة الجغبوب ومشاعل النور التى عمت صحراء ليبيا بشائر التقدم والنهوض تقرأ قريبا للمؤلف كتابا دراسيا عن هذه المدرسة الاصلاحية بمناسبة الذكرى المئوية للمصلح الامام محمد بن على السنوسى الكبير

كتب للمؤلف

لمحات ادبية

عن ليبيا

قطرات من يراع

فردوس الادباء

قدم له الدكتور طه حسين

قنديل المولد - مجموعة قصص من ليبيا

صور نفسية - ملامح ونماذج من المجتمع

غوغـــــــة - بطل الصحراء

المنـــــــداف - نقد وتحليل وغربلة

الامثـــــــال - دراسه فى الادب الشعبى

دراسة فى - اللهجة العاميـــــه

القلادة المزيفـــــة - مجموعة قصص مصرية

حقيبة ليبيا

مجموعة كتب ستتناول دراسات ادبية اجتماعيه
تاريخية عن ليبيا تصدر حلقات مسلسلة

على مصطفى المصراتى

- من ابناء المهاجرين المجاهدين ، نشأ فى القاهرة والاسكندرية
- دخل مدرسة الجلادين الاولية ببولاق
- تخرج من كلية أصول الدين ونال العالية سنه ١٩٤٦
- نال اجازة التدريس مع العالمية من تخصص كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٩ فكان اصغر عالم يحوز الشهادة العالمية
- طاف انحاء ليبيا سنة ١٩٤٨ خطيبا داعيا للاستقلال لمواجهة لجنة التحقيق الرباعية التي اوفدتها هيئة الامم للاستفتاء
- خطيب مرتجل من الطراز الاول
- كاتب له عدة مؤلفات وبحوث دراسية أدبية
- ذهب للحجاز مرتين
- اشتغل بالتدريس والصحافة فترة في مصر
- قدم له الدكتور طه حسين كتاب فردوس الادباء فقال عنه «لمحت فيه طموحا للادب الرفيع وجنوحا للفن الممتاز»
- يشغل الان منصب مدير الاذاعة المحلية لطرابلس الغرب

مطبعة ماجي - طرابلس
Poligrafico Maggi — Tripoli

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY